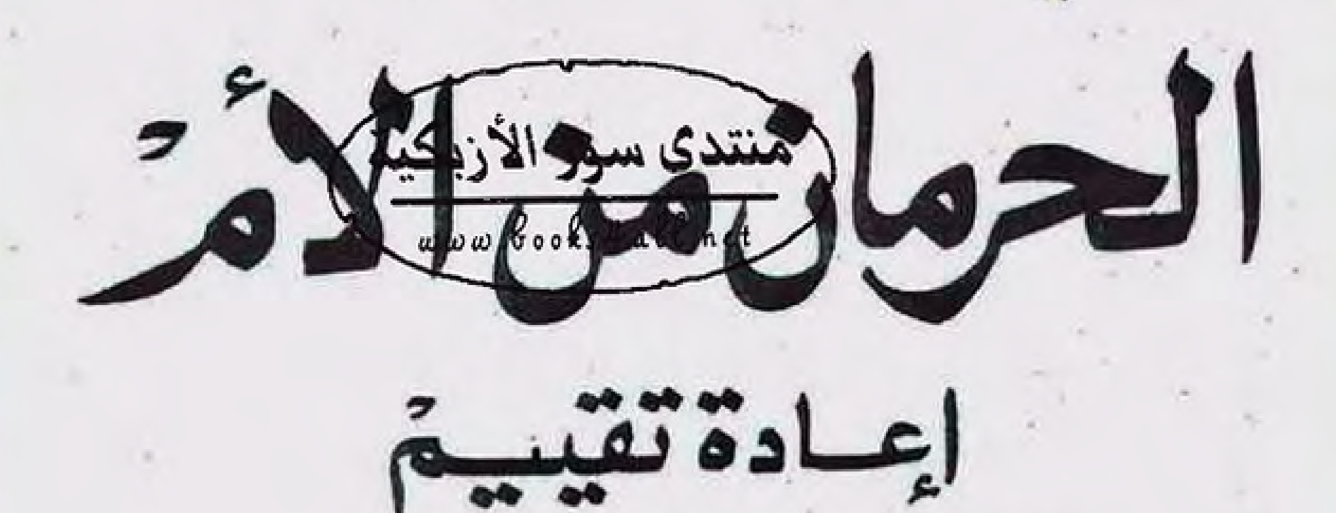



تأليف

مايكل راتر

ترجمة

د. ممدوحة محمد سلامة




# الحرمان من الأم

## ( إعادة تقييم )

مايكل راتر

*Michael Rutter*

ترجمة

**د. ممدوحة محمد سلامة**

الناشر

مكتبة الأنجلو المصرية

١٦٥ شارع محمد فريد - القاهرة

هذه ترجمة كاملة للطبعة الثانية (١٩٨١) لكتاب

Maternal Deprivation Reassessed

تأليف

**مايكل راتر**

*Michael Rutter*


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين

صدق الله العظيم

# فهرس الكتاب

الصفحة


مقدمة ........................................ ٨

خصائص الرعاية الأمومية اللازمة للنمو الطبيعي ........................ ١١

الآثار قصيرة المدى للحرمان من الأم ........................ ٢٦

الآثار بعيدة المدى للحرمان – العوامل المخففة ........................ ٥٠

الآثار بعيدة المدى للحرمان – الميكانزمات المحتملة ........................ ٧٧

مراجعة لمفهوم الحرمان من الأم على ضوء ما استجد من بيانات .. ١١٥

الآثار الاجتماعية الانفعالية لدور الحضانة النهارية ........................ ١٣٦

الآثار بعيدة المدى للخبرات الباكرة ........................ ١٥٦

العوامل المؤثرة على الوالدية ومرونة التكيف في وجود الحرمان ....... ١٧٦

الخلاصـــة ........................................ ١٩٨

المراجـــع ........................................ ٢٠٠

# مقدمة

إن أي تحمل لعناء الترجمة المتخصصة ومسئولية الإضافة إلى كم متزايد من المعرفة لابد وأن يسبقه مشقة الإختيار والتحديد وهي أية مشقة ، إذ تثار أمام المتخصص المترجم تساؤلات عدة ، أهو المؤلف أم أنه الموضوع ؟ أهي الحداثة أم أنها الأصالة ؟ أهي مدى الجدوى التطبيقية للعمل أم أنها القضايا النظرية ونقاط الجدل العلمي ؟

ولقد كانت الإجابة على هذه التساؤلات وغيرها نقاطًا ارشادية محددة لإختيار الكتاب الحالي لترجمته إلى العربية فالمؤلف هو مايكل راتر Michael Rutter ولعلها المرة الأولى التي تقدم فيها أحد أعماله لقارئي العربية رغم سعة شهرته وثراء علمه سواء في بريطانيا أم في الولايات المتحدة الأمريكية ، فهو من أبرز أساتذة الطب النفسي للأطفال بجامعة لندن ، وهو أيضًا من الباحثين المتميزين والاستشاريين ذوي الخبرة العالية المتخصصة ، كما أنه عضو بمركز الدراسات العليا التخصصية للعلوم السلوكية بجامعة ستانفورد بكاليفورنيا .

ويكتب راتر عن خصائص الرعاية الأمرمية اللازمة للنمو الطبيعي ، كما يفحص الآثار على المدى القريب والبعيد المترتبة على «الحرمان من الأم» ، أو بالأحرى ما أظهرته الدراسات أنه الحرمان من الأمرمة مؤكدًا في عرضه لعديد من الدراسات أن مصطلح «الحرمان من الأم» إنما يغطي مدىً واسعًا من الخبرات المختلفة يترتب عليها آثار مختلفة فيما يتعلق بالنمو النفسي والاجتماعي للصغار وهو في كل ذلك دقيق ، شديد الدقة في وصفه للجوانب المختلفة لكل من الرعاية السيئة والآثار السيئة .

وقد قام المؤلف بإعادة تقييم ومراجعة لمفهوم «الحرمان من الأم» الذي

استحدثه بولبي في بداية الخمسينيات ، حيث أظهرت الدراسات الحديثة ضرورة تعديل بعض الآراء ، هذا وإن ظلت الفرضية الأساسية قائمة . فإنعدام الرعاية أو فقدها أو تشوهها له آثار طويلة المدى على كل من النمو النفسي والنمو الاجتماعي للأطفال .

والكتاب مادة قرائية ضرورية لكل من له علاقة برعاية الأطفال وتنشئتهم وتعليمهم وتقديم أشكال العون لهم أي الوالدين والمدرسين والأخصائيين النفسيين والمعالجين ، وهو لايهم كل هؤلاء فحسب ، ولكنه قاعدة ضرورية بالنسبة للطب النفسي الخاص بالأطفال أو الكبار ، وعلاوة على ذلك ففيه عرض مستفيض لدراسات عديدة متخصصة ، ويثير حواراً علمياً بين المتخصصين ، كما يطرح عديداً من الآراء العلمية في موضوع كان وما زال وسيظل موضعاً للاهتمام والدراسة والتقصي بين الباحثين

المترجم

**د . ممدوحة محمد سلامة**

القاهرة ١٩٩١

# مقدمـــة

ليس هناك مجال للجدل آثار وجهات نظر متعارضة إلى حد كبير مثلما فعل موضوع «الحرمان من الأم» ففي عام ١٩٥١ انتهى بولبي Bowlby (٥١) إلى أن أهمية «حب الأم لطفلها في مرحلة الرضاعة والطفولة بالنسبة لصحته النفسية تعادل أهمية الفيتامينات والبروتينات بالنسبة لصحته الجسمية» ، وعلى نقيض صارخ لما سبق خلص كاسلر Casler (٩٧) بعد أن استعرض الأبحاث في نفس المجال في عام ١٩٦٨ . إلى أن « الكائن البشري ليس بحاجة إلى حب الأم لكي يكون أداؤه الوظيفي طبيعيا » ، ومرة أخرى في عمل أكثر حداثة لبولبي (٥٧) ذهب إلى الحد الذي يرى فيه أن الأشخاص الذين يعانون من أي نوع من الأمراض النفسية يبدون دائما خللا في قدرتهم على إقامة روابط محبة بالآخرين ، وأن اضطراب الروابط الوجدانية في طفولتهم كان السبب وراء الإضطراب والمرض النفسي فيما بعد . وهو يؤكد أن هذا الرأي يمكن الأخذ به كخط إرشادي عند علاج المرضى النفسيين . وعلى عكس ذلك يؤكد أوكونر وفرانكز O'conner & Franks (٤٤٥) أن « فرضية الحرمان من الأم » لم يثبت صحتها تجريبياً بالدرجة التي تبرر قبولها كخط إرشادي عند العمل مع المرضى .

وبرغم الإنتقادات المنهجية الشديدة وغيرها (٩٥ ، ٤٤٣ ، ٤٤٧ ، ٧٣٠ ، ٧٣٥) فإن مفهوم « الحرمان من الأم » اكتسب تأييدا واسعًا كما تم اعتباره سببًا يؤدي إلى كثير من المشكلات المتنوعة مثل التأخر العقلي ، والجناح ، والقزمية والإكتئاب ، والمحنة النفسية الشديدة ، وانعدام المشاعر السيكوباتي (٢ ، ٥١) وبرغم التسليم بأن الخبرات التي تندرج تحت مصطلح «الحرمان من الأم» هي

خبرات مركبة شديدة التعقيد ، إلا أن هناك ميلا لإعتبار أن كلا من هذه الخبرات وما يترتب عليها يمثل زملة أعراض يمكن مناقشتها ككل (٣٢٢) . ورغم أنه من الصحيح أن أنواع الحرمان المختلفة (ادراكية ، أم اجتماعية ، أم بيولوجية أم نفسية) من الأرجح أن تصاحب بعضها البعض ، إلا أن يارو Yarrow (٧٣٥) يؤكد أنه ليس من المحتمل أن يحدث أي تقدم فيما يتعلق بهذا المفهوم إلا حين يمكن التفريق بين المتغيرات التي نجمع بينها بلا تمييز ، وكذلك حين نستطيع أن نحدد الآثار المنفصلة الخاصة بكل منها . ويبدو من عرضه المتعمق للموضوع أن هناك ميكانزمات نفسية مختلفة يمكن بموجبها تقليل الآثار المختلفة للحرمان . والكتاب الحالي يحاول استكشاف هذا الإحتمال الممكن على ضوء المتاح لنا من نتائج الدراسات . ولن تكون هناك أية محاولة لنقد نقاط الضعف المنهجية في بعض الدراسات نظرا لأن ذلك قد تم التعرض له في عدة أعمال سابقة ( انظر المراجع السابق ذكرها ) ونحيل القارىء إلى تلك الأعمال وغيرها من عروض للدراسات السابقة في الموضوع وذلك لكي يمكنه تقييم نقاط الضعف والقوة في البيانات التي قامت على أساسها المناقشة والتفسير . غير أن بيانات تلك الدراسات سيتم ماقشتها وفقا لدلالاتها بالنسبة لمفهوم «الحرمان من الأم» كما أن نقاط الضعف قد يشار إليها باختصار شديد عند الضرورة لإيضاح مدى أهمية النتائج كذلك بقى تحديد آخر لما يغطيه هذا الكتاب وهو أن الآثار المترتبة على الحرمان سيتم فحصها فقط في مرحلة الطفولة ولن نشير إلى أي ارتباط بين خبرات الطفولة والمرض النفسي في الرشد .

وسوف يؤخذ في الإعتبار أن الإضطرابات النفسية والمرض لها أسباب متعددة بخلاف آثار «الحرمان من الأم» بمختلف أنواعه ، فهناك من الأدلة الجيدة ما يشير إلى أن عوامل الوراثة والخلل العضوي وخلل الأداء الوظيفي للمخ تلعب دوراً في نشأة الإضطرابات الإنفعالية والسلوكية (٥٦٧) ولن يتم في هذا الكتاب فحص التأثير النسبي لكل من العوامل الوراثية والبيولوجية والنفسية والإجتماعية

وإنما سوف نوجه الإهتمام إلى ذلك الجزء من التباين الذي يمكن إرجاعه إلى الحرمان من الأم وإلى الميكانزمات النفسية المتعلقة به .

والمادة العلمية في هذا الكتاب تنتظم في ثلاثة أجزاء : الأول ويتناول خصائص الأمومة التي تعتبر ضرورية للنمو السليم ، والثاني يتناول الآثار قصيرة المدى لخبرة « الحرمان من الأم » والثالث يتعلق بما للحرمان من آثار بعيدة المدى .

## ١ - خصائص الرعاية الأمومية

## اللازمة للنمو الطبيعي

إن أي مناقشة للأمومة ينبغي أن تعتمد على كتابات بولبي ذلك لأن إسهاماته على مدى العشرين عاماً الماضية بداية بكتابه لمنظمة الصحة العالمية في عام ١٩٥١ إلى وصفه الهام لسلوك التعلق في عام ١٩٦٩ ، قد كانت ومازالت أكثر كتابات مؤثرة في هذا الموضوع . وفي عام ١٩٥١ صرح بولبي بأنه من الضروري للصحة النفسية أن يخبر (بفتح الياء) الطفل علاقة حميمة دافئة ومستمرة بأمه . وقد وضع تأكيدا كبيرا على ضرورة الإستمرارية ، كما كان واضحاً أن تلك الإستمرارية لا يمكن أن تهيؤها قائمة من المشرفين يعملون بالتناوب . غير أن بولبي مع تأكيده على أهمية رابطة التعلق بين الأم والطفل ، واعتباره أن التعلق الوجداني Attachment بأحد ممثلي الأمومة أمراً حاسماً إلا أنه أوضح أنه «قد تكون خطة جيدة أن نجعل الرضّع وصغار الأطفال يعتادون على أن يقوم برعايتهم شخص آخر بين الحين والحين» (٥٣) وبهذه الطريقة فقط يمكن أن يكون للأمهات بعض الحرية والإنطلاق من رعاية الطفل إلى التسوق أو قضاء بعض الوقت مع الصديقات ، وقد أكد على ضرورة أن تكون الترتيبات البديلة لرعاية الطفل لها نفس الإنتظام والإستمرارية إذا خرجت الأم للعمل .

ومن الناحية الأخرى فإن كتابات بولبي كثيراً ما أسيء فهم معناها كما أسيء استخدامها لتدعيم فكرة أن الرعاية الجيدة والكافية هي تلك التي تغطي أربع وعشرون ساعة يوميا بلا انقطاع والتي يقدمها نفس الشخص . وعلى ذلك كان الإدعاء القائل بأن الأمومة الجيدة لا تتأتى إلا إذا لم تخرج الأم إلى العمل (١٧) وأن الإستفادة من خدمات دور الحضانة النهارية أمر يترتب عليه آثار خطيرة دائمة وضارة (٧١٣) .

وقد سبق أن أكد الكثيرون على أهمية وجود تفاعل مع الطفل غني بالتنبيهات (٩٥ ، ٩٧) ولكن بالنسبة لهؤلاء الدارسين فإن الأمومة تنطوي على تهيئة «المثيرات الضرورية والتي ينبغي أن يكون من الممكن التمييز بينها كما تكون فعالة الوظيفة تهيىء لحدوث عدة استجابات محتملة من الطفل متوقفة عليها» (٢٢٠ ، ٢٢١) .

وبالجمع بين العبارات السابقة وأخرى تتكرر في التراث يبرز لنا ستة خصائص مميزة للأمومة السليمة هي : علاقة محبة ، تؤدي لحدوث التعلق ، مستمرة لا تتفكك أو تنفصم عراها ،تهيىء التنبيهات الملائمة وتقدم فيها الأمومة من قبل شخص واحد وتقوم في دائرة الأسرة . وسوف نقوم بفحص الأدلة على كل من هذه الخصائص المميزة لكي يمكن أن نحدد في النهاية أهمية أي منها بالنسبة للنمو وأيها يتأثر بخبرة الحرمان أما آثار الحرمان فسيتم مناقشتها في فصول تالية .

## علاقة محبة :

من الصعب تعريف «الحب» وقد رفض كثير من المؤلفين معالجة هذا الجانب من جوانب الأمومة على أساس أنه يتعلق بجوانب روحية لايمكن قياسها . غير أن الخصائص المميزة للتفاعل المتبادل بين الأشخاص والتي تندرج تحت مصطلحات مثل الدفء أو العداء قد تبين أنه يمكن قياسها كما تبين ثبات هذا القياس بشكل يتيح التنبؤ بكيفية سلوك أفراد الأسرة تجاه بعضهم البعض في مواقف أخرى (٧٧ ، ٥٦٥) وفي الواقع أن نوعية العلاقات الأسرية قد وجد أنها ترتبط ارتباطا قويًا بطبيعة النمو النفسي للطفل وذلك في كل من الدراسات العرضية والدراسات التتبعية (١٢٤ ، ٣٩٤ ، ٥٤٢ ، ٦٦٢ ، ٧٠٥) فحين ينعدم الدفء في الأسرة ، فمن الأرجح أن ينحرف سلوك الطفل وبصفة خاصة باتجاه السلوك المضاد للمجتمع . وعلى ذلك فهو أمر بديهي أن نعتبر أن «الحب» جانب

ضروري من جوانب الأمومة . وينبغي الإضافة أن نفس الدليل السابق يشير أيضا إلى أن الدفء عامل له نفس الأهمية في العلاقة بين الوالدين ، وفي العلاقة بين الوالد والطفل وذلك فيما يتعلق بتأثيره على نمو الأطفال بمعنى أن الدفء ليس خاصية لعلاقة الأم بالطفل فحسب وإنما يبدو أنه عنصر هام في جميع العلاقات الأسرية (بل وربما في جميع العلاقات خارج نطاق الأسرة أيضا) والإشارة إلى أن الدفء بين الوالدين ، وكذلك بين الوالد والطفل يؤثر على النمو إنما تعني أن الحب ضروري بشكل عام وليس فقط كعامل يؤدي إلى تكوين رابطة تعلق بين الطفل وأيّ الوالدين .

## التعلـــق :

هناك أدلة علمية جيدة تشير إلى أن الأطفال يقيمون رابطة تعلق قوية بوالديهم (٣ ، ٥٨٩) وقد أشار بولبي (٥٧) في عرضه المستفيض لهذا الموضوع إلى عمومية حدوث رابطة التعلق في كل من الإنسان والحيوانات الدنيا ويمكن قبول الرأي القائل بأن هذه الرابطة تعتبر خاصية أساسية للعلاقة بين الأم والطفل ، ولكن مع ذلك هناك فروق فردية كبيرة في كل من قوة هذه الرابطة وتوزيعها ؛ فالرابطة الرئيسية قد لا تكون دائما مع الأم كما يمكن أن تكون للصغير روابط تعلق متعددة بأفراد آخرين ، وقد وجد شافر وايمرسون Schaffer & Emerson (٥٨٩) أن نصف عدد الأطفال (في سن عام ونصف) اللّذين قاما بدراستهما كانت رابطة تعلقهم الوحيدة الأساسية بالأم ، كما أن ثلث العدد تقريبا كان يتعلق بشكل أساسي بالأب ، ورغم أن جميع هؤلاء الأطفال كانت لهم رابطة أساسية بشخص واحد إلا أن معظمهم كانت له روابط وجدانية متعددة بأكثر من شخص تتنوع في درجة شدتها . ويمكن أن نخلص من ذلك إلى أن التعلق جانب هام بل جوهري في العلاقة بين الأم والطفل كما أنه خاصية تميز علاقات أخرى .

ويعتقد بولبي (٥٧) أن هناك ميلا يجعل الطفل يتعلق بشخص واحد فقط وهو ما أطلق عليه بوحدوية الميل أو وحدوية العلاقة Monotropy وأن هذه العلاقة الرئيسية تختلف في نوعها عن علاقة التعلق بأشخاص ثانويين آخرين . غير أنه ليس هناك من الأدلة ما يؤيد هذا الزعم ، فقد خلص شافر Schaffer (٥٨٧) إلى أن رأي بولبي هذا لم تؤيده الحقائق وأن مدى انتشار روابط التعلق إنما يحدده السياق الإجتماعي الذي يوجد فيه الطفل ؛ ومازال الجدل قائما حول هذا الموضوع الذي يتطلب المزيد من الدراسة والفحص .

وإذا أخذنا بأن التعلق خاصية هامة فمن الضروري أن نتابع الظروف المهيئة لنموه وهي قضية لاتتوافر فيها إلا حقائق قليلة كما تكثر فيها النظريات (٦ ، ٥٧ ، ٨٦ ، ٢٢١ ، ٣٩٣ ، ٦٩٤) وقد قام كل من بولبي (٥٧) وشافر (٥٨٧) بعرض مستفيض للأدلة المتاحة في هذا الموضوع ، وفي هذا الإطار كانت الأدلة تشير إلى ضرورة التمييز بين السعي للبقاء بالقرب من أشخاص بعينهم والتعلق بهم وبين الإعتمادية وجذب الإهتمام بشكل عام غير محدد . فتكوين رابطة التعلق إنما ينطوي على السعي للبقاء بالقرب من ممثل التعلق .

وإذا كان لرابطة التعلق أن تنمو باتجاه شخص محدد ، فيبدو - رغم نقص الأدلة المتاحة - أن مثل هذا الشخص ينبغي أن يكون قد ظل على اتصال وثيق بالطفل لمدة طويلة ، على أساس أن رابطة التعلق تستغرق وقتا طويلا لكي تتكون وتنمو . غير أن المدة الزمنية المطلقة التي تنقضي في صحبة الطفل لا تبدو هامة في تأثيرها على نمو التعلق بقدر أهمية كثافة التفاعل بين الوالد (يقصد به أيّ الوالدين) والطفل (٥٨٩) فالأمهات اللائي يلعبن مع أطفالهن كما يمنحونهم كثيرا من الإهتمام تتعلق أطفالهن بهن بشكل أقوى مما يفعله أطفال الأمهات اللائي يتفاعلن فقط مع أطفالهن عند تقديم أشكال الرعاية المعتادة .

كذلك فحين يكون تفاعل الأم بالطفل قاصراً على مجرد أشكال الرعاية المعتادة في وجود أب كثير الإهتمام يقدم تنبيهات حسية متنوعة للطفل فإن الأب في هذه الحالة يصبح ممثل التعلق الرئيسي في التدرج الهرمي لعلاقات التعلق المتعددة لدى الصغير ، هذا رغم أن تواجد الأم معه قد يكون أكثر من تواجد الأب (٥٨٧) فمدى كثافة وشدة التفاعل ، وليس المدة التي يستغرقها ، هو ما يمثل جانبا حاسماً في العلاقة . وهو ما يشير إليه سرد بولبي (٥٧) لتعلق أطفال الكيبوتز Kibbutz بأمهاتهم - رغم أنهم لا يرونهم إلا لفترات قصيرة من التفاعل المكثف ، أكثر من تعلقهم بأمهات الكيبوتز Metapalet اللاتى يقمن على رعايتهم طوال اليوم (وإن كان بشكل أقل كثافة نظرا لقيام كل منهم برعاية عدد من الأطفال) .

كذلك أبرز شافر وإيمرسون (٥٨٩) أن تجاوب الأم لطفلها ارتبط بقوة تعلقه بها ، كذلك فإن التعلق بالأم كان أكثر شدة وقوة في الحالات التي كانت الأمهات تستجيب فيها بسرعة وانتظام لصرخات الطفل وبكائه .

وقد خلصت انزورث Ainsworth (٨ ، ١٠) وفقا لملاحظتها لتفاعل الأمهات بالصغار إلى أن أحد الخصائص الأساسية لحدوث التعلق هو حساسية الأم لما يصدر عن طفلها من اشارات ونداءات . فالتعلق ينمو باتجاه الأشخاص الذين يمكنهم تكييف سلوكهم وفقا لحاجات ومطالب الطفل ، والذين يضعون في الإعتبار تفرده الخاص وذلك بأن يتعلموا كيفية التعرف على اشاراته الخاصة الصادرة عنه (٥٨٧) .

ويزداد سلوك التعلق في حالات القلق والخوف والمرض والإرهاق (٥٧ ، ٣٩٣) أما كيف تؤثر هذه الخبرات في نمو رابطة التعلق فهو أمر مازال غير مؤكد وإن كان من الأرجح أن تتكون هذه الروابط وتنمو نحو الشخص المألوف الذي يتواجد مع الطفل بحيث يمكنه تقديم الطمأنينة والراحة في وقت الشدة . ويزداد

التعلق في حالة ارتباط وجود هذا الشخص بالراحة والتخلص من القلق والخوف ؛ أما ما إذا كان ارتباط ذلك الشخص بالقلق أم بالتخلص من القلق هو ما يسهل حدوث التعلق فإن ذلك يتوقف على ظروف معينة . فالأطفال عادة لا تتعلق بالمرضة أو الطبيب الذي يقوم بحقنهم ، ومع ذلك ففي ظل ظروف معينة قد تظهر روابط تعلق بأشخاص أو موضوعات تسبب الألم والمعاناة . وهو ما أظهرته نتائج البحوث التجريبية على الحيوان (٥٧) كما تشير الملاحظات الإكلينيكية إلى أن ذلك قد يحدث في الإنسان . فالرفض الوالدي الذي يحدث بين الحين والحين يزيد من سلوك التعلق ، أما عدم الإكتراث واللامبالاة وانعدام الإستجابة من قبل القائم بالرعاية فهي أكثر أهمية في كف تعلق الطفل .

كذلك فإن عدد القائمين بالرعايةلا يبدو متغيرا هاما في حدوث التعلق وتطور رابطته إذا ما تم تثبيت العوامل الأخرى ، غير أن هناك ما يشير إلى أن التعلق قد يكون أكثر قوة إذا كان عدد القائمين على رعاية الطفل محدوداً (٨٩ ، ٥٨٩) كذلك فإن الرعاية الروتينية وإطعام الطفل ليست شروطا ضرورية لحدوث التعلق ، وإن كانت تسهل نموه (٥٨٧) كما أن التعلق قد ينمو تجاه الإخوة والأخوات (٥٨٩) ووجود أحد الأشقاء – مهما كان صغيرًا – مع الطفل من شأنه أن يخفف القلق في مواقف الشدة (٢٧٨) كذلك ينمو التعلق بالأشخاص الذين يلعبون مع الطفل لكنهم لايطعمونه ، كما أن الأطفال قد تتعلق بأشخاص قد لا يكونون هم القائمون بالرعاية بشكل أساسي .

ورغم أنه من غير المؤكد أن تكون العوامل التي تساعد على قيام التعلق في الحيوان هي نفسها تلك التي تسهل حدوثه في الإنسان إلا أنه يبدو بالنسبة لقردة الريزوس أن الإلتصاق البدني والراحة الناشئة عنه أكثر أهمية لحدوث التعلق من عملية الإطعام وتناول الغذاء (٢٠٧ ، ٢٦٢) ومع ذلك فعند التحكم في متغير الراحة الناشئة عن الإلتصاق البدني في كل من قردة الريزوس (٢٥١) والكلاب (٣١٢) وجد أن الأم البديلة التي تفرز لبناكانت مفضلة لدى الصغار عن تلك التي

لايمكنهم الرضاعة منها . أما من ناحية مدى تأثير رؤية الرضيع لوجه القائم برعايته على قيام رابطة التعلق فإن الدراسة الإستطلاعية التي قام بها جاردنر وجاردنر Gardner & Gardner (٢١١) على اثنتين من القردة فقط تشير إلى أن ذلك قد يؤثر على تفضيل القردة لمختلف الأمهات البديلة ، رغم أن ذلك يمكن اعتباره عامل ثانوي قليل الأهمية . وقد قرر كيرنز Caims (٨٥ ، ٨٦) أن الحملان يمكن أن تقيم علاقة تعلق بالحيوانات التي تراها مجرد رؤية فقط دون أن يكون هناك تلامس أو التصاق بدني ، بمعنى أن التفاعل المباشر الوثيق ليس على درجة كبيرة من الأهمية . كذلك تشير دراسة ماسون Mason (٤٠٧) إلى أن الدمي المتحركة كانت أفضل كموضوعات تعلق لدى القردة عن الأشياء الثابتة الجامدة . وكل هذه التجارب لها أهميتها في ابراز العوامل الممكنة التي يمكن أن تؤثر في قيام وتطور رابطة التعلق . ومع كل فإن ما تؤكده الدراسات على المدى الطويل لقردة الريزوس هو أنه رغم امكان إحداث رابطة تعلق بأمهات بديلة صناعية من الجماد إلا أن هذه البدائل الأمومية بجميع أنواعها لم تكن لها أية فاعلية كأمهات فيما يتعلق بالوقاية من الآثار السيئة للعزلة الإجتماعية (٢٥٦ ، ٢٥٧) ومثل هذه الأمهات الصناعية البديلة قد تهييء الطمأنينة والراحة في مواقف الخوف غير أنهاعلى المدى الطويل ليست أفضل من عدم وجود بدائل على الإطلاق إلا بشكل هامشي يمكن التجاوز عنه . كما أنها كانت أسوأ بكثير من أمهات بديلة من القردة . فالأمومة تتطلب تفاعلا متبادل كما تقوم على أكثر من مجرد التلقي السلبي لسلوك التعلق (٤٩٢) وهو ما أظهره تحليل بعض الدارسين (٢٩٦) لديناميات تطور العلاقة بين الأم والصغير في قردة الريزوس التي نشأت في جماعات طبيعية ، وكذلك الفروق التي ظهرت في تفاعل الأم بالصغير بين حيوانات نشأت في أقفاص وأخرى نشأت في جماعات طبيعية (٢٩٤ ، ٧٢٤) .

أما في الإنسان فهناك متغيرات لاتوجد في الحيوانات الأدنى ، وهي تلعب دورًا هامًا لا يمكن إغفاله ، ولعل أهم هذه المتغيرات هي اللغة ، وهي متغير له

تأثير كبير كأداة لنقل المشاعر والإنفعالات والأفكار وكذلك من خلال دورها في عمليات التفكير التي تتيح للطفل أن يحتفظ بمفهوم الأم ويستعيده لنفسه حين تكون بعيدة عنه .

وبالإضافة إلى العوامل المتعلقة بتفاعل الأم مع الصغير مباشرة ، فإن الدراسات على الإنسان تشير إلى أن كم التنبيهات الإجتماعية المتاحة قد يؤثر على الميل لتكوين روابط التعلق . فقد وجدت راينجولد (٤٨٩) أن زيادة تكثيف الأمومة للأطفال المودعين بالمؤسسات الإيوائية ( عمر ستة شهور ) أدى إلى زيادة في تجاوبهم الإجتماعي . كذلك فإن شافر (٥٨٤) عند مقارنته لأطفال مقيمة بالمستشفيات بأخرى بأحد دور حضانة الطفل وجد أن المجموعة الأولى وهي مجموعة تلقي قدرا أقل من التنبيهات الإجتماعية – كانت أبطأ في تكوينها لروابط التعلق عند عودتها لمنازلها .

وينبغي إضافة أن الخصائص والصفات الفردية للطفل تؤثر في نمو سلوك التعلق (٥٨٩) كما أنها تؤثر أيضا في جميع جوانب علاقة الصغير بأمه (٢٩ ، ٢٦٤) وقد وجد موس Moss (٤٣٠) فروقا بين الجنسين في أنماط التفاعل المبكرة بالأم ، كذلك وجد يوكو Ucko (٦٨٥) كيف أن الإصابات التي تحدث لجنين في الرحم أو تلك التي تحدث مباشرة للوليد عقب الولادة يمكن أن تؤثر في سلوكه بطرق قد تؤثر بدورها في استجابة الأم له . كما أكد فريدمان Freedman (٢٠٠) وجود مكون وراثي في الإستجابة الإجتماعية لصغار الرضّع ، ويساعد سلوك حديثي الولادة في تشكيل سلوك الأم . فقد وجد كل من بل Bell (٢٧) وليفي Levy (٣٧٠) ويارو Yarrow (٧٣٦) كيف أن سلوك الوالدين بالتبني يتأثر بصفات الطفل المُتبنى ، فإسهام الطفل في التفاعل القائم بينه وبين والديه أمر على درجة كبيرة من الأهمية ، غير أنه كثيراً ما يتم التغاضي عنه .

وكثيراً ما يتم الربط بين عملية نمو الروابط في الإنسان بعملية البصم لدى

الطيور . Imprinting وهي في الأصل كانت تعتبر ظاهرة متفردة تظهر فقط خلال فترة حرجة في بداية الحياة وبمجرد أن تحدث فلا سبيل لإعادة الأمر لسابق عهده أو تغييره (٣٧٨) وعلى ذلك كان المعتقد أن نمو علاقات التعلق لدى الإنسان يمكن أن يكون مقصورا في حدوثه على فترة عمرية ضيقة . غير أنه من الواضح تماماً الآن أن هذه النظرة السابقة للبصم لم تكن صحيحة ، فليس هناك من سبب يدعو للإعتقاد بأن البصم يختلف عن أي شكل من أشكال التعلم ، وفترة اكتسابه إنما تتأثر بالظروف البيئية ، كما أنها ليست ثابتة بشكل جامد لا حياد عنه كما أن الإستجابة المترتبة عليه يمكن تغييرها . (٢٣ ، ٢٩١) . ومع كل فإن ظاهرة البصم هامة ومثيرة للإهتمام كما أنه من الصحيح أنها لا تتكون إلا خلال فترة حرجة عقب الميلاد ، غير أن مدى كون تعلق صغير الإنسان بأمه مقصورا على فترة بعينها محدودة مازال أمرا غير مؤكد . (٥٨٧) وبغير شك فإن التعلق يتكون حتى نهاية السنة الأولي من الحياة (٥٨٤) وكثيرا ما تمتد فترة تكوين هذه الرابطة إلى العام الثاني من العمر (٦٨١) غير أننا مازلنا نجهل إلى أي مدى يستمر التأهب لتكوين هذه الرابطة وأي الظروف البيئية تعتبر لازمة لإستمرار هذا التأهب . كذلك ليس من المعلوم لدينا ما إذا كانت رابطة التعلق التي يتأخر تكوينها لها نفس قوة وثبات وأمن رابطة أخرى قامت في وقت باكر (٥٧) وكل هذه تساؤلات هامة غير أن الإجابات عليها ليست متاحة حتى الآن .

## علاقة لا تتفكك :

لعل الأسباب الرئيسية وراء اعتبار الإستمرارية شرطا ضروريا للأمومة هو ذلك الإرتباط القائم بين التفكك الأسري وجناح الأحداث ، والإضطراب قصير المدى الذي يعقب انفصال الطفل عن والديه (٧٣٧) فكل من تلك النتائج تؤكد أن التفكك في علاقة الوالد بالطفل (يقصد أيّ الوالدين أو من يقوم مقامهما) قد تكون له آثار ضارة . ويبدو أن الإنفصال المؤقت بين الحين والحين لا تستتبعه بالضرورة آثار سلبية وهو ما يؤكده ارتفاع معدل مرات الإنفصال عن الوالدين بين الأفراد

العاديين ، وقد وجد الباحثون (١٦٤) على عينة مكونة من خمسة آلاف طفل أن ثلث هؤلاء الأطفال قد تعرض لخبرة الإنفصال عن الأم مرة واحدة دامت أسبوعًا على الأقل قبل بلوغهم منتصف الرابعة والنصف من أعمارهم ، كذلك كان الإرتباط ضعيفا بين فترات الإنفصال القصيرة والجناح ، حيث تكررت خبرات الإنفصال لدى الجانحين بنسبة ٤١٪ مقابل ٣٢٪ لدى غير الجانحين ؛ وبالطبع فكل الأطفال ينبغي أن ينفصلوا عن والديهم في وقت أو آخر حتى تكون لهم شخصياتهم المستقلة ، لذا فالتساؤل لا يتعلق بما إذا كان يجب أن ينفصل الأطفال عن والديهم وإنما يتعلق بمتى يمكن أن يحدث ذلك وكيف يحدث ذلك الإنفصال . وتؤكد النتائج أن الإنفصال في ظروف سعيدة قد يحمي الأطفال فيما بعد من آثار سيئة تترتب على انفصال آخر في ظروف سيئة ضاغطة (٦٤٠) بمعنى أنه ينبغي فحص الظروف التي يحدث فيها الإنفصال حين نود تحديد ما إذا كانت له نتائج طيبة أم سيئة .

كذلك هناك نقطة جوهرية حاسمة ينبغي مراعاتها وهي المساواة بين الإنفصال وعدم استمرارية العلاقة . فقد سبق أن أشار بولبي (٥١) إلى أن طفل ما قبل المدرسة لا يمكنه الإحتفاظ أو الإبقاء على علاقته بشخص ما في حالة غياب هذا الشخص ولهذا السبب فإن الإنفصال ولو لفترة وجيزة جدا في هذه المرحلة قد يقوّض هذه العلاقة . غير أن الأمر ليس كذلك على طول الخط في الأطفال العاديين وبصفة خاصة إذا حدث الإنفصال في ظروف طيبة . وبالطبع فإن صغار الأطفال يجدون الإنفصال عن ذويهم أمرا صعبًا ولكن يبدو أن الظروف البيئية وعمر الطفل يؤثران في قدرته على الحفاظ على رابطة التعلق حتى في غياب من تعلق بهم .

## تفاعل غني بالتنبيهات :

اختلف الدارسون بشكل كبير حول مدى التأكيد الذين يضعونه لأهمية كل من التنبيهات كمكون هام من مكونات الأمومة وانعدام التنبيهات الإدراكية في

الة الحرمان الأمومي . وقد اعتبر البعض (٩٧) أن التنبيهات الحسية الإدراكية ا التأثير الأكثر أهمية بينما اعتبر بعض أخر (٢) أن هذه التنبيهات ما هي إلا امل لها أهمية ثانوية . وقد استخدمت كثير من الدراسات المؤسسات الإيوائية طفال كموقف حرمان ، وقد اتضح من نتائج عدد من الدراسات المستقلة أن كمّ اعل الطفل بشخص بالغ كان أحد أوجه الإختلاف الرئيسية بين هذه المؤسسات بين الأسر العادية (١٣٧ ، ٣٣٤ ، ٤٧٨ ، ٤٩٠) وعلى هذا الأساس يكون من نطقي أن نضم التنبيهات الحسية بمختلف أنواعها ضمن العناصر الأساسية أمومة وبصفة خاصة أن هناك أدلة تؤكد أن هذا العنصر يعتبر حاسماً في النمو لغوي والذكاء (٢٦٨ ، ٥٧١) ورغم ذلك ينبغي ملاحظة أن مصطلح التنبيه أو التنبيهات Stimulations هو مصطلح غير محدد قد لايعني شيئاً إذا لم يتم ريفه بشكل أكثر تحديداً . كذلك فرغم أن المؤسسات الإيوائية قد تفتقر إلى بض أشكال التنبيهات إلا أنها تختلف أيضا عن الأسر العادية في كثير من جوانب شديدة التعقيد ويبقى الأمر أمام الدارسين لتحديد أي أوجه الإختلاف دي إلى أية نتائج .

### لاقة بشخص واحد :

يتعرض الرأي القائل بأن من العناصر الأساسية للأمومة هو أن يقدمها خص واحد لكثير من الجدل العلمي الحاد ، كما أن بولبي لم يؤكد عليه كثيرا ي تقريره لمنظمة الصحة العالمية عام ١٩٥١ (٥١) ، ورغم تحفظ بولبي على نشئة الكيبوتز حيث الأمومة مشتركة بين الأبوين الفعليين للطفل والأمهات لمربيات Metapelet إلا أنه أشار إلى أن الأسر الكبيرة الممتدة التي تتعدد فيها لأجيال لها بعض المزايا عن غيرها حيث يكون فيها دائما أقارب يمكنهم القيام دور الأمومة في الحالات الطارئة . ومن الناحية الأخرى فإنه أكد بشكل واضح على ما افترضه من وجود حاجة للطفل لأن يتعلق على نحو خاص بشخص واحد

فقط ، والمتوقع إذن وفقا لرأيه أنه إذا لم يفي تعدد الأمومة بهذه الحاجة فإن الطفل يعاني من جراء ذلك .

وواقع الأمر أن هناك عدد مختلف من المواقف التي يمكن أن تندرج تحت مصطلح تعدد الأمومة كما أوضحته أنزورث Ainsworth (٢) فهناك أولا الموقف الذي تشترك فيها أم رئيسية في الأمومة مع مجموعة متنوعة من بدائل الأم ، ويمثل هذا الموقف ما يحدث عند خروج الأم للعمل ، وتشير الأدلة العلمية أن الأطفال لا تعاني من جراء هذا الموقف طالما أن لهم علاقات ثابتة بالأم ورعاية طيبة تتيحها بدائل الأم (٥٤٢ ، ٧٤٠) ثانيا هناك الموقف الذي توزع فيه المسئولية بين عدد غير كبير من ممثلي الرعاية لهم قدر كبير من الإستمرارية كما هو الحال في الكيبوتز الإسرائيلي (٤٢٠) ، ومرة أخرى ورغم أن الأدلة المتاحة ضعيفة إلا أنه ليس هناك من سبب يدعو للإعتقاد بأن الأطفال تعاني من مثل هذا الوضع . ثالثًا هناك الموقف الذي يرتبط فيه تعدد الأمومة بعدم الإستمرارية والتفاعل غير الكافي أو الملائم كما هو الحال في حالة الإقامة لمدة طويلة بالمؤسسات أو دور الإقامة الداخلية . وفي مثل هذه الظروف قد يعاني الأطفال .

وطالما أنه من الصحيح أن عدد ممثلي الأمومة بالمؤسسات أكبر بكثير من عددهم في حالة عمل الأم أو في حالة الكيبوتز لذا يعني ذلك من الناحية التطبيقية أنه لا يمكن أن تكون هناك أمومة من قبل عدد كبير من ممثلي الرعاية دون أن يكون هناك عدم استمرارية للعلاقة وعدم كفاية في التفاعل . ويمكن أن نخلص إلى أنه ليس من الضروري أن يقوم بالأمومة شخص واحد فقط ، ولكن إذا قام بالأمومة عدد محدود لا يتغير من الأشخاص طوال الفترة الباكرة من حياة الطفل حينئذ قد لا يكون لتعدد الأمومة آثارا سيئة . أما فرضية بولبي المتعلقة بوحدوية الميل أو وحدوية العلاقة Monotropy فهي بحاجة لكثير من الدراسات المنظمة لكي يتم اثباتها أو نفيها .

## الأمومة في جو الأسـرة :

أشار البعض إلى أن الأمومة ينبغي تهيئتها في إطار جو أسري ، وقد كان رأي بولبي في مؤلفه عام ١٩٥١ (٥١) أن الأطفال يزداد تقدم نموهم في جو أسري سيىء أفضل مما يحدث في مؤسسات إيوائية جيدة ، وأن دور الإقامة الداخلية لايمكن أن تهيىء بيئة انفعالية طيبة بالنسبة للرضّع وصغار الأطفال . وقد أظهرت كتاباته الأكثر حداثة أنه كان على وعي تام بمدى تعقيد الموقف والمخاطر التي تحدث من جراء عقد مقارنات من هذا النوع ، غير أن قوله المأثور السابق قد لقى قبولا واسعًا مما أدى إلى إحجام بعض المسئولين عن حماية الأطفال عن اتخاذ قرار بابعاد الأطفال عن بيئة أسرية تسوء أحوالها بشكل مفزع . وفي واقع الأمر ليس هناك أدلة كافية تؤيد المقولة الشهيرة «أسرة سيئة أفضل من مؤسسة إيوائية جيدة» وإذا ما أخذنا العبارة بصدقها الظاهري (على ما هي عليه) فإنها تشير إلى أن هناك بصفة خاصة صبغة روحية تشيع في الجو الأسري ، كما أنها تشير أيضا إلى أن نوعية الأمومة لا علاقة لها بالموضوع ، وهو ما يمكن اعتباره لغو لا معنى له (وبكل تأكيد لم يكن مقصوداً على هذا النحو من قبل بولبي) لايستحق أن نوليه اهتمامًا أكثر من ذلك . فنمو الأطفال يتدهور تدهوراً شديداً في الأسر السيئة – كتلك التي يتعرض فيها الطفل للضرب المبرح (٢٨١ ، ٦٢٠) أو حيث توجد نزاعات وشقاق مزمن وانعدام مودة بين أبوين سيكوباتيين (٥٤٢) أو حيث يعاني الأبوان من سوء توافق اجتماعي شديد-(٧٠٥) بحيث يكون من الأفضل كثيرا أن تتولى احدى المؤسسات تنشئة الطفل . ورغم أن محصلة تنشئة الأطفال بالمؤسسات أسوأ بكثير عن تلك الخاصة بالمجتمع العام للأطفال ، إلا أنها تعتبر طيبة بالنسبة لكثير من الأطفال الذين نشئوا في أفضل هذه المؤسسات (١١٧ ، ٦٧٤) كذلك فإن انحراف سلوك أطفال المؤسسات أعلى بكثير من معدل الإنحراف في المجتمع العام للأطفال العاديين (٧٤١) غير أنه مع ذلك أقل من معدل انحراف أطفال الأسر المضطربة التي ينعدم فيها الحب (٥٤٢) . كذلك فإن

التوافق السليم لأطفال الكيبوتز الذين يبقون ليلهم ونهارهم في الكيبوتز مع الحفاظ على اتصالهم بأبويهم لدليل مضاد للرأي القائل بأن الأمومة ينبغي أن تُهيأ في إطار أسري . ولكن هناك شيء ما حول القول المأثور السابق ينبغي أخذه في الإعتبار ذلك لأن نوعية الرعاية الأمومية التي يهيؤها المستوى العادي للمؤسسات لأسوأ بكثير من مستوى الرعاية في جو الأسرة ، كذلك فإن الرعاية المقدمة من أفضل المؤسسات لأدنى بكثير من مستوى الرعاية الأمومية في المعدل العادي للأسر ، وإن كانت أفضل بكثير من الرعاية الأمومية في الأسر السيئة . وقد كان بولبي محقًا حين أكد أنه من الصعب على أية مؤسسة أن تقدم الرعاية الوالدية بنفس الكم والنوعية المتوقعة في السياق الأسري . وهذه الملحوظة ولا شك تعني أنه ينبغي توخي الحرص الشديد عند الإقرار بوضع الطفل تحت رعاية مؤسسية طويلة المدي ، كذلك وعلى نفس درجة الأهمية فإن الأسرة السيئة لا ينبغي أن نفضلها كبيئة صالحة لرعاية الطفل على مؤسسة جيدة . بمعنى أنه من الضروري في كل حالة من الحالات أن نفحص نوعية الوالدية والرعاية المقدمة للطفل .

## جوانب أخـرى :

كانت النقاط السابقة التي تم التركيز عليها هي ما أوضحه التراث العلمي في موضوع خصائص الرعاية الأمومية ، ومع ذلك فمن الضروري أن نضيف أن الأمهات يقمن بأدوار عديدة في الأسرة تؤثر على نمو أطفالهن بطرق متعددة لم يسبق ايضاحها .

فالواضح أن الطفل بحاجة إلى الرعاية والحماية ضمانًا لعدم تعرضه للأذى وبتقدم نموه يصبح من الضروري توجيهه وإلزامه بقواعد النظام ، كما أن الطعام ضروري للحياة في الوقت الذي لايستطيع فيه الطفل إطعام نفسه بنفسه ، وفي كل هذه الأمور فإن الأم هي المؤثر الواضح في الأسرة . وطوال الطفولة والمراهقة يقوم الوالدان كنماذج للقدوة يحتذى بها الطفل (أوقد يرفضها) كذلك فإن اللعب له

أهمية حاسمة في النمو النفسي (٤١٩) ورغم أن معظم اللعب يتم مع أطفال آخرين إلا أن اللعب مع الأب أو الأم له أثر كبير .

كما أن اختلاف الأباء والأمهات في اختيارهم لما يلعب به أطفالهم من لُعب وكيفية استخدامها - وهو أمر يرتبط بالطبقة الإجتماعية - قد يكون هامًا في تأثيره على النمو فيا بعد (٣٩) كذلك هناك وعي متزايد بأهمية الإتصال اللغوي بين الوالدين والطفل وما لذلك من أثر على النمو المعرفي ووظائف اللغة (٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٢٨٦ ، ٣٦٠) . كل هذه المتغيرات وغيرها تشير إلى أن هناك دورًا للوالدين ، أما مدى كونها محددات لما يترتب على الحرمان من الأم من آثار فإن ذلك سيتم مناقشته في فصول لاحقة .

## ٢ - الآثار قصيرة المدى للحرمان من الأم

ليس هناك حد فاصل بين كل من الآثار على المدى القريب والبعيد للحرمان من الأم ذلك لأنها تتداخل إلى حد كبير ، ومع ذلك فمن المجدي لأغراض الدراسة أن نفحص كل منهما على حدة .

وتعتبر آثار الحرمان من الأم مؤقتة أو قصيرة المدى إذا ما كانت تشير إلى الإستجابات المباشرة المؤقتة لخبرة الحرمان ، وإلى السلوك الذي يبديه الطفل خلال الأشهر القليلة التالية لحدوث هذه الخبرة . أما الآثار بعيدة المدى للحرمان فتشير بالدرجة الأولى إلى الآثار التي يمكن ملاحظتها بعد بضعة سنوات تالية لمدة قصيرة من الحرمان أو تالية لحرمان مستمر لمدى طويل . أما الآثار متوسطة المدى فلن يتم مناقشتها على نحو مستقل وانما سيتم ذكرها في أي من السياقين السابقين إذا ما كانت تلقى الضوء على الميكانزمات النفسية التي تنطوي عليها تلك الآثار .

وقبل مناقشة المتغيرات والميكانزمات المحتملة فمن الضروري أن نفحص الآثار قصيرة المدى التي نرجعها للحرمان . ولأن التراث العلمي المتعلق بذلك قد تم عرضه من قِبل وجهات نظر متعددة وكانت الآراء (وليس التفسيرات) على درجة كبيرة من الإتساق وعدم التعارض لذا فإن هذه المقدمة ستكون مختصرة .

وقد تم دراسة الآثار قصيرة المدى للحرمان على الأطفال الذين أُدخلوا المستشفيات (*) أو أُودعوا بدور للحضانة الداخلية (٦٨٨ ، ٧٣٧) . وهناك من الأدلة الجيدة ما يشير إلى أن كثير (وليس كل) من الأطفال يبدون على الفور سلوكًا يشير إلى المعاناة وشدة المحنة النفسية ، وهي ما أطلق عليها مرحلة

---

(*) في بريطانيا وبعض الدول الأخرى تودع صغار الأطفال المستشفيات دون صحبة الأم .

الإحتجاج Protest ، يعقبها نوع من البؤس والتبلد Misery and Apathy ثم في النهاية تكون مرحلة يبدو فيها الطفل راضياً كما يبدو وكأنه فقد الإهتمام بوالديه (٥٢ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٠٥) وهي ما أطلق عليها بولبي زوال التعلق Detachment ، ولا جدال حول مظاهرالسلوك السابقة كاستجابات للحرمان ، غيرأن ما يظل موضع جدل علمي حاد هو مدى الأهمية الإكلينيكية للسلوك السابق والميكانزمات التي ينطوي عليها .

أما زملة الأعراض الأخرى التي تعتبر استجابة للحرمان فهي تأخر النمو (٤٨٧) إذ قد يترتب على الحرمان آثار سلبية عامة على مدي تقدم النمو ، غير أن أكثر جوانب النمو تأثرا بالحرمان هي السلوك الإجتماعي والنمو اللغوي .

وسيتم عرض العمليات النفسية التي تنطوي عليها هذه الإستجابات بأن نفحص أولاً العوامل التي تُعدّل من هذه الإستجابات ثم الميكانزمات التي تنطوي عليها .

## - العوامل التي تعدل من الآثار قصيرة المدى :

### العمر الزمني :

أظهرت الملاحظة المنظمة لسلوك الأطفال الذين يلحقون بالأقسام الداخلية بالمستشفيات أن المحنة الإنفعالية التي تظهر عليهم تصل أقصى مدى لها في الأطفال الذين تتراوح أعمارهم ما بين ستة شهور إلى أربعة سنوات ، وإن كانت لاتحدث إلا لبعض الأطفال (٣١٤ ، ٤٧٩ ، ٥٨٨) وقد يصدر عن الأطفال الأكبر سنا مثل هذه الاستجابات إلا أنها عادة ماتكون أقل شدة واستمرارا كما تقل نسبة حدوثها . أما في الأطفال ما تحت ستة شهور من عمرها فعادة ما لا تكون هناك استجابات انفعالية عنيفة مصاحبة لدخول الطفل المستشفى .

ويختلف تأثير العمر الزمني على التأخر النمائي المرتبط بالرعاية بالمؤسسات مما يشير إلى اختلاف الميكانزمات النفسية وراء هذه الزملة . فقد وجد أن

الرضّع من الأطفال تحت سن ستة شهور ، والذين يلحقون بالمستشفيات أو أية مؤسسات أخرى تقل فيها التنبيهات كانوا أقل إصداراً للأصوات والمناغاة كما كانوا غير متجاوبين اجتماعيًا (٦٧ ، ٤٧٨ ، ٥٨٨) فانحراف النمو اللغوي والنمو الحركي والإجتماعي يمكن ملاحظته في عمر مبكرة بداية من بلوغ الطفل الشهر الثاني من عمره ، وقد تحدث أيضا لأطفال أكبر من ذلك ، بمعنى أنه ليس هناك حد أقصى للأعمار التي يمكن أن تظهر فيها هذه الإنحرافات النمائية .

## جنس الطفل :

هناك تناقض واضح في النتائج الخاصة بالفروق بين الجنسين في الآثار قصيرة المدى للحرمان كما أن كثير من الدراسات لم تجد فروقا تذكر (٦٨٨) وحين وجدت الدراسات فروقا فقد كانت تؤكد أن الذكور أكثر قابلية للمعاناة من الآثار الضارة لخبرات الإنفصال سواء كان ذلك في الحيوانات الدنيا أم في الإنسان (٦٣٠ ، ٦٤٠) وإذا تأكدت هذه النتائج المبدئية فإنها ولا شك تتفق عمومًا مع النتائج التي قد وجدت أن الذكور أكثر حساسية للضغوط النفسية ، كما أنهم بكل تأكيد أكثر قابلية للإصابة في مواجهة الضغوط البيولوجية .

## الخصائص المزاجية :

يختلف الأفراد إلى حد كبير في سلوكهم واستجاباتهم منذ بداية العهد بالحياة (٣٥) وقد وجدت دراسات عديدة أن صغار الرضّع يختلفون في خصائصهم الفسيولوجية النفسية (٦٥١) وفي استجاباتهم للتنبيهات (٣٤٥) وفي طريقة سلوكهم واستجاباتهم في المواقف الجديدة (٦٦٦ ، ٦٦٧) . ورغم أن محددات تلك الفروق غير واضحة تمامًا إلا أن العوامل الوراثية المرتبطة بالجنس (٣٥) والميكانزمات الوراثية (٢٠١) وتأثير البيئة (٧٤٢) من المحتمل أن تلعب جميعًا دوراً في ذلك . وترجع مدى أهمية الفروق الفردية في الخصائص المزاجية الطبيعية إلي ارتباطها باضطراب سلوك الطفل فيما بعد (٥٦٤ ، ٦٦٦) وأدائه التعليمي (٣٢٧) .

وإلى عهد قريب جداً ، لم تتم إلا بضعة دراسات تتعلق بالفروق المزاجية للأطفال في علاقاتها بإدخالهم المستشفيات أو أي شكل من أشكال الإنفصال . والدراسات السابق ذكرها تشير إلى مدى أهمية الصفات المزاجية كأحد أهم الجوانب المسئولة عن تباين الإستجابات للحرمان . وقد أظهرت إحدى الدراسات الإستطلاعية (٦٤٠) أن جزءاً من الفروق الفردية في الإستجابات لخبرات الإنفصال يمكن أن تفسره خصائصهم النفسية وصفاتهم المزاجية المميزة لهم قبل حدوث هذه الخبرات ، حيث وجد أن أكثر الأطفال اضطرابا عقب دخول المستشفى (خبرة إنفصال) هم هؤلاء الذين كانوا قبل هذه الخبرة يمكن أن نصفهم على أنهم عدوانيين ، قليلي التعبير والإتصال بالآخرين ، غير اجتماعيين . وقد وجد أن الإختلاف في الخصائص المزاجية يلعب دوراً في التأخر النمائي الذي يحل بالأطفال في بيئات تفتقر إلى التنبيهات ، فقد كان الأطفال الإيجابيون النشطون أقل تأخراً في نموهم في مثل هذه البيئات (٥٨٦) .

## نوعية العلاقة السابقة بين الأم والطفل :

ينبغي أن يكون الطفل قد أقام علاقة تعلق بالأم قبل أن يعاني من خبرات الإنفصال عنها . وقد وجد شافر (٥٨٩) أن محنة الإنفصال ، أي ذلك الإضطراب الإنفعالي الحاد في أعقاب هذه الخبرة ، لا تحدث قبل بلوغ الطفل ستة شهور من عمره نظراً لأنه في حوالي هذه السن تقريبا تصبح رابطة التعلق قائمة وثابتة . وبخلاف هذه النتيجة المؤكدة ، فإن الأدلة العلمية المتاحة لنا عن الإنسان والخاصة بمدى أهمية العلاقة السابقة بالأم ضعيفة وقليلة . وعموماً يبدو أن المحنة الإنفعالية Emotional Distress في أعقاب خبرات الإنفصال المؤقتة تقل إذا كانت علاقة الطفل بأمه قبل حدوث هذه الخبرة علاقة طيبة (٦٨٨) ، كذلك من المعتقد أن الإضطراب يقل حدة إذا كان الطفل يقوم على رعايته أكثر من شخص وبالتالي تكون روابط تعلقه بهم ليست نوعية أو قاصرة على شخص واحد فقط (٤١١) غير أن الأدلة المتاحة على ذلك ليست أكثر من مجرد سرد لحالات .

وتأتي الأدلة الدامغة على مدى أهمية علاقة الأم بالصغير في استجاباته للإنفصال من الدراسات التي تمت على الحيوان والتي كانت غاية في الأهمية حيث ألقت الضوء اللازم على هذا التساؤل . ففي دراسة طولية تتبعية قام هايند وزملاؤه Hinde & Spencer Booth (٢٩٥) بدراسة آثار الإنفصال لفترة قصيرة على قردة الريزوس حيث وجد أن أكثر هؤلاء الصغار اضطرابًا في أعقاب الإنفصال هم من كانت علاقاتهم بأمهاتهم يسودها التوتر قبل حدوث الإنفصال . وقد كان تعريفهم الإجرائي للتوتر Tension هو مدى تكرار حدوث رفض للصغير من قبل الأم ومدى دور الصغير في حفاظه على البقاء بالقرب منها . ورغم أن نتائج بحوث الحيوان لايمكن تعميم نتائجها مباشرة على الإنسان إلا أن مثل هذه النتائج توحي بقوة بضرورة فحص هذا المجال بالنسبة لصغار الإنسان.

وفي نفس السياق الحالي ، فإن الفروق في الإستجابة للإنفصال بين مختلف أنواع القردة تعتبر أمر له أهميته . فمثلا يبدي صغار قردة الماكاك ذو الضفيرة انزعاجًا واضطرابًا عند انفصالهم عن أمهاتهم أكثر مما يفعل صغار قردة الماكاك ذو القبعة ، وهو ما تم تفسيره بموجب الفروق في العلاقة بين الأم والصغير في كلا النوعين من القردة (٣٢٩ ، ٣٣٠) فصغار الماكاك ذو القبعة أقل اعتمادية على أمهاتها من صغار الماكاك ذو الضفيرة ، وهم يقضون وقتا أطول في اللعب الإجتماعي وهم أكثر إقترابًا من أمهات غير أمهاتهم الأصلية كما يتركون أمهاتهم لوقت أطول ويبتعدون عنها لمسافات أبعد وذلك بمقارنتهم بصغار الماكاك ذو الضفيرة.

كذلك فإن أمهات الماكاك ذو القبعة أكثر تساهلا وتسامحًا مع صغارهن ، ونتيجة لما سبق فإنه خلال الفترات القصيرة من الإنفصال يقيم صغار الماكاك ذوالقبعة علاقات بقردة بالغة أخرى بحيث يكون لديهم أمهات بديلة ؛ وعلي نقيض ذلك فإن صغير الماكاك ذو الضفيرة ينسحب وينعزل في أعقاب الإنفصال كما لا يقيم علاقات تعلق أخرى بأي قردة بالغة أخرى . وهذه الفروق تبدو كنتيجة لخبرات

التفاعل السابقة في نوعين مختلفين من القردة وليست كنتيجة عامة لنوعية العلاقات بالأم قبل حدوث الإنفصال .

## خبرات الإنفصال السابقة :

يفترض عموما أن الأطفال الذين سبق أن مروا بأحد خبرات الإنفصال يصبحون أكثر حصانة بحيث تكون خبرات الإنفصال اللآحقة أقل صدمية لهم بشكل خاص (٢) غير أن الأدلة المؤيدة لذلك الفرض قليلة . وقد وجدت الدراسات على الحيوان (٦٣٠) أن صغار الريزوس التي يتم فصلها عن أمهاتها للمرة الثانية تستجيب لهذه الخبرة بنفس الطريقة ونفس الشدة التي تستجيب بها صغار من نفس العمر تنفصل عن أمهاتها للمرة الأولى أما في بني الإنسان فهناك القليل الذي يمكن أن يؤيد الرأي القائل بزيادة الحساسية بالنسبة للخبرة الأولى للإنفصال . والأدلة القليلة المتاحة حول هذه النقطة تشير إلى أهمية طبيعة الخبرة الأولى للإنفصال ؛ فحين كان للأطفال خبرة سابقة غير سعيدة كانت استجاباتهم لخبرات الإنفصال اللآحقة أكثر سوءاً من تلك الخاصة بأطفال لم يسبق لهم أن مروا بخبرة ضاغطة مماثلة (٦٨٨) . ومن الناحية الأخرى فيبدو أنه حين يمثل الإنفصال السابق خبرة طيبة فإن تكرار الإنفصال قد لايصاحبه الآثار السيئة والإستجابات الإنفعالية الشديدة المرتبطة بخبرات الإنفصال السيئة . وعلى ذلك وجدت ستاسي Stacey (٦٤٠) أن الأطفال الذين لم يكن اضطرابهم شديداً كرد فعل لدخول المستشفى سبق أن كانت لهم خبرات انفصال سابقة ذات طابع طيب كالإقامة ليلة مع الأصدقاء أو الأقارب أو أن لديهم جليسات للأطفال ، أو أنهم يترددون على دور للحضانة النهارية أو يتركون مع شخص بالغ آخر طوال اليوم . وعموما فالأدلة قليلة بحيث لايمكن القطع برأي علمي نهائي فيه ، وهو بحاجة لمزيد من الدراسة والفحص وإن كان الواضح من الدراسة السابقة أن إستجابة الطفل لخبرات الإنفصال تتأثر كثيراً – على نحو أفضل أو أسوأ – بطبيعة خبرات الإنفصال السابقة .

## طول مدة الإنفصال / الحرمان :

تزداد المحنة النفسية المترتبة على الإنفصال بزيادة مدة استمراره ، حتى بالنسبة للإستجابات المؤقتة قصيرة المدي . وفي دراسة على عشرة أطفال تم ايداعهم بدار للإقامة الداخلية (٢٧٨) وجد اضطرابا أكثر لدى الأطفال (عددهم أربعة) في نهاية مدة انفصالهم عن أمهاتهم والتي تراوحت ما بين سبعة أسابيع إلى واحد وعشرون أسبوعًا بمقارنتهم بالذين انفصلوا عن أمهاتهم لمدة أقل من ثلاثة أسابيع . كذلك ازداد اضطراب قردة الريزوس بزيادة استمرار مدة انفصالها عن أمهاتها (٢٩٧) حيث كان الإضطراب أعلى في أعقاب مدة انفصال دامت ثلاثة عشرة يومًا بالمقارنة باضطراب الصغار بعد مدة انفصال دامت أربعة أيام فقط .

## الإنفصال والبيئة غير المألوفة للصغير :

تترتب على الإنفصال آثار لمدى طويل فقط حين يصحب هذه الخبرة تغيير في البيئة المعتادة (١٦٢) ، ومثل هذه النتيجة - بالإضافة إلى أن معظم الدراسات التي فحصت الآثار المؤقتة قصيرة المدى للحرمان كانت تتعلق بأطفال انفصلت عن أمهاتها في بيئة غريبة عليها كالمستشفى مثلا - ترتب عليها الإعتقاد بأن الإضطراب الإنفعالي الذي يترتب على خبرة الإنفصال إنما يرجع إلى تغيير البيئة وعدم ألفة الصغير بها وليس للإنفصال في حد ذاته .

ولدراسة هذه المشكلة كان من الضروري تحديد ما الذي يحدث حين يكون الطفل في صحبة الأم في بيئة لا يألفها ، وما الذي يحدث أيضًا إذا وجد الطفل في بيئة مألوفة له (بيته) دون وجود أمه معه . وقد تم فحص التساؤل الأول (٤٩٣) المتعلق باستجابات الأطفال في موقف غريب مع وجود الأم على أطفال تبلغ عشرة شهور من عمرها ، ووجد أنهم لم يبدوا كثيرًا من الإضطراب حين كانت أمهاتهم معهم ، بينما ازدادت استجابات الإضطراب شدة حين تم فصلهم عن أمهاتهم

وتركهم مع شخص غريب عليهم . وقد وجدت هذه النتائج تأييدا من دراسة أخرى على أطفال تبلغ عاماً من عمرها إذ كانت تبدي اضطراباً شديداً حين تترك أمهاتها الحجرة التي سبق أن كانت معهم فيها (١٠) كما وجد أيضاً أن بعض الأطفال تستجيب بشكل سلبي لوجود أحد الغرباء حتى حين تكون الأم موجودة بالقرب من الطفل ، كما تزداد هذه الإستجابات اضطرابا إذا كان الطفل تفصله مسافة عن أمه رغم وجوده في نفس المكان ، وتتكرر الإستجابة المضطربة للغرباء إذا حاول الشخص الذي لا يألفه الطفل لمس الطفل أو حتى القيام بأية حركة توحي بالإقتراب منه (٤٢٨) ، ويمكن أن نخلص إلى أن الأشخاص الذين لا يألفهم الطفل والبيئات الغريبة عليه تمثل مثيرات دافعة للخوف بالنسبة لصغار الأطفال غير أن وجود الأم معهم في مثل هذه المواقف من شأنه أن يقلل من اضطراب الصغير أو قد يزيله تماماً . والنتائج السابقة كلها تتعلق بالإضطراب الذي يحدث أثناء فترة انفصال قد لا تتعدى دقائق معدودة ، ورغم قلة معرفتنا بما يحدث في فترات الإنفصال الطويلة إلا أن النتائج تبدو متماثلة إلى حد كبير . فقد وجد أن اضطراب الطفل يقل كثيراً أثناء دخوله المستشفى إذا كانت أمه بصحبته ، أو إذا تلقى زيارات يومية من والديه (١٨٥) ولسوء الحظ أن مثل هذه الدراسات لم يتاح لها أن تحدد إلى أي مدى يمكن إرجاع عدم أو قلة اضطراب الطفل إلى وجود أمه معه بالموقف وإلى أي مدى يرجع ذلك إلى عوامل أخرى في الموقف ذلك لأن مثل هذه الدراسات عادة ما يكون لها برنامج تجريبي ينطوي على وجود تسهيلات للعب وإعداد جيد مسبق للأطفال قبل ادخالهم المستشفى مع الحد بقدر الإمكان من أية اجراءات يمكن أن تخيف الطفل كالحقن الشرجية أو حقن الوريد .

وهناك عدد من الدراسات الوصفية التي تؤكد أن وجود الأم مع طفلها في بيئة جديدة عليه يعتبر متغيرا هاماً (٣٨٨ ، ٤١٨ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤) وفي دراستين جيدتين تم عزل هذا المتغير عن بقية المتغيرات الأخرى ، فقد قام فاجن Fagin

(١٨٣) بمقارنة مجموعتين من الأطفال تبلغ كل منها ثلاثين طفلا ، تم ادخال أطفال المجموعة الأولى للمستشفى دون صحبة أمهاتها ، وكان أطفال المجموعة الثانية بصحبة أمهاتهم ، وقد وجد أن اضطراب الأطفال في المجموعة الثانية كان أقل كثيراً عنه في المجموعة الأولى ، أما في الدراسة الثانية (٦٨٧) فقد كانت الفروق بين المجموعتين قليلة لكنها دالة احصائيا مما يشير إلى أهمية العوامل الأخرى - تسهيلات اللعب الخ - التي من شأنها تقليل الشدة الإنفعالية المصاحبة لدخول الطفل المستشفى .

كذلك يشير بولبي (٥٧) أن الأدلة السردية لكيفية استجابة الأطفال أثناء عطلات الأسرة توحي بأن صغار الأطفال يبدون أقل انزعاج ممكن حين يكونون بصحبة والديهم عند وجودهم في بيئة جديدة عليهم هذا رغم أن قلة قليلة جدا قد تبدي انزعاجاً شديدا ملحوظا ، وهي استجابة غير شائعه الحدوث .

وتقدم دراسات الحيوان أدلة مستفيضة على أن الأم أو حتي بدائلها الصناعية (دمي مصنوعة من قماش لين) لها تأثير ملحوظ في زيادة شعور الصغير بالأمن في مواقف الخوف أو المواقف الجديدة عليه . وقد ثبت ذلك بشكل قاطع على قردة الريزوس (٢٥٥) وقد أوضحته أيضا دراسات أخرى على الماعز (٣٧٤) .

أما فيما يتعلق بالتساؤل الخاص بكيفية استجابة الأطفال إذا ما تركتهم أمهاتهم في بيئة يألفونها فإن التقارير السردية تؤكد حدوث محنة انفعالية للأطفال عقب ترك أمهاتهم لهم وهم في بيئاتهم المعتادة (١٤٩ ، ٦٣٣) غير أن روبرتسون وروبرتسون Robertson & Robertson (٥٠٩) قد وجدا أن المحنة الإنفعالية الشديدة لاتحدث بالضرورة في وجود الأطفال في بيوتهم عند ترك أمهاتهم لهم . والأمر بحاجة للدراسة المنظمة وإن كانت تكتنفه عدة صعوبات على الأقل عند فحص آثار الإنفصال عن الأم لمدى طويل في بيئة يألفها الطفل ذلك لأنه في هذه

الحالة سيكون هناك شخص مألوف للطفل تتركه الأم معه ، ووجود مثل هذا الشخص له نفس خاصية خفض التوتر والمعاناة كما هو الحال مع الأم .

وقد تم دراسة المشكلة الثانية علي الحيوانات العليا الأدنى من الإنسان والتي تنشأ عادة في أطر اجتماعية (٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٦٣٠ ، ٦٣١) والواضح من هذه الدراسات أن صغار القردة تبدي اضطرابا حادًا حين يتم ابعاد أمهاتها عنها رغم استمرار بقائهم في بيئاتهم المعتادة .

كذلك مازالت مراحل الإحتجاج ، واليأس ، وزوال التعلق والخاصة بما يترتب على الإنفصال عن الأم من محنة نفسية تلقى اهتمامًا علميًا واسعًا . ويبدو أن طور الإحتجاج والذي تظهر فيه استجابات انفعالية شديدة واضحة من صراخ وعويل وتشبث لا يمثل خاصية نوعية للإنفصال عن الأم ، فقد وجد ماسون Mason (٤٠٦) أن نفس الإستجابات تصدر عن الحيوان (صغار الشمبانزي) عند اعاقة حركته بالقوة ، أوعند حدوث ضوضاء أوإعطاء الحيوان عقاقير منشطة . أما مرحلتي اليأس والأسى ، وزوال التعلق فقد (مع إبراز تأكيد عليها) تكون خواصًا نوعية لخبرة الإنفصال عن الأم .

## وجود أشخاص مع الطفل غير الأم :

إن إحدى المشكلات التي تظهرعند محاولة مقارنة آثار الإنفصال عن الأم في حالة وجود الطفل في بيئة غريبة عليه هي تداخل أثر وجود أشخاص آخرين في ذلك الموقف مع ما ينتج له من آثار . .

وقد وجدت دراسات عديدة أن الأشخاص الذين يألفهم الطفل – غير الأم – يخفف وجودهم من وقع المعاناة من الإنفصال عن الأم في موقف غريب على الطفل . ففي عام ١٩٤٣ وجد أرسينيان Arsenian (١٤) أن أطفال دور الحضانة أو الإقامة الداخلية كانوا يبدون اضطرابا في المواقف الغريبة عليهم غير أن هذا الإضطراب كان يقل كثيراً عند وجود إحدى المشرفات التي يألفها

الأطفال . أما بالنسبة للأطفال الذين تزداد اعتماديتم فإن وجود بديل للأم ليس له نفس فاعلية وجود الأم في تقليل التوتر في المواقف الغريبة على الأطفال . وقد وجد بالنسبة للمراهقين أن وجود صديق في مواقف الشدة من شأنه أن يقلل كثيرا من اضطراب كل من الجهاز العصبي السيمباثاوي والباراسيمباثاوي (٣٣٦) .

كما وجد أن الأطفال الذين يلحقون بدور للإقامة الداخلية بصحبة أحد أشقائهم يقل اضطرابهم كثيراً وقد تحققت هذه النتيجة رغم أن الشقيق الموجود بصحبه الطفل كان أصغر منه في بعض الأحيان بما لايتيح له تقديم أي نوع من أنوا ع الرعاية (٢٧٨) .

وتقودنا الدراسات على الحيوان إلى نفس الخلاصة ، فقد كان انفصال صغير الريزوس عن صغير آخر تربى معه – مع انفصالهما عن الأم – مصحوباً بنفس مظاهر المعاناة الإنفعالية التي تحدث عن فراق الصغير للأم (٦٦٠) كذلك كان لوجود أحد صغار القردة من نفس العمر علاقة كبير بخفض اضطراب صغير الريزوس في موقف غريب عليه (٤٠٥) .

وكما سبق أن ذكرنا ، فإن الأطفال تقيم علاقات تعلق متعددة بأشخاص كثيرة غير الأم والواضح أن وجود شخص مألوف مع الطفل يعمل على خفض انفعالاته في موقف لا يألفه مثلما يفعل وجود أمه معه . ومن الضروري أن نلاحظ أن روابط التعلق تتكون مع أشخاص قد لا يكون لهم دور في شئون رعاية الطفل المعتادة ، ووجود رفيق من نفس العمر أو شقيق من شأنه أن يخفض من التوتر بنفس درجة وجود شخص بديل للأم ، ولكن عموماً يقل اضطراب الأطفال في المواقف غير المألوفة لهم لو أن الأم بصحبتهم عنه لو أن هناك شخص آخر معها . لذا فليس من الصواب أن نخلص إلى أن أي شخص يمكنه أن يؤدي نفس وظيفة خفض التوتر في مواقف الشدة . كذلك فليس هناك أية أدلة علمية تؤيد أن مجرد كون الشخص أُمّاً من شأنه أن يكون له خاصية خفض التوتر في مواقف الشدة . ووفقا للأدلة العلمية القليلة المتاحة لنا فالأرجح أن مدى ارتباط وجود

شخص ما يخفض اضطراب الطفل في مواقف الشدة إنما يتوقف على قوة رابطة التعلق القائمة بينه وبين الطفل ، وبالتالي نطرح فرضية مؤداها أنه حين تكون رابطة تعلق الطفل بأمه أقوى من أية رابطة تعلق أخرى بينه وبين أي شخص آخر فإن الأم في هذه الحالة يكون لها خاصية التخفيف من حدة الإضطراب ، ولكن حين تكون رابطة التعلق بين الطفل وشخص آخر أقوى من رابطة تعلقه بأمه فإن وجود الأم لن يكون له نفس الأثر .

## طبيعة الظروف أثناء الإنفصال / الحرمان :

سبق ذكر أن تحسين الظروف بالمستشفى له أثر طيب في خفض معاناة الأطفال نتيجة إنفصالهم عن أمهاتهم عند دخولهم المستشفى (١٨٥ ، ٤٧٩) فالإنزعاج وشدة الإنفعال لايبديه جميع الأطفال الذين يتم ادخالهم بالمستشفيات (١٣٣) والواضح تماماً أن الظروف أثناء الإنفصال أو وضع الطفل تحت رعاية مؤسسة من المؤسسات يمكن أن تحدث تباينا كبيرا في الإستجابات الإنفعالية للأطفال وان كنا مازلنا نجهل أية ظروف بيئية يمكن اعتبارها هامة في هذا الموضوع . ومنذ الدراسات الهامة التي قامت بها برلنجهام وأنّا فرويد Burlingham & Freud (٨٣) في دار هامستيد للإيواء ، تم التأكيد بشدة على ضرورة إتاحة رعاية أمومية بديلة عالية الكفاءة تتسم بالاستمرار والمحبة والتفاعل الإيجابي . كذلك تم فحص مدى أهمية التنبيهات البيئية في ازالة أو تحسين التأخر النمائي المصاحب للإنفصال أوالحرمان . وقد وجد (٤٨٩) أن أطفال المؤسسات يصبحون أكثر تجاوباً حين يلقون اهتماماً واتصالاً على المستوى الفردي من قبل القائمين على رعايتهم ، كما وجدت دراسة لاحقة (٤٩٦) أن أصوات المناغاة الصادرة عن الرضّع في الشهر الثالث من عمرها يمكن أن تزداد بزيادة كم الإبتسام واللمس والكلام معهم من قبل شخص بالغ . أما كاسلر Casler (٩٦) فقد وجد أن التنبيه عن طريق اللمس كان من شأنه أن يقلل من درجة التأخر النمائي في أطفال المؤسسات .

وقد وجدت الدراسات أيضاً (٥٨١) زيادة في معامل نمو الأطفال بالمؤسسات نتيجة تخصيص ساعة زيادة من الإهتمام والعناية بالطفل من قبل القائمين على رعايته . وهو ما أكده شافر Schaffer (٥٨٥) أيضا حيث أدت زيادة التنبيهات الإجتماعية لأطفال بأحد دور الإقامة إلى عدم تأخر نموهم بمقارنتهم بأطفال مقيمة بمستشفيات لا تتلقى فيها تنبيهات اجتماعية كافية . وفي كلتا الحالتين كانت الأطفال قد ألحقت بأي المؤسستين (المستشفى ، دار الإقامة الداخلية) لمدة قصيرة وبعد إخراج كلا المجموعتين تقاربت معاملات نمو الأطفال كثيرا وتلاشت الفروق الموجودة بينهما ، وهو ما يبين أن تأخر النمو يتوقف على نوعية المؤسسة التي يلحق بها الطفل أكثر مما يتوقف على عوامل بالطفل نفسه . كذلك أظهرت دراسة أخرى (٥٩٠) على أطفال رضع في شهرهم الرابع أن معامل النمو يمكن أن يرتفع في أعقاب فترة من التنبيه المكثف المنتظم مما يؤكد أن تأخر النمو إنما يرجع إلى فقر الموقف البيئي نفسه وليس إلي نقص معين بالأطفال . وبالطبع إذا استمرت ظروف فقر التنبيهات لمدة طويلة فإن ذلك قد يترتب عليه عجزاً واضحاً في القدرات العقلية وجوانب النمو غير أن الدراسة السابقة كانت تركز على الآثار قصيرة المدى للظروف البيئية المحيطة بالطفل أثناء الإنفصال .

## الميكانزمات المحتملة :

اتضح من النتائج التي ناقشناها أن العوامل المعدّلة من الآثار المترتبة على الإنفصال على المدى القصير (وهي الإضطراب والتأخر النمائي) تتنوع كثيرا مما يشير إلى إمكان وجود ميكانزمات تتوقف عليها آثار الحرمان / الإنفصال وتفسيرات محتملة لكل منها . وسيتم فحص كل من هذه الميكانزمات وتفسيراتها المحتملة على نحو منفصل .

## أهو الإنفصال أم البيئة الغريبة على الطفل ؟

تم فحص هذا التساؤل عند تناول العوامل المعدلة أو المخففة لوقع الإنفصال . فالمرض الجسمي ، والإجراءات الطبية غير السارة كإجراء جراحة مثلا قد تمثل خبرات ضاغطة أزمية بالنسبة لصغار الأطفال . ولكن حقيقة أن آثار الإلتحاق بدار للإقامة الداخلية تتشابه إلى حد كبير وتلك المترتبة على دخول الطفل المستشفى يثير كثيراً من الشك حول الإعتقاد بأن مجرد دخول المستشفى وما يصاحب ذلك من خبرات ضاغطة هو العامل الوحيد المرتبط بالآثار السيئة للإنفصال . أما نتائج الدراسات التي فحصت ما لوجود أدوات للعب من آثار طيبة تجعل خبرة دخول المستشفى أقل وقعًا وشدة بالنسبة للطفل فتشير إلى أن العوامل البيئية - بخلاف خبرة الإنفصال - قد تلعب دوراً هاماً في حدوث الإضطراب الحاد المصاحب للدخول بالمستشفى . ويؤيد ذلك ما سجلته نتائج الدراسات من أن الإستجابات الإنفعالية الحادة المصاحبة لخبرة دخول المستشفى تقل عند مقارنة بعض المستشفيات بمستشفيات أخرى .

وعلى كل فالأدلة التي تم مناقشتها من قبل تؤكد أن الإنفصال عن أفراد الأسرة من المحتمل أن يكون سببا رئيسيا وراء المعاناة الإنفعالية الحادة . ففي وجود الأبوين أو أحدهما قد يجد صغار الأطفال أن البيئة غير المألوفة لهم تثير اهتمامهم كخبرة إيجابية جديدة بل وطيبة . غير أن الأمر مع ذلك يتوقف على أي نوع من البيئة غير المألوفة . كذلك تؤكد النتائج أن تأخر النمو الذي يحدث للأطفال أثناء اقامتهم بالمستشفى أمر يمكن التغلب على آثاره ودون إحداث تغيير في مدى عدم ألفة البيئة بالنسبة للطفل ، وهو ما يعني أن عدم ألفة البيئة بالنسبة للطفل ليس عاملا أساسيا في حدوث تأخر النمو .

## أهو الإنفصال أم اضطراب علاقة الصغير بالأم ؟

إن تحليل ما الذي تنطوي عليه خبرة الإنفصال بحيث يجعل لها آثار سيئة - أو يمنع من أن يكون لها مثل هذه الآثار - أمر يثير كثير من المشكلات المنهجية ليس أقلها صعوبة عملية عزل كل مكون من مكونات هذه الخبرة . ولأن الفصل بين كل مكون من مكونات هذه الخبرة أمر لا يمكن القيام به إلا بالإعتماد على التصميم التجريبي ومراعاة الإعتبارات الأخلاقية للبحث العلمي ، لذا فليس أمامنا إلا أن نتجه إلى دراسات الحيوان بحثا عن الإجابة .

وقد قام هايند Hinde ومساعدوه بالتصدي للتساؤل السابق في عدد من الدراسات شديدة الإحكام التجريبي على صغار من قردة الريزوس (١٩٢ ، ٢٩٥) وهناك ثلاثة نتائج رئيسية تتعلق بالتساؤل السابق ، أولها - كما سبق ايضاحه - أن اضطراب الصغير عند حدوث خبرة الإنفصال يتوقف على نوعية علاقته السابقة والحالية بأمه ، ثانيها أن التغيير الذي يطرأ علي نوعية التفاعل بين الصغير وأمه يوماً بيوم بعد اجتماع شملهما بعد فترة انفصال يتوقف على الأم بالدرجة الأولي . وثالثها أن الاضطراب الذي بدا على الصغار عندما تم إبعادها عن أمهاتها إلى بيئة غير مألوفة لها - لمدة لم تزد على ثلاثة عشرة يوماً - كان أقل من ذلك الإضطراب الذي عانت منه الصغار حين تم إبعاد الأم إلى بيئة أخرى ولنفس المدة الزمنية مع ترك الصغار في بيئتهم التي يألفونها . وبمعنى آخر فإن ما يعادل لدى صغار القردة أن « الأم قد دخلت المستشفى » أدى إلى حدوث اضطراب أكثر مما يعادل لديهم أن «الصغير قد ذهب إلى المستشفى» وهي نتائج هامة ومثيرة وبصفة خاصة أن ما ذكر تحت ثالثا يتعارض تماما مع ما كنا نتوقعه . وقد جادل هايند في ذلك مفسرا هذه النتيجة بأن المعاناة الإنفعالية في أعقاب الإنفصال لا ترجع إلى الإنفصال في حد ذاته وإنما ترجع إلى ما يترتب عليه من نتائج خاصة بسلوك الأم ، فحين يؤدي الإنفصال إلى تفكك أو اضطراب علاقة الأم بالصغير فإنه يعاني من جراء ذلك ، أما إذا لم يؤثر الإنفصال علي سلوك الأم فإن إضطراب الصغير قد يقل كثيرا .

وقد كان هايند حريصاً على التأكيد بوضوح على أنه من الضروري اتخاذ الحذر عند تعميم النتائج السابقة على أنواع أخرى غير قردة الريزوس ، مع ضرورة اجراء المقارنة عند المستوى المناسب ، فمثلا قد يكون دور الصغير الإنساني في تحديد التفاعل القائم بينه وبين أمه أكبر من الدور الذي يلعبه صغير الريزوس في تفاعله بأمه . ورغم ذلك يبدو لنا من المنطقي أنه إذا كان اضطراب علاقة الأم بالصغير عامل وسيط في مدى الآثار السلبية التي تترتب على الإنفصال لدى قردة الريزوس ، فقد يكون الأمر أيضا كذلك بالنسبة لبني الإنسان طالما أن الإستجابات للإنفصال تبدو متشابهة إلى حد كبير في كلا النوعين . وفرضية هايند السابقة تبدو لنا على درجة كبيرة من الأهمية النظرية والتطبيقية كما تبرز الضرورة الملحة لقيام دراسات حول هذا الموضوع في الإنسان

## أهو الإنفصال عن الأم أم الحرمان من رعاية الأم ؟

تقوم معظم الدراسات الخاصة بفحص آثار الإنفصال علي المدي القصير على الأطفال الذين يتم ادخالهم المستشفيات ، أو تلك التي يتم ايداعها بأحد دور الإقامة ، وكلا الموقفين تتداخل فيهما آثار الإنفصال عن الأم مع آثار الحرمان من رعايتها . وفي السياق الحالي يستخدم مصطلح الإنفصال ليشير إلى فقد الطفل الفعلي لمثل الأمومة دون أن يكون هناك حرماناً بالضرورة من الرعاية الأمومية . أما مصطلح « الحرمان » فيقصد به فقد الرعاية الأمومية دون أن يكون هناك فقد لمثل الأم (٣٠٥) وهناك أدلة مستفيضة تؤكد أنه حتى في أفضل المؤسسات ودور الإقامة الداخلية فإن الرعاية الأمومية المتاحة تختلف في كل من نوعها وكمها عن تلك التي تتاح في اطار الأسرة (١٣٧ ، ٣٣٤ ، ٤٩٠ ، ٦٨٠) .

والسؤال إذن هو ما إذا كان الإنفصال عن شخص تم اقامة رابطة تعلق به يؤدي إلى المحنة النفسية والإنفعالية حتى بالرغم من توافر رعاية أمومية جيدة المستوى وعدم وجود أية ظروف ضاغطة أخرى في البيئة ( ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٧) ولسنوات عديدة يؤكد كل من بولبي وباركس Bowlby & Parkes (٦١) أن

ذلك هو ما يمكن أن يحدث في واقع الأمر . فالإنفصال تترتب عليه استجابة الآسي ، مثله مثل الفقد . وفقد الشخص الذي تعلق به الطفل هو ما يبدو حاسما في هذه القضية وليس مجرد فقد الرعاية الأمومية (هذا رغم تأكيد كلاهما على أن الضرر يتضاعف لو أن الواقعتين قد حدثتا معًا) والسؤال إذن جوهري لأن الإجابة عليه لها دلالات بعيدة تتعلق بمدي ما يمكن القيام به حتى نتجنب حدوث الآلام النفسية التي يعانيها الطفل خلال خبرات الإنفصال .

ويبدو أنه لن تكون لدينا أدلة من أبحاث الحيوان في هذه النقطة بالذات ذلك لأن الإنفصال عن الأم في معظم أنواع الحيوان يؤدي حتما إلى نوع من الحرمان من رعاية الأم .

أما في الإنسان فالأمر ليس كذلك لأنه يمكن أن تتغيب الأم ومع ذلك يكون هناك من يُهيىء رعاية أمومية كافية تمامًا ، ورغم أن تلك الرعاية قد لاتتطابق تمامًا وتلك التي تتيحها الأم نظرًا لإختلاف أسلوب تفاعل الأم عن ذلك الخاص بمن يتولى رعاية الطفل في عدم وجودها إلا أنها تتشابه معها على الأقل من حيث الكم والنوع إلى حد كبير .

ولعل أكثر دليل مقنع على أن الإنفصال في حد ذاته يعتبر متغير رئيسي في حدوث الإضطراب هو النتائج التي أبرزت كيف أن وجود أشقاء أو أشخاص يألفهم الطفل معه من شأنه أن يقلل المحنة النفسية المترتبة على الإنفصال عن الأم أو أي موقف ضاغط آخر وهو ما يحدث حتى رغم أن الشخص المصاحب للطفل لا يقدم له أي نوع من الرعاية أو يحسن مما هو متاح له من رعاية ، فوجود شخص مألوف قد يساعد الطفل على الحفاظ على الروابط .

وتساعد الدراسات التي قام بها روبرتسون وروبرستون Robertson & Robertson على إيضاح الأمر بالنسبة للتساؤل السابق . فقد وجدت هذه الدراسات (٥.٦ ، ٥.٧ ، ٥.٨) وبتصوير أفلام لأطفال تمر بخبرة إنفصال

قصيرة المدى عن أمهاتها في موقف ضاغط كإدخال الطفل المستشفى أو وضعه في رعاية أسرية بديلة ، أو دار للإقامة الداخلية أنه بتثبيت واقعة الإنفصال في جميع الحالات فإن ما يترتب على هذه الخبرة من آثار إنفعالية سيئة يمكن أن تقل كثيرا إذا ما تحسنت نوعية الرعاية الأمومية أثناء الإنفصال . ورغم أن تصميم دراسات روبرتسون وروبرتسون كان يختلف تمام الإختلاف عن ذلك الخاص بدراسات هايند على قردة الريزوس (السابق عرضها) إلا أنه ينبغي مراعاة أن الخلاصة تتشابه إلى حد كبير وهو أن الإنفصال في حد ذاته قد لا يكون عاملا رئيسيا في حدوث المحنة النفسية إنما العامل الرئيسي هو ما يصاحب الإنفصال من تشوه لعلاقة الصغير بالأم Distortion of mother - Child relationship والأمر بحاجة إلى دراسات مقارنة محكمة الضبط غير أن الأدلة المتاحة لنا تشير إلى أنه رغم أن الإنفصال قد ينشأ عنه شدًا انفعاليًا كبيرًا إلا أن الإضطراب الذي يعقب ذلك فقط قد يكون أقل كثيرًا عن ذلك الذي يحدث حين يكون الإنفصال مصحوبا بالحرمان من الرعاية الأمومية . فالأمر إذن هو مدى الإبقاء على العلاقة دون تفكك أو تشويه . وبالإختصار فإن نتائج آل روبرتسون تؤيد الفرضية القائلة بأن إحداث تفكك في الرابطة القائمة بين الطفل وأمه هو المتغير الرئيسي طالما ندرك تمامًا أن ذلك التفكك ليس نتيجة تترتب بالضرورة على حدوث الإنفصال . والأدلة التي تم مناقشتها قبل ذلك والمتعلقة بالتأثير الملطف لوجود شخص مألوف في المواقف الضاغطة – رغم أن الرعاية الأمومية لا تتغير كما أو نوعًا – تعطي تأييدا لهذه الفرضية كما تعتبر دليلا مناقضا لكون أن الحرمان من الرعاية الأمومية فقط يمكن أن يكون تفسيرا كافيا للمحنة التي تعقب الإنفصال.

والأدلة العلمية الراهنة لا تسمح لنا بالقطع بما إذا كانت المحنة النفسية أثناء الإنفصال ترجع إلى إحداث تفكك في رابطة التعلق أم إلى التدخل في سلوك التعلق عمومًا وليس سلوك التعلق الموجه لشخص بعينه . ورغم ذلك ففي كلتا

الحالتين يبدو أن الإنفصال فقط في حد ذاته ليس المتغير الرئيسي بل أنه تشوه العلاقات وتفكك الرابطة من ناحية ، والإضرار بسلوك التعلق من ناحية أخرى ، أما أي هذين العاملين له التأثير الأكبر فإن ذلك يتطلب مزيداً من الدراسات لتحديد الأهمية النسبية لكل منهما في علاقته بمحنة الإنفصال .

وتختلف التفسيرات المتعلقة بحدوث تأخر في النمو عقب الإنفصال عن التفسيرات السابقة ذلك لأن التأخر الشديد في النمو قد حدث لأطفال ولدت في المؤسسات أو أدخلت إليها في الشهر الأول من أعمارها حين لم تكن قد أقامت أية علاقات تعلق كما أن قدراتها على التمييز بين البالغين القائمين على رعايتها محدودة للغاية (١٤٥) كذلك أمكن تغيير في تأخر النمو بمجرد زيادة التنبيهات الملائمة دون احداث أي تغيير في الموقف من حيث الإنفصال . ومرة أخرى فإن الإنفصال في حد ذاته لايمكن أن يفسر حدوث التأخر النمائي .

وتشير الأدلة المتاحة بشكل واضح إلى أن التأخر النمائي يرجع إلى شكل من أشكال الحرمان من التنبيهات وليس إلى أي نوع من أنواع الإنفصال . أما ما يبقى غير مؤكد أمامنا فهو الأهمية النسبية لتأخر جوانب النمو المختلفة ، فالتأخر قد يؤثر على مجموعة عريضة من الوظائف النمائية كالكلام والتآزر الحركي والتحكم في المثانة – وفقا لنقص أنواع التنبيهات المختلفة اجتماعية أم ادراكية أم حركية أم لغوية – والمرجح أن الوظائف النمائية المختلفة تتطلب أشكالا مختلفة من التنبيهات اللازمة لتقدم نموها .

## أهو الحرمان أم أنه نقص التنبيهات ؟

من الواضح أن تأخر النمو إنما يرجع إلى انعدام أو قصور التنبيهات وليس إلى فقد هذه التنبيهات . وعلى ذلك فإن إنعدام أو قصور التنبيهات لهو تعبير أكثر دقة من مصطلح الحرمان . ويختلف الموقف مرة أخرى فيما يتعلق بزملة أعراض المحنة النفسية في أعقاب الإنفصال ، فالأطفال الذين لم يسبق لهم أبدا أن أقاموا

علاقة تعلق بشخص ما لاتظهر عليهم زملة أعراض المحنة النفسية المعروفة التي تترتب على الإنفصال (وإن كانت تعاني عادة من اضطرابات أخرى أكثر خطورة نناقشها في الفصل الرابع والخامس عند تناول الآثار بعيدة المدى للحرمان) وعلى ذلك فإن زملة أعراض المحنة الإنفعالية الحادة Acute Distress Syndrome إنما ترجع بالأرجح إلى الحرمان وليس إلى الإفتقار وعدم وجود رابطة تعلق ، أما ما إذا كان الحرمان ينطوي على تفكك الرابطة قائمة أم فقد الفرصة لإقامة رابطة فإن ذلك سيتم فحصة فيما يلي مباشرة .

## أهو الإنفصال عن الأم أم أنه الإنفصال عن شخص مألوف ؟

تؤكد الأدلة الخاصة بأن أعراض محنة الإنفصال تقل كثيراً بوجود أخ أو أخت أو صديق في الموقف حتى مع استمرار غياب الأم على أن الإنفصال عن الأم في حد ذاته ليس هو الأمر الحاسم .

ومن الغريب أن نعتبر أن دراسة الأطفال بالمستشفيات أو دور الإقامة الداخلية تمثل الإنفصال عن الأم في حين أنها تمثل في الواقع انفصالا عن الأم وعن الأب وعن الإخوة والأخوات وجو الأسرة عموماً » وليس هناك دراسات فحصت آثار الإنفصال عن الأب ، إذ أن تأثير غياب الأب على المدى القصير قد أغفل كثيرا في الدراسات . ويتوقف مدي تحسن المحنة الإنفعالية المترتبة على الإنفصال عن الأم وفقا لوجود أي أفراد الأسرة وأي الأصدقاء . فالمحنة النفسية الحادة المصاحبة للإنفصال ليست نتيجة لفقد رعاية الأم ذلك لأنها تقل كثيرا في وجود شقيق قد لا يتجاوز السنتين من عمره . والأدلة المتاحة تؤكد أن المتغير الرئيسي هو مدى قوة تعلق الطفل ، فالطفل بحاجة لوجود شخص قد تعلق به وليس من الضروري أن يكون هذا الشخص هو أمه . وهو بحاجة إلى الرعاية الملائمة التي إن لم تتاح له بشكل كاف فإنه يعاني من جراء ذلك ؛ ومع ذلك فتلك الرعاية لا ينبغي بالضرورة أن يقدمها أكثر من يتعلق بهم الطفل وجدانيا ، وإذا

ثبتت صحة ذلك حينئذ يتحقق تأكيد بولبي وغيره (٥٦ ، ٥٧) على أهمية سلوك وروابط التعلق ، كما يكون من غير الصواب أن نربط بينه وبين تهيئة الرعاية الأمومية للطفل وحينئذ ستختلف الدلالات التطبيقية كثيراً عما إذا كان الأمرهو تعلق مطلق بالأم فإذا كان تكوين الروابط أو العلاقات الأساسية هو الأمر الأكثر أهمية (وليس مجرد تكوين رابطة تعلق فقط بين الأم والطفل) حينئذ يكون لمصلحة الطفل أن نشجع اقامته لعلاقات تعلق متعددة بعدد من الأشخاص وليس بفرد واحد فقط بحيث إذا تغيب أحدهم كان الآخر موجوداً . والأكثر من ذلك - وفقا لهذا التصور - أن الإنفصال لا ينبغي حينئذ أن نعتبره مرادفًا لتفكك العلاقة . فإذا إعتاد الطفل على الإقامة بين الحين والحين لدى أصدقاء أو أقارب لمدد قصيرة وفي ظروف طيبة فمن الأرجح أن يتعلم أن الإنفصال أمر مؤقت وقد يكون خبرةسارة وبناء على ذلك فإن حدوث إنفصال حتمي في ظروف غير سارة (كإقامته بالمستشفى دون أمه أو إقامة أمه بالمستشفى دونه) من المحتمل أن يكون أقل إثارة للإضطراب والمعاناه .

أما تأخر النمو ، فبالقدر الذي يمكن أن نحدده حتى الآن ، فهو لايرجع إلى إحداث تفكك للعلاقات والروابط من أي نوع وإنما بالأحرى إلى قصور الرعاية أو إنعدام التنبيهات من أي نوع .

## أهو تفكك كل الروابط أم تفكك رابطة معينة ؟

قام الجدل العلمي السابق على أساس افتراض أن تفكك رابطة تعلق واحدة قد يكون أقل صدمية إذا ما ظلت الروابط الأخرى قائمة ، عنه إذا كانت هذه الرابطة هي علاقة التعلق الوحيدة المتاحة للطفل . وقد يبدو ذلك على أنه أمر واضح منطقي ولكن الأدلة المؤيدة له تكاد تنعدم . وقد حصل روزنبلوم Rosenblum (٥٢٠) على بعض النتائج الإستطلاعية من الدراسة على الحيوان وهي تشير إلى أن الإضطراب الذي يعقب الإنفصال بين الأم والصغير لدى القردة السنجابية يقل كثيرا حين يكون الصغير قد قامت على رعايته احدى «الخالات» من القردة البالغة

التي تظل متواجدة معه طوال فترة إنفصال أمه عنه . كذلك ففي الأفلام التسجيلية التي صورها روبرتسون وروبرتسون (٥٠٧) لطفلة في منتصف عامها الثاني أقامت لديهما لمدة عشرة أيام انفصلت فيها عن أسرتها ، كان هناك نوعًا من التوتر البادي على الطفلة حين حان الوقت لتفترق عنها وتعود لأمها . ومثل هذه الملاحظات السابقة تشير إلى أن تفكك إحدى الروابط من بين عدد من العلاقات القائمة قد يصاحبه بعض الشد الإنفعالي ، غير أن نفس الملاحظات تشير أيضًا أن ذلك الشد الإنفعالي يقل كثيرًا عما إذا كان الأمر يتعلق بتفكك رابطة وحيدة قائمة . والأمر بحاجة لمزيد من الدراسات المنظمة .

## أهو تفكك الروابط أم أنه فقد سلوك التعلق ؟

سبق أن أشرنا إلى أن المحنة المرتبطة بإدخال الطفل في دار للإقامة الداخلية تنطوي على كل من الإنفصال عن كل من يألفهم الطفل من أشخاص ووجود رعاية ينقصها شدة وكثافة التفاعل وفرديته بحيث أن علاقات التعلق التي اعتادها الطفل لا يمكن لها أن تنمو مرة أخرى . فأي المتغيرين السابقين أكثر أهمية ؟ وتقل الأدلة العلمية حول ذلك الموضوع بشكل كبير رغم أن ما سجله آل روبرتسون قد يساعدنا بعض الشيء فالأطفال اللذان قاما برعايتهم رعاية بديلة لم تكن لهما معرفة بهم إلا لمدة أسابيع قليلة سابقة على خبرة إنفصالهم عن أمهاتهم بحيث يمكن القول بأن أية روابط تعلق سابقة للأطفال بهما من الأرجح أن تكون ضعيفة جدا ، غير أنهما كانا مألوفين للأطفال كما أن آباء تلك الأطفال ظلت على زيارتهم بشكل منتظم في فترة وجودهم مع الباحثين المذكورين ، بمعنى أن الإنفصال كان جزئيا فقط . ويمكن القول أن كلا من إنفصال الطفل عن جميع من يألفهم والرعاية التي لا تتيح الفرصة لتكوين روابط تعلق جديدة يمثل للصغير خبرة ضاغطة أزمية لها تأثير فعال، وجدير بالذكر أن الرعاية البديلة للأطفال الذين افترقوا عن أسرهم كثيرًا ما تنطوي على كل من الحرمان من فرصة إقامة روابط

وجدانية والإنفصال عن جميع من كان يألفهم الطفل قبل ذلك .

**مناقشـــة :**

تشير الأدلة العلمية بقوة إلى دور عدد من الميكانزمات النفسية في نشأة المحنة الإنفعالية الحادة والتأخر النمائي كإستجابات قصيرة المدى للحرمان . ويمكن تفسير تأخر النمو وفقًا لقصور أو انعدام التنبيهات البيئية وليس وفقًا لفقد هذه التنبيهات . أما ما يبقى غير مؤكد فهو ما إذا كانت التنبيهات الإجتماعية التي تتاح من خلال التفاعل مع أشخاص آخرين هي الأكثر أهمية أم أنها التنبيهات الإدراكية الحركية المتاحة من خلال خبرات اللعب ، أم أنها التنبيهات اللغوية التي يتيحها الحوار وتبادل الكلمات ذات المعنى على أساس فردي مع الطفل . والمتوقع أن الأنواع الثلاث من التنبيهات تعتبر لازمة لجوانب متعددة من جوانب النمو .

وعلى النقيض مما سبق يمكن ارجاع زملة أعراض الإنفصال (كما تبدو في متتالية الإحتجاج واليأس ثم زوال التعلق) إلى الحرمان بمعنى فقد لأحد جوانب علاقات التعلق وليس عدم وجود هذه العلاقات أما ما إذا كان الأمر الأكثر أهمية في ذلك هو فقد للعلاقة بشخص يتعلق به الطفل على نحو خاص أم أنه فقد لفرصة إقامة علاقات تعلق بالآخرين فمازال ذلك أمر غير مؤكد . ورغم أن هذه الآثار قد تترتب على الإنفصال عن الأم بل أنها تحدث بصفة خاصة معه إلا أنه ينبغي أن نضع في الإعتبار إلى أنه ليس هناك ما يوحي بأن دور الأم في حد ذاته له أهمية نوعية خاصة وهناك أدلة كثيرة تؤيد أنه ليس كذلك ، فالأم عادة هي الشخص الذي يقوم بأقصى ما يمكنه من رعاية للطفل ، وهي أكثر شخص يألفه الطفل ، كما أنها أكثر من يهيىء له الراحة والطمأنينة ولهذه الأسباب مجتمعه فإن وجودها من الأرجح أن يكون أكثر أهمية من وجود أي شخص آخر ، ولكن أهميتها إنما تنشأ لا من كونها أما في حد ذاته وإنما من إتصالها الوثيق بالطفل

على النحو الذي شرحناه وتتوقف مدى هذه الأهمية النسبية بمقارنتها بباقي أفراد الأسرة على نسق العلاقات القائم في كل أسرة بعينها ومن وجهة نظر المؤلف (مايكل راتر) فإن نظريات الأمومة تعادل بشكل آلي بين تفكك الروابط وبين الإنفصال كما أنها محدودة النظرة لإعتبارها أن الأم هي الشخص الوحيد ذو الأهمية في حياة الطفل وأن الحب هو العنصر الهام الوحيد في الرعاية الأمومية الكافية .

وحتى هنا أهتم العرض الحالي بالميكانزمات النفسية وراء الآثار قصيرة المدى للحرمان ، ومن الضروري بمكان ألا نتغاضى عن الأدلة العلمية الهامة (التي ذكرت باختصار) والتي تؤكد أن الأطفال تتنوع استجاباتها للإنفصال والحرمان بشكل كبير ، كما أن تفاعل أي الوالدين بالطفل هو عملية إيجابية مستمرة ذات اتجاهين تكون فيها خصائص الطفل مُحدد هام لكيفية تطورها (٢٨) .

## ٣ - الآثار بعيدة المدى للحرمان

### العوامل المخففة

إن القضية الأساسية لاعتبار أن «الحرمان من الأم» سبب لحدوث اضطراب بعيد المدى إنما تقوم على عدد كبير من الدراسات الإكلينيكية ، فقد لاحظ بندر Bender (٣٤) وبولبي (٥٠) وغيرهما (ممن قام بولبي بعرض وافٍ لدراساتهم في مؤلفه عام ١٩٥١ (٥١) مدى تكرار ارتباط الجناح وانعدام المشاعر السيكوباتي بتعدد خبرات الإنفصال في الطفولة والرعاية بالمؤسسات الإيوائية . كذلك وجدت عدة دراسات علاقة أكيدة بين الجناح والتفكك الأسري (٧٣٠ ، ٧٣٩) كما أظهرت الدراسات على أطفال المؤسسات وجود تأخر لغوي شديد وتأخر عقلي لدى هؤلاء الأطفال (٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨) ووجد أيضاً أن الأطفال المصابين بتلف عضوي بالمخ كما هو الحال في الفئة المغولية Mongolism تحرز تقدماً نمائياً أقل مما يمكن أن يحدث في وجودها في إطار الأسرة [١٩٧ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٦٤٤) وبناءً على ملاحظات سابقة لأطباء الأطفال حول تأخر زيادة وزن أطفال المؤسسات وجدت دراسات حديثة نسبياً علاقة بين القزمية وفشل النمو من ناحية وتاريخ من الرفض من قبل الأم وإنعدام الدفء من ناحية أخرى (٤٥٩) كذلك وجدت الدراسات على البالغين علاقة سببية بين الحرمان من الأم . والإكتئاب (٥٤٢) كما ارتبط التفكك الأسري بالإكتئاب لدى الأطفال (٩٣) .

ويمكن أن نخلص بأن اضطرابات السلوك Conduct disorders واضطراب الشخصية وتدهور الجوانب اللغوية والمعرفية والنمو الجسمي وجدت جميعها في أطفال عانوا بشكل أو آخر من اضطرابات خطيرة في حياتهم

الأسرية الباكرة ، وهذه الاضطرابات يتم الجمع بينها بشكل عام غير محدد تحت مصطلح «الحرمان من الأم» . ولكن هذه الاضطرابات الأسرية وما ترتب عليها من نتائج تبدو جميعًا غير متجانسة بل ومتغايرة في خواصها ، وكما هو الحال عند تناول آثار الحرمان على المدى القصير فإنه ينبغي تحديد أي نوع من الحرمان تترتب عليه أي نتائج على المدى الطويل .

## الآثار بعيدة المدى للخبرات الباكرة :

قد يكون من المفيد أن نفحص بعض الأدلة المتاحة المتعلقة بما للخبرات الباكرة من تأثير كبير على الأداء الوظيفي اللاحق وذلك نظرًا لوجود الإدعاء القائل في بعض الأحيان بأن النمو النفسي تحدده الوراثة بما لايسمح للبيئة إلا بقدر يسير من التأثير ذو المعنى .

وتأتي الأدلة العلمية الأكثر اقناعًا من الدراسات التجريبية على الحيوان حيث يمكن التحكم في المتغيرات بما يتيح قياس أثر كل منها . وتشير عديد من الدراسات أن المعالجة التجريبية للبيئة يمكن أن يترتب عليها آثارًا بعيدة المدى على النمو ، وهذه الدراسات تبين أيضًا أن المعالجة التجريبية لأحد أشكال السلوك قد تؤدي إلى ظهور وتطور سلوك آخر يبدو مختلفًا ظاهريًا .

والأدلة المؤيدة للعبارات السابقة مستفيضة (٢٩٥ ، ٦٢٣ ، ٦٦٨) لدرجة أنه يكفي ذكر عدد قليل من الأمثلة لإيضاح مدى اتساع هذه الآثار على نمو الخبرات الباكرة ، ومدى تعدد الأنواع Species . التي ظهر لديها آثار تنوع واختلاف المعالجة التجريبية للبيئة .

وربما كان أفضل مثال للتعلم الباكر ومدى استمرار تأثيره في البلوغ هو ظاهرة البصم (٢٩١) ففي خلال فترة قصيرة حرجة في بداية الحياة ، تقوم صغار الطيور التي أفقست حديثًا بتتبع مجموعة عريضة من الأشياء التي تتحرك. وهذه «الموضوعات» ، التي تتعلم الصغار أن تتبعها في المرحلة الحرجة هي نفس

«الموضوعات» التي تظل تتعلق بها فيما بعد بحيث تقوم الطيور بتتبع أي شيء متحرك (من علبة كبريت يجرها شخص ما إلى إنسان يمشي) تم بصمها عليه . وعلى العكس فإن الصغار لاتتبع أبداً أي شيء أو موضوع لم يتم بصمها عليه ، بمعنى أنها قد لاتتبع أمهاتها نفسها إذا لم تكن الأم هي الموضوع الذي بصمت عليه في المرحلة الحرجة . كذلك هناك ظاهرة أخرى (ظهرت في وقت لاحق لظاهرة البصم) وهي اختيار الطائر البالغ لموضوعه الجنسي (١٨٢) فالطيور التي تعلمت أن تتبع أحد بني الإنسان في بداية حياتها ، ستبدي سلوكاً جنسياً تجاه بني الإنسان حين تبلغ نضجها الجنسي ، وقد وجد أيضاً تأثير للخبرة السابقة على السلوك الإجتماعي وسلوك التكاثر في كل من الأسماك والفئران والخراف ، بل تقريباً في معظم مجموعة الفقريات (٢٩١) .

كذلك أظهرت مجموعة عريضة من الدراسات (٦٩ ، ٣٨٦) خللاً معرفياً وادراكياً يترتب على الحرمان الباكر من المثيرات . فقد وجد على سبيل المثال أن التنبيهات البصرية ذات الأنساق تعتبر ضرورية لتطور أشكال السلوك التي تعتمد على الإبصار (٥٠٠) وقد ذهب هيلد وزملاؤه Held . (٢٧٦ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠) إلى مدى بعيد في ذلك حيث أوضحوا على كل من القطط والقردة أن الخبرة البصرية الإيجابية – وليست الخبرة السلبية – أمر شديد الأهمية ، فالحيوانات التي كانت خبراتها البصرية ناتجة عن حركاتها النشطة الإيجابية كانت تقديرها للمسافات والفراغ (وفقاً لقياس مواضع المخالب ولتجربة الإنحدار البصري Visual Cliff) أفضل بكثير من الحيوانات التي كانت خبراتها البصرية نتيجة نقلها من مكان إلى آخر بشكل سلبي .

وقد أوضح ليفين Levine . (٣٦٦) وآخرون ما يترتب على التنبيهات البسيطة في بداية الحياة من آثار نفسية وجسمية ، فالفئران التي تم تنبيهها كانت أقل انفعالية وأكثر وزناً ، كما كانت أبكر في فتحها لأعينها عن تلك التي لم يتم تنبيهها ، كذلك نضجت لهذه الفئران بعض وظائف الغدد المرتبطة بالاستجابات

الإنفعالية للضغوط والأزمات . ولكن مع ذلك هناك بعض الإختلافات داخل النوع الواحد في ما للتنبيهات الباكرة من آثار ، كما أن ميكانزمات ذلك ليست واضحة تماماً ، فبعض التغيير ينشأ عن التأثير المباشر لهذه التنبيهات على الصغار ، وبعض آخر يبدو نتيجة لتغيير سلوك الأم تجاه صغارها (٢٠) .

وقد سجل الدارسون (٢٩٧ ، ٦٣١) ما يترتب على الإنفصال لمدى قصير عن الأم من آثار لدى قردة الريزوس ، فبعد انقضاء خمسة شهور عن واقعة الإنفصال ورغم أن سلوك الصغار كان في حدود ما يمكن أن نطلق عليه طبيعي إلا أن الصغار التي سبق أن انفصلت لمدة قصيرة عن أمهاتها كانت أقل استطلاعاً للبيئة ، وأقل رغبة في الإقتراب مما هو غريب من الأشياء ، وأكثر حرصاً في المواقف الجديدة وذلك بمقارنتها بالمجموعة التي لم يسبق أن كانت لها خبرة انفصال لمدة قصيرة عن أمهاتها . وقد استمرت بعض هذه الفروق حتى بعد انقضاء عامين على حدوث هذه الخبرة .

أما الآثار السيئة للعزلة الكاملة فقد سجلها هاري هارلو Harlow ومساعدوه (٢٥٠ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧) في دراسات عديدة . فقد عانت صغار الريزوس التي تم عزلها لمدة ستة أشهر في بداية حياتها من اضطرابات جسيمة في سلوكها الإجتماعي والجنسي عند البلوغ . وقد تأيدت هذه النتائج من قبل باحثين آخرين (٤٠٥ ، ٤٢٣) كذلك يتأثر السلوك الإنفعالي بشكل ملحوظ بالعزلة في بداية الحياة . فقد أبدت قردة هارلو استجابات خوف شديد عندما تم انهاء حالة العزلة ، كما أن قردة الشمبانزي التي نشأت في بيئة محدودة التنبيهات كانت تتجنب تماماً الجديد من الأشياء أو المواقف (٤١٧) كما أن الكلاب التي لقيت بيئة قاصرة في بداية حياتها كانت تبدي زيادة في الحركة وسرعة في الإستثارة والتهيج هذا إلى جانب بطء تعلمها لكيفية تجنب المثيرات المؤلمة كالصدمات الكهربية أو الحروق (٤١٦ ، ٦٧٠) وقد أوضح ملزاك Melzack (٤١٥) أن قصور التنبيهات في بيئة النشأة من شأنه أن يزيد من حدة المنبهات في أي موقف

للإختبار (إذ بسبب هذا القصور تكون المثيرات المألوفة للحيوان العادي غريبة تماماً عن آخر حدود البيئة) وهو ما يمكن أن يفسر بعض أشكال السلوك المضطرب الذي يبديه الحيوان .

ولعل أحد أهم الجوانب المتعلقة بقصور التنبيهات في بيئة الحيوان هو مدى تشابك وتعقيد المساويء الناتجة عن ذلك بحيث يصبح من العسير تحديد أية عناصر هذا القصور تؤدي إلى أية نتائج ومن خلال أية ميكانزمات . ويتضح ذلك من التجارب التي أجريت على القطط للوقوف على أثر تربية صغار هذا الحيوان في الظلام أو في غياب مثيرات بصرية ذات أنساق واضحة (٢٠٨ ، ٢٧٦ ، ٥٠٠) فقد ترتب على ذلك زيادة خوف صغار القطط في المواقف الجديدة وضعف القدرة على حل المشكلات والمهام المعرفية الأخرى ، وزيادة في الأخطاء الإدراكية، وعيوب بالشبكية مع خلل في منطقة الرؤية بالمخ . وهذه الدراسات لاتؤكد فقط أن السلوك يتوقف على الخبرة لكي يتطور وإنما تؤكد أيضاً أن التنبيه الحاسي يؤثر على النمو العصبي . وتشير النتائج للتجارب على الفئران – من الناحية الأخرى – أن التنبيهات الباكرة قد تؤدي إلى حدوث تغيير في تركيز العناصر الكيميائية وزيادة وزن القشرة المخية (٥٢٥ ، ٥٢٦) أما الخلل الوظيفي للقشرة المخية المترتب على انعدام أو نقص التنبيه الحاسي فمن الأرجح أنه ينشأ عن اضطراب وظائف الحس وكذلك عن عدم استخدام الحاسة المعينة. والأدلة وافية من دراسات الحيوان تؤكد أن بعض الظروف في الحياة الباكرة يمكن أن يكون لها آثار بعيدة المدى ، وهذه النتائج مثيرة بما يكفي أن يجعل من المفيد أن تقوم الدراسات بفحص النتائج بعيدة المدى المترتبة على الحرمان من الأم ، في الإنسان .

ويلخص دينبرج Dennenberg (١٤٣) آثار الخبرات الباكرة على النمو اللاحق في خمسة نقاط أساسية وذلك استناداً لما ظهر من نتائج لدراسات قام بها على الفئران ، وهذه النقاط هي : أن الصفات الوراثية يمكن أن تعدلها الخبرات الأولى بدرجة كبيرة ، أن الخبرات الباكرة في بداية الحياة يترتب عليها آثار بعيدة

المدى ، أن الخبرات الباكرة هي أحد الأسباب الرئيسية وراء الفروق الفردية ، أن الخبرات الباكرة لها آثار متعددة وأن العمر الزمني الذي يتم فيه تقديم التنبيهات المتنوعة عامل أساسي .

والآراء العلمية السابقة تبدو مستندة علي أسس جيدة ، ويمكن أن تنطبق ليس فقط علي الفئران ، غير أن الأمور لها وجه آخر ، إذ يمكن الإدعاء (وعن حق) بأن طريقة استجابة الفرد لبيئته تتأثر كثيراً بتكوينه الوراثي . والأطفال تستجيب انتقائيًا للمثيرات وفقًا لخصائص نموهم المميزة لهم ، وهم ليسوا بمستقبلين سلبيين لما يرد لهم من مثيرات بل بالأحرى أنهم أنفسهم يثيرون استجابات ممن حولهم من أشخاص (٢٩ ، ٧٣٨) . والخصائص المميزة للأطفال تساعد على تحديد كيفية استجابة نويهم لهم (٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ١٣٠ ، ٣٧٠ ، ٧٣٦) . وقد يكون أحد أطفال أسرة ما محرومًا بينما الآخرون من أطفال نفس الأسرة ليسوا كذلك بسبب ماله من خصائص نفسية معينة . وكما أشار بيرجر وباسنجهام Berger & Passingham (٣٥) في عرضهما المتعمق لهذا الموضوع فإن أهمية الفروق الفردية في الإستجابة للحرمان أمر تم التقليل من شأنه بل واهماله في الدراسات .

### الأهمية الخاصة لمرحلة الرضاعة Infancy :

من المعتقد أن مرحلة الرضاعة لها أهمية خاصة في النمو بما يجعل تأثير البيئة في هذه المرحلة من الحياة الباكرة له أهمية حاسمة على النمو فيما بعد بغض النظر عن الخبرات اللاحقة . وهذا الرأي آثار الكثير من التشكك والجدل في عدد من الأعمال والحق أنه ليس هناك أدلة تقطع بأن التأثير الحاسم للعوامل البيئية مقصور على مرحلة الطفولة الباكرة (١٠١ ، ٦٤٩ ، ٦٥٥) .

ويثار في هذا الموضوع قضيتان أساسيتان : الأولى هي ما إذا كانت هناك فترات حرجة يكون الفرد فيها أكثر حساسية لخبرات معينة دون غيرها ، والثانية

هي ما إذا كانت آثار خبرات الطفولة الباكرة تفوق آثار أية خبرات في وقت لاحق من الحياة .

وقد تبين وجود فترات حساسة لنمو مجموعة عريضة من الوظائف في أنواع مختلفة من الحيوان (على سبيل المثال ظاهرة البصم التي سبق الإشارة إليها) ففي الفئران وصغار الجرذان يتنوع تأثير التنبيهات الباكرة وفقًا للعمر الزمني الذي حدثت فيه هذه التنبيهات (٣١ ، ٢٨٢ ، ٣٦٦) كما أن الخلل الذي يصيب وظائف القشرة المخية في أعقاب انعدام أو قصور التنبيهات البصرية في بداية الحياة ، لايحدث إذا جاء هذا القصور في مرحلة البلوغ واكتمال النضج (٧١٥) كذلك فالعزلة الإجتماعية لكبار الشمبانزي لايكون لها تأثيرًا ضارًا على الحيوان بنفس درجة الضرر التي تحدث عند العزل الاجتماعي لصغار هذا الحيوان (١٣٦) كما أن الإضطراب المترتب على العزلة الاجتماعية للكلاب يكون أكثر شدة حين يتم عزل صغار هذا الحيوان في الفترة ما بين أربعة أسابيع إلى أربعة عشر أسبوعًا من عمرها (٥٩٨) .

أما بالنسبة للإنسان فإن وجود فترات حساسة لم يتم التوصل إلى نتائج بشأنه غير أنه يمكن قبول احتمال حدوث مثل هذه الفترات في حياة الإنسان .

وينبغي ملاحظة أن هذه الفترات ليست ثابتة ومحددة نظريًا كما أنها ليست مطلقة (ومن ثم كان الإستخدام الحديث لمصطلح حساسة بدلاً من حرجة) فعلى سبيل المثال يتوقف تأثير العمر الزمني على استجابة صغار الفئران للتنبيهات على مدى قوة وشدة هذه التنبيهات (١٤٤ ، ٤٤١) علاوة على أن وجود «فترة حساسة» يتوقف على كل من الفروق المتعلقة بالعمر الزمني ، كما يتوقف بنفس درجة الأهمية على الصفات العامة للحيوان مثل الإستجابة الإنفعالية أو أي ميل للاستجابة بشكل خاص لمثير معين (١٩٥) .

وفيما يتعلق بالأهمية البالغة لخبرات المرحلة الباكرة من الحياة فالمؤكد أن

بعض آثار انعدام التنبيه أو قصوره تظل قائمة بشكل دائم كما تقاوم أي تأثير إيجابي لاحق . فالقطط التي سبق تعريضها لحرمان شديد من المثيرات البصرية لم تتمكن من التحسن فيما بعد (٧١٧) ومع كل فمن الخطأ أن نعمم ذلك ، فالأهمية النسبية لكل من التأثير الباكر واللاحق إنما تتوقف على نوعية وشدة خبرات الحياة في كل مرحلة عمرية. وعلى الوظائف النمائية المتعلقة بتلك الخبرات، وعلى نوع الحيوان نفسه . وفي حالات كثيرة كان للخبرات اللاحقة تأثير ملحوظ .

وتظهر لنا مدى أهمية الخبرات في المراهقة بما أكدته الدراسة للبصم على الطيور المنزلية حيث ترتبط ظاهرة البصم كلاسيكيًا – وإن كان خطأ– بآثار دائمة على السلوك لايمكن تغييرها أو اعادتها إلى ما كانت عليه قبل البصم . فقد قام جيتون Guiton (٢٤٥) بتربية ديوك منزلية في عزلة تامة عن بعضها البعض خلال السبعة والأربعين يومًا الأولى من حياتها ، ثم قام بمقارنة جوانب نمو هذه الطيور بتلك الخاصة بديوك أخرى نشأت في وسط اجتماعي . وفي أول اختبار لها في المراهقة حاولت الديوك التي نشأت في عزلة أن تتزاوج مع فردة قفاز من الجلد صفراء اللون معلوءة بالهواء ولم تقم بمحاولات للتزاوج مع الإناث ، ذلك لأنه خلال فترة البصم الأولى كان صاحب التجربة يطعم هذه الديكة مرتديًا قفازًا جلديًا أصفر اللون) هذا في حين أن الطيور التي نشأت في وسط ا. تماعي تزاوجت بشكل طبيعي مع الإناث . وبعد ذلك تم وضع كل طائر من أي من المجموعتين في حظيرة مع الإناث طوال فترة المراهقة إلى أن تم اكتمال نضجه الجنسي ، وقد تزاوج أفراد كل مجموعة من مجموعتي التجربة مع الإناث من الدجاج والواضح أن الطيور التي سبق عزلها في بداية حياتها قد تأثرت كثيرًا بخبراتها في المراهقة حين وُضِعَت مع الإناث وأصبح سلوكها الجنسي فيما بعد طبيعيًا كما فقدت استجابتها الجنسية لقفاز الجلد الأصفر .

وبنفس الطريقة وجد أن طائر اليمام (٢٤٠ ، ٢٤١) إذا نشأ وحيدًا يرعاه أحد بني الإنسان فإنه يتعلق ببني الإنسان وحين يكتمل نضجه الجنسي فإنه يفضلهم

كرفاق . غير أن هذا التفضيل ينوي بالتدريج بزيادة تفاعل الطائر مع باقي الطيور من أفراد نوعه بحيث يصبح تفضيله الجنسي لهم بعد انقضاء عدة سنوات . غير أن امكان محو أثار البصم الباكرة أمر لاينطبق على جميع أنواع الحيوان ، ففي بعض الأحيان قد لايكون للخبرات أثر يذكر (٢٩١) ورغم أن الخبرات الباكرة قد تترك آثاراً دائمة لايمكن محوها أو اعادة الأمر إلى ما كان عليه قبل حدوثها إلا أن خبرات المراهقة اللاحقة قد تؤدي في بعض الأحيان إلى تجاوز تأثير الخبرات الأولى . كذلك فليس هناك أدلة تؤيد ادعاء لورنز Lorenz . القائل بمدى أهمية الخبرات الأولى في تحديد الإختيار فيما بعد لرفيق الجنس .

وهناك تأثير للعمر الزمني كما أن التعلم الباكر يؤثر على التعلم اللاحق ، ونظراً لأسبقية حدوثه فإنه يؤثر بطرق متعددة على النمو ولكن مع ذلك فهو قابل بالضرورة للتغيير ولتعديل آثاره بل وفي بعض الأحيان يكون للخبرات اللاحقة التأثير الأكثر وقعاً . وعموماً فليس هناك قاعدة عامة . أما ما إذا كان الحرمان الأمومي في مرحلة الرضاعة والطفولة المبكرة يترتب عليه آثار بعيدة المدى فإن ذلك يتوقف على الظروف البيئية المحيطة بخبرات الطفولة اللاحقة .

## * العوامل المخففة من الآثار بعيدة المدى للحرمان :

### الإنفصال عن الوالدين :

لتبسيط الأمور يتم تقسيم خبرات الإنفصال إلى ثلاث أنواع رئيسية ، هي انفصال لمدة قصيرة جداً تقدم فيه الرعاية من قبل عدد - قد يكثر أو يقل - من ممثلي الأمومة ، انفصال مؤقت يستمر لعدة أسابيع على الأقل ، ثم انفصال دائم .

### الإنفصال القصير وتعدد الأمومة :

رغم الإدعاءات القائلة في الماضي بأن أطفال العاملات من الأرجح أن

يصبحوا جانحين أو مضطربين نفسيًا ، إلا أن الأدلة المستفيضة لعدد من الدراسات تؤكد أن الأمر ليس كذلك (٨٢ ، ٩٤ ، ١٦٤ ، ٣٠١ ، ٥٧٣ ، ٦٥٦ ، ٧٠٥ ، ٧٣٥ ، ٧٤٠) فالأطفال لاتعاني من وجود عدد من ممثلي الأمومة طالما يتاح لها علاقات ثابتة ورعاية جيدة . بل الواقع أن بعض الدراسات قد أظهرت أن أطفال العاملات يقل احتمال تعرضهم للجناح بمقارنتهم بالأطفال الذين تلزم أمهاتهم البيت . وفي مثل هذه الظروف يبدو خروج المرأة للعمل كانعكاس لإرتفاع مستوى احساسها بالمسئولية ورعايتها لأسرتها . وهناك تحفظان ينبغي اثارتهما على هذه الدراسات ، أولهما أنها لم تفحص إلا قليلاً أثار خروج المرأة للعمل في وجود أطفال لها في مرحلة الرضاعة . رغم أن ما لدينا من بيانات لايشير إلى آثار سيئة تترتب على ذلك ، والثاني هو الموقف الذي يتكرر فيه تغيير ممثل الأمومة على الدوام بما لايتيح للطفل أن يقيم علاقة ثابتة بأيٍ من هؤلاء ، وهو موقف سيء ولاشك ، ولكن لأن مثل هذه الترتيبات غير المستقرة عادة ما تكون مصحوبة بتدهور الرعاية المقدمة للطفل لذا لم يكن ممكنًا فحص أثر كل من هذه المتغيرات على نحو مستقل (٤٢٥ ، ٤٢٦) .

ويمكن أن ينطبق ما سبق على ما لدور الحضانة النهارية من آثار ، وإن كان ما جاء بالتقارير الرسمية لمنظة الصحة العالمية في عام ١٩٥١ (٧١٣) حول الأثار السيئة الدائمة لدور الحضانة النهارية ليس هناك ما يبرره على الإطلاق . فالتحاق الطفل بدار الحضانة النهارية لايتدخل بالضرورة في التعلق القائم بينه وبين أمه (٩٢) كما أن الأدلة العلمية المتاحة لنا لاتعطي مبررًا للاعتقاد بأن هذه الدور لها آثار نفسية أو جسمية سيئة على المدى الطويل (٧٤٠) ولعل العيب الوحيد لإلحاق الطفل بدور الحضانة النهارية هو تعرضه للأمراض المعدية نتيجة لإتصاله بعدد كبير من الأطفال مما يعرضه لضرورة الإقامة بالمستشفى لبعض الوقت (١٦٢) .

وكما سبق أن أوضحته مناقشتنا حتى الآن ، فليس هناك عواقب نفسية سيئة تترتب على تنشئة صغار الأطفال في اسرائيل في الكيبوتز حيث يظل الأطفال في

إقامة داخلية لكنهم مع ذلك يظلون على ارتباطهم وعلاقتهم بأسرهم (٣١٧ ، ٤٢٠) وقد وجد أن النمو الإنفعالي لهؤلاء الأطفال كان طبيعياً كما لم تظهر عليهم أية إعاقات أو عيوب كلامية مثل تلك التي عادة ما تلاحظ على أطفال المؤسسات الإيوائية.

## الإنفصال المؤقت :

تبين عدد من الدراسات التي قامت بفحص آثار الإنفصال المؤقت (لمدة شهر أو أكثر) في الطفولة المبكرة أن النتائج السيئة لهذا الإنفصال فيما يتعلق بالجوانب المعرفية أو الإنفعالية أو السلوكية قليلة (١١ ، ٦٠ ، ١٦٤ ، ٤٣٣) كما أن معدلات الإنفصال عن الوالدين في الأطفال المترددين على العيادات النفسية لاتختلف كثيراً عنها لدى الأطفال العاديين (٣٠٦) ومن الناحية الأخرى فإن معظم الدراسات قد أكدت أن الأطفال الذين مروا بخبرة انفصال دامت شهراً أثناء السنوات الأولى من الحياة تزداد قليلاً قابليتهم لمعاناة الإضطراب النفسي فيما بعد وخاصة الإضطرابات المضادة للمجتمع (٢) ، ومن الصعب تفسير ذلك لأن معظم الدراسات التي تمت لهذا الغرض كانت تفحص آثار أنواع متباينة تماماً من خبرات الإنفصال والتي تم الجمع بينها دون تمييز بل وفي كثير من الأحيان كانت خبرات الإنفصال تنطوي على نوع من الحرمان (٧٣٧) وتوضح الدراسات الأكثر حداثة والتي قمنا بها (المؤلف) أن الإنفصال يرتبط بالإضطرابات المضادة للمجتمع فقط في حالة إذا حدث نتيجة للتفكك الأسري والنزاعات (٥٤٢) وعلى ذلك فإن الأطفال الذين يتم ايداعهم تحت رعاية احدى السلطات المحلية لبعض الوقت يبدون اضطراباً أكثر من غيرهم ، ولكن ينبغي أن نضع في اعتبارنا أن مثل هؤلاء الأطفال كانوا منذ البداية في وضع سيىء سواء من الناحية البيولوجية أم الاجتماعية منذ بداية الحياة (٣٩٩) وما انفصالهم عن ذويهم بصفة مؤقتة إلا واقعة ثانوية في تاريخ طويل من خبرات حياتية مليئة بالاضطراب . أما الإنفصال لأسباب أخرى كما هو الحال أثناء العطلات أو دخول المستشفيات فلم تترتب عليه

آثار سيئة يمكن الأخذ بها ، وذلك فيما قمنا به من دراسات (٥٤٢) .

وكل الدراسات التي أشرنا إليها في هذه النقطة تركز على فحص السلوك الجانح أو المنحرف عقب حدوث الإنفصال لكنها لاتهتم بفحص التباينات السلوكية في اطار ما هو طبيعي . وتتيح لنا دراسات هايند Hinde . على صغار الريزوس أدلة علمية على حدوث تغيير دائم في سلوك الحيوان نتيجة حدوث انفصال مبكر ، فالصغار التي تم فصلها عن امهاتها لمدة أسبوع في المرحلة الأولى من بداية الحياة كانت أكثر توجساً وخوفاً في المواقف الجديدة بعد مضي عامين من حدوث هذه الخبرة وذلك بمقارنتها بصغار أخرى لم يحدث لها نفس الخبرة في بداية الحياة . ورغم أن سلوك المجموعتين لم يختلف كثيراً في المواقف العادية إلا أن استجابة الخوف من الجديد من الأشياء أو المواقف أمر له أهميته . ولكن ما إذا كانت نفس التغييرات تحدث في بني الإنسان فهذا أمر ما زال غير معروف وإن كانت الحالات السردية الإكلينيكية تشير إلى أن بعض الأطفال قد يظلوا هيّابين للمواقف الجديدة لبعض الوقت نتيجة معاناتهم لخبرة انفصال سيئة أما مدى تكرار حدوث ذلك بين الأطفال أو إلى أي مدى يستمر هذا السلوك فما زال أمراً مجهولاً لنا ، كذلك لم تتناول الدراسات التي فحصت آثار الإنفصال المؤقت مدى التأخر اللغوي أو الضرر المعرفي الذي قد يلحق بالأطفال نتيجة خبرات الإنفصال .

**الإنفصال طويل المدى أو الدائم :**

عند تحليل الآثار الناشئة عن الإنفصال الدائم أو المستمر لفترة طويلة تظهر لنا مشكلات مماثلة لتلك التي أثيرت عند تحليلنا السابق لآثار الإنفصال المؤقت وذلك لأسباب كثيرة . فهناك دراسات مستفيضة تؤكد الإرتباط القائم بين التفكك الأسري والجناح (٧٣٠ ، ٧٣٥ ، ٧٣٧) في حين لم تقم نفس العلاقة بين التفكك الأسري والعصاب (٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٦٩٥) ولكن التفكك الأسري في بعض الحالات لايمثل أكثر من واقعة ثانوية في تاريخ طويل من التفسخ العائلي والخلافات

الأسرية ، لذ فلكي نميز بين أثار الإنفصال على هذا النحو ينبغي أن ندرس التفكك الأسري وفقًا للأسباب التي أدت إليه ولعل أبرز تمييز فارق بين نوعين من التفكك الأسري هو تفكك بسبب الوفاة وتفكك بسبب الطلاق أو الإنفصال ، والنوع الأخير هو الذي تقوى علاقته بالجناح (١٦٤ ، ٢٢٧ ، ٢٤٤) أما وفاة أحد الوالدين فقد ارتبطت بارتفاع طفيف غير دال في معدل الجناح والذي قد لايرجع إلى الوفاة في حد ذاتها (٤٣) . والأمراض المزمنة التي تسبق الوفاة أحيانًا هي أحد العوامل المرتبطة بالأمراض النفسية للأطفال (٥٣٨) كذلك فإن معاناة الأسى والحزن الشديد الذي يمر به الوالد الباقي على قيد الحياة (٦١ ، ٤٠٢) قد تؤثر كثيرًا على توافق الطفل كما أن وفاة الوالد عادة ما يترتب عليها تدهور اقتصادي اجتماعي للأسرة (١٦٤ ، ٥٣٢) وهذا التدهور يمثل ظروفًا ضاغطة سيئة لها تأثير ضار على الطفل . كذلك فحصت بعض الدراسات الأهمية النسبية لوفاة أي من الوالدين حيث وجدت آثارًا سيئة ملحوظة إذا كان المتوفي هو الوالد من نفس جنس الطفل (٢٤٤) وإن كانت هذه النتيجة بحاجة إلى مزيد من التأييد العلمي .

ونظرًا للاهتمام المطلق «بالحرمان من الأم» فإن فحص الآثار المترتبة على فقد الأب لم تلق اهتمامًا كبيرًا ، غير أن بعض الدراسات تصدت لفحص أثر غياب الأب لمدة طويلة لأسباب كالخدمة العسكرية أو غيرها (١٦ ، ٣٨٣ ، ٦٠٢ ، ٦٥٧) ورغم قلة التقارير العلمية في هذا الموضوع مع ضعف أدوات القياس في بعض الدراسات ، إلا أنه يبدو أن الاضطراب الشديد في السلوك نتيجة لغياب الأب لمدة طويلة لم يكن شائعًا . ولكن يبدو أنه في بعض الحالات قد يحدث خللاً في التوحد بدور الجنس لدى الأطفال مع استمرار تغيب أبائهم (٤٠) .

### أنماط الرعاية المتاحة :

يعتبر كل من نوع وخصائص الرعاية المتاحة للطفل بعد حدوث الإنفصال عاملاً حاسمًا في عدد من الدراسات التي تمت في كل من المؤسسات والسياق الأسري .

وفيما يتعلق بالسياق الأسري فإن أهم متغير من حيث نمو السلوك هو نوعية العلاقات الأسرية (٢٣٠ ، ٣٩٤ ، ٤٤٦ ، ٥٤٢) فالشقاق وعدم الإنسجام بين الوالدين والمنازعات والشجار كلها ترتبط بأشكال السلوك الجانح والمضاد للمجتمع لدى الأطفال ، كذلك فإن العلاقات التي تتسم بالمحبة تجاه الأطفال لها أهمية كبيرة كذلك ، فإن درجة الإشراف ومتابعة سلوك الأطفال لها نفس الأهمية البالغة (١٢٤ ، ٢٣٠) ، وعلى العكس كان أسلوب رعاية الطفل قليل الأهمية فيما عدا الحالات التي يتطرف فيها النظام أو تلك التي يتسم فيها بعدم الإتساق ؛ وقد ارتبط تطرف النظام وعدم اتساقه بالسلوك المضاد للمجتمع . كذلك لم تكن النتائج واضحة فيما يتعلق بأنماط الرعاية والإضطرابات النفسية للأطفال (٢٦ ، ٩٠) .

وفي عدد لا حصر له من الدراسات ، ارتبطت الطبقة الإجتماعية الدنيا بالتأخر المعرفي وانخفاض التحصيل الأكاديمي والذي يزداد بتقدم عمر الأطفال (١٥٨ ، ٥٢٨) كذلك وجدت فروقًا في أنماط الإتصال اللغوي وفقًا لاختلاف الطبقة الاجتماعية (٦٤ ، ٢٨٦ ، ٥١٤) ويعتقد أن هذه الفروق مسئولة جزئيًا عن قصور الأداء المعرفي لدى الأطفال (١٩٨) ولم تؤدي البرامج التعويضية لتعليم ما قبل المدرسة إلى تحسن يذكر (١٧٧ ، ٣٣٩ ، ٦٤١) .

ورغم ما أكدته عديد من الدراسات من وجود تدهور لغوي وضعف في الذكاء واضطرابات في السلوك لدى الأطفال التي نشأت بالمؤسسات (٢ ، ٥١ ، ١٨٧ ، ٧٣٥) إلا أن ذلك ينطبق على مؤسسات رديئة تقل فيها الرعاية ، فقد وجد (٦١٥، ٦١٦) أنه حين تم نقل الأطفال من ملاجيء رديئة مزدحمة إلى مؤسسات خاصة برعاية المتأخرين عقليًا تقدم رعاية أفضل على المستوى الفردي كان هناك ارتفاع ملحوظ في معامل ذكاء هؤلاء الأطفال كما لم تجد الدراسات (١٧٢ ، ٢١٠ ، ٣٢٧ ، ٤٩٤) قصورًا معرفيًا أو انفعاليًا لدى الأطفال بالمؤسسات الجيدة . وهذه النتائج تتعارض بشكل صارخ مع ما وجده عدد آخر من الدارسين (١٤٧ ، ٢٣٥، ٢٣٦ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٨) الذين قرروا وجود خلل معرفي بالغ لدى أطفال

المؤسسات . كذلك وجد تيزارد Tizard . (٦٧٢) أن مستوى الأداء العقلي للأطفال بدور الإقامة الداخلية كان في حدود الطبيعي في حين قرر آخرون (٥٣٠ ، ٥٣١) وجود تأخر معرفي واضح .

ويمكن الجدل بأن الإختلافات السابقة في نتائج الدراسات إنما تعكس اختلافًا في سياسة قبول الأطفال بهذه الدور والمؤسسات إذا لم يكن لدينا دراسات تجريبية منظمة ، ولكن مثل هذه الدراسات قد وجدت أن إحداث تغيير في نمط الرعاية بالمؤسسات يمكن أن يؤدي إلى تحسن في مستوى الأداء العقلي للأطفال وبصفة خاصة القدرات اللفظية (٢٣٥) ولكن لأن التغيرات التي يتم احداثها في هذه المؤسسات كثيرة ومتنوعة لذا يصعب تحديد أيها يعتبر مسئولاً عن ارتفاع مستوى الأداء العقلي للأطفال بها . كذلك فحصت الدراسات مدى تفاعل الطفل بشخص راشد في هذه المؤسسات . وقد لوحظ عدم مرونة الرعاية المقدمة للأطفال من قبل الراشدين ، ونقص واضح في التفاعل بين الطفل والقائم بالرعاية على المستوى الفردي وانعدام التجاوب لحاجات الطفل ، وقصور واضح في أشكال الإتصال (١٣٧ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٤٧٨ ، ٤٩١ ، ٦٧٩) .

وتوضح لنا بعض الدراسات التجريبية بعض المظاهر الأساسية التي يحتمل أن تؤدي إلى تأخر جوانب النمو المختلفة . فقد قام دينيس Dennis (١٤٥) بمقارنة مختلف المؤسسات الإيوائية حيث وجد أن تلك التي ينعدم فيها مداعبة الأطفال وحملهم ، كما تنعدم فيها أدوات اللعب بأنواعها ، كما لايتاح فيها فرص اللعب يتأخر فيها النمو الحركي للأطفال ، كذلك فإن الدراسات التي سبق الإشارة إليها في مواضع مختلفة من هذا الكتاب تؤكد انعدام التنبيهات أو قصورها سواء التنبيهات الحاسية ، أم الإجتماعية ، أم اللغوية - في كثير من المؤسسات (وليس جميعها) التي تطول الإقامة فيها .

وتقدم لنا الدراسات على الحيوان مؤشرات هامة في هذا المجال . فقد قامت مجموعة من الدراسات بفحص مدى تأثير قصور التنبيهات الحاسية في بداية

الحياة على الأداء العقلي لصغار الحيوان فيما بعد . وقد أظهرت الدراسات على الفئران (٣١١ ، ٤٤١ ، ٧٢٩) والكلاب (٦٦٩) وقردة الشمبانزي (١٣٤) أن التربية في بيئة محدودة التنبيهات تؤدي إلى تأخر النمو المعرفي فيما بعد ، هذا وإن كان هارلو وزملاؤه (٢٦٠) لم يمكنهم اثبات ذلك على قردة الريزوس .

وقد حدث بعض التقدم في امكان تحديد العناصر الحاسمة في الخبرات الأولى . ففي الدراسة الإستطلاعية التي قام بها هب Hebb . (٢٧١) مقارناً فيها الفئران التي تربت بالمعمل بتلك التي تم تربيتها بالمنزل كما يحدث عادة مع الحيوانات الأليفة المدللة ، وجد أن الفئران المدللة كانت درجات ذكائها أعلى بكثير من درجات ذكاء الفئران التي تربت في بيئة المعمل ، كما أنها كانت أكثر قدرة على الاستفادة من الخبرات الجديدة عندما اكتمل نضجها . وقد فسر هب ، هذه الفروق الهامة بين المجموعتين على أنها راجعة لاتساع نطاق خبرة الفئران المدللة التي كان يسمح لها بالجري هنا وهناك في أرجاء المنزل دون تقييد للبيئة وقد أيدت تجارب أخرى نفس النتائج (٤١ ، ١٩٢ ، ٣١١) فالفئران التي نشأت في بيئة تطلق الحرية بما يتيح توافر مجموعة عريضة من الأنشطة ، كان مستوى أدائها العقلي أفضل من أداء الفئران التي نشأت في أقفاص محدودة . وأهمية اتساع نطاق الخبرة أمر ينطبق على الخبرات الحاسية ، كما ينطبق أيضاً على ما يتاح من أنشطة ، وعلى ذلك فقد وجد (٤١٤) أن الفئران التي اتيح لها خبرات بصرية لمسية واسعة ، كانت قدراتها الإدراكية أفضل بكثير من تلك التي أتيح لها خبرات بصرية فقط . وقد أظهرت التجارب ذاتها أن الأمرالحاسم هو اتساع نطاق الخبرات الإدراكية والحركية المتاحة وليس مجرد فقط تواجد صغار الفئران بصحبة صغار أخرى ، فرؤية أشياء كثيرة ، والقيام بأشياء كثيرة له تأثير واضح على النمو العقلي ، كذلك فإن استطلاع البيئة بشكل إيجابي يؤثر في نمو كثير من المهارات العقلية أكثر مما يحدث عند مجرد التعرض السلبي للمثيرات الحسية (٢٨٠) .

ورغم أن الخبرات الباكرة قد يكون لها آثاراً عامة على النمو العقلي ، إلا أن هناك خبرات معينة يترتب عليها آثاراً معينة ، وبناء على ذلك وجد (١٩٣) أن الخبرات البصرية في بداية الحياة كانت عظيمة الأهمية في نمو عملية التمييز البصري لدى الفئران في حين أن الخبرات البصرية - الحركية كانت أفضل بالنسبة لنمو القدرات البصرية - الحركية . كذلك فإن تربية صغير الشمبانزي بحيث يشب ويديه ورجليه موضوعة في لفائف حلزونية من الورق المقوى ترتب عليها خلل ملحوظ في التآزر الحركي وتقدير المسافات بينما لم يكن تأثيرها واضح على القدرة على التمييز البصري (٤٣٧) .

أما الأدلة العلمية من الدراسات على الإنسان فما زالت محدودة ، غير أن ما هو متاح لنا يشير إلى نفس اتجاه نتائج دراسات الحيوان . فقد وجد وايت White (٧٠٩) أن اتاحة أكبر فرصة للرضيع للمس الأشياء والنظر إليها وتناولها بيديه أدى إلى النضج المبكر لبعض المهارات البصرية - الحركية ، أما ستار Starr (٦٤١) فقد أشار إلى عدة دراسات تؤكد أنه حين توافر لأطفال المؤسسات بديل والدي يقوم على رعايتها بشكل منتظم تقدم نموهم الإجتماعي لكن ذلك لم يؤثر على نموهم العقلي .

ولاشك أن الإختلاف الحاسم بين الحيوان والإنسان فيما يتعلق بالنمو المعرفي يقع في ما للغة من تأثير على النمو العقلي للإنسان ، فالمهارات اللفظية تمثل جانباً أساسياً من جوانب الذكاء في الإنسان ، ووجود اللغة يدفع بالنمو العقلي بطرق متعددة (٥٤٤) وهنا نتوقف عند أهمية خبرات نوعية معينة في أحداث تأثير نوعي خاص . كذلك فالظروف البيئية التي ترتبط بسلامة نمو القدرات اللغوية ليست هي نفس الظروف التي تساعد على تقدم نمو القدرات الحركية - الإدراكية (٦٨٩) وبالإختصار فرغم أن الأدلة ليست كافية كما قد تكون متناقضة في بعض الأحيان ، إلا أنه يبدو أن تنوع الخبرات واختلافها أمر ضروري لتقدم الوظائف النمائية المختلفة ، وليس من الممكن أن نحدد أي الجوانب أكثر أهمية ولكن ينبغي

أن نناقش أي الخبرات ضرورية لنمو أي أنواع من المهارات والقدرات .

كذلك فليس لدينا ما نعرفه إلا القليل فقط عن العوامل التي ترتبط بالتوافق الاجتماعي في سواءه ولا سواءه . وقد وجد أن توافر علاقة طيبة مستقرة بشخص بالغ – وليس الأم بالضرورة – يؤدي إلى توافق اجتماعي أفضل (١٦٧ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦) كما أن اضطرابات السلوك كانت أقل لدى أطفال المؤسسات الذين تقوم على رعايتهم أم واحدة (من أمهات المؤسسة) لمدة عامين ، وهو ما يبدو أنه عامل هام في التوافق الاجتماعي السليم ، وإن كان مدى أهميته ومدى تأثير عوامل أخرى هو أمر لايمكن تحديده طالما أنه لم يتوافر لنا معلومات أكثر عن الجوانب الأخرى في حياة هؤلاء الأطفال .

## مدى استمرار الحرمان والإفتقار البيئي :

إذا ما قصرنا اهتمامنا على الدراسات التي فحصت المؤسسات التي يعاني فيها الأطفال من آثار سيئة نتيجة للافتقار البيئي ونقص التنبيهات فإن معظمها – (٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٥٣١ ، ٦١٩) وليس جميعها (١٤٧ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤) قد وجدت أنه كلما طالت مدة الإقامة بالمؤسسة زاد معها كل من القصور المعرفي ، والإضطراب الإنفعالي والسلوكي . وحين كانت النتائج التي تم الحصول عليها سلبية فإن ذلك قد يرجع إلى أن رعاية الأطفال الكبار بالمؤسسة لصغارها كانت أفضل في هذه الحالة . كذلك سبق أن أوضحت عدة دراسات إلى أن الأطفال لوالدين متخلفين عقلياً يتقدم ذكاؤهم حين يتم ابعادهم إلى بيئات أسرية أكثر تنبيهاً وتنوعاً في مثيراتها (٣٨٦) غير أنه لاينبغي أن نبالغ من وزن أي من النتائج السابقة – الإيجابي منها والسلبي – إذا ما أخذنا في اعتبارنا الغموض الذي يحيط بإمكان مقارنة الرعاية المقدمة لمراحل عمرية مختلفة ، والأسباب التي ظل بعض الأطفال تحت رعاية المؤسسة بينما نقل آخرون لرعاية أسر بالتبني ، أو حتى الأسباب التي ظل بموجبها بعض الأطفال في رعاية أبويهم المتخلفين عقلياً بينما أبعد البعض الآخر .

وعمومًا فإنه يبدو مرجحًا أنه كلما طال استمرار الحرمان البيئي وقصور التنبيهات ، ازداد معه أشكال العجز النفسي وذلك إذا ما أخذنا في اعتبارنا نتائج الدراسات التي تمت على أطفال تعيش في كنف أسرهم (٢٤١ ، ٦١٧ ، ٧٧٠) فقد وجد أن الأطفال الأكبر سنًا كانت أقل ذكاء من الأصغر سنًا في الأسر ذات الظروف السيئة (حيث الفقر وانخفاض التعليم وانحطاط المهن) ورغم وجود عيوب منهجية في مثل هذه الدراسات بما يوجب الحذر عند التعميم إلا أننا يمكن أن نخلص منها - في عدم وجود بيانات أفضل - إلى أن ما تبينه هذه النتائج هو أنه كلما طال استمرار قصور التنبيهات البيئية ، ازدادت النتائج المترتبة على ذلك سوءًا .

كذلك تعطي الدراسات التي قمنا باجراءها على أطفال في كنف أسرهم (٥٤٢) أدلة مؤيدة للإحتمال السابق طرحه ، فقد وجد أن الأطفال التي تم فصلها لبعض الوقت عن والديها بسبب وجود خلافات أسرية أو أحد أشكال الضغوط ثم اعيدوا إلى بيئة الأسرة حين أصبحت أكثر تناغمًا كانوا أفضل توافقًا من الأطفال الآخرين الذين ظلوا في رعاية بيئة أسرية مضطربة .

**وجود علاقات طيبة :**

سبق الإشارة للدراسات التي أوضحت نتائجها أن أطفال المؤسسات الذين ظلت لهم علاقة مستقرة وطيبة بشخص راشد كانوا أفضل توافقًا من هؤلاء الذين لم تكن لهم مثل هذه العلاقة . وقد أوضحت الدراسات التي أجريت على الأطفال في رعاية أسرها نفس النتائج (٥٤٢) ففي الأسر التي يسودها الشقاق الشديد كان الأطفال أكثر عدوانية وسلوكًا مضاداً للمجتمع حين لم تكن لهم علاقة طيبة بأي من الوالدين ، بينما كان احتمال حدوث مثل هذا السلوك أقل في المجموعة التي ظل للأطفال علاقة واحدة طيبة بأحد الوالدين في ظل ظروف الشقاق الأسري .

### فرصة اقامة علاقات تعلق أخرى بالراشدين :

يعتبر الحاق صغار الرضع بالمؤسسات واستمرار بقائهم فيها حتى بلوغ الثالثة موقفًا لايمكن أن يؤدي إلى تكوين روابط تعلق بالراشدين وذلك بمقارنة هؤلاء الأطفال بنظرائهم الذين ينشئون في كنف رعاية أسرية في هذه المرحلة . وقد أظهرت عديد من الدراسات أن أطفال المؤسسات يسوء وضعهم بالنسبة لفرصة اقامة علاقات وجدانية بالراشدين (٢٤٠ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤) لكنهم من الأرجح أن يقيموا علاقات صداقة بلا تمييز أو تفضيل محدد مع عدم القدرة على الإستمرار في علاقات دائمة ذات معنى بالآخرين (٥٠) وفي دراسة خاصة بأطفال التبني وجد (٦٨٣) أن بقاء الطفل بالمؤسسة منذ بداية الحياة ولمدة طويلة قبل حدوث التبني كان سببًا في فشل التبني . والدلالة هنا تشير إلى أن مثل هذه الظروف تؤدي إلى عدم القدرة على إقامة روابط وجدانية مع غياب التجاوب الإنفعالي . وسوف يتم مناقشة ذلك بمزيد من التفصيل حين نفحص فشل القدرة على اقامة الروابط .

### العمر الزمني :

يمكن أن يحدث التأخر اللغوي والعقلي مصاحبًا للظروف السيئة في أي مرحلة من مراحل النمو رغم أن طبيعة القصور الناشيء عن ذلك تختلف باختلاف عمر الطفل . ففي الشهور القليلة الأولى من الحياة يمكن ملاحظة تأخر النمو ، ونقص المناغاة واصدار الأصوات وضعف التجاوب لدى أطفال المؤسسات غير الجيدة (٦٧ ، ٨٤ ، ٤٧٨) ورغم أن الأدلة المتاحة عن أثر رعاية المؤسسات على النواحي اللغوية والمعرفية للأطفال الأكبر سنًا محدودة للغاية ، إلا أنه يبدو أنه كلما تقدم العمر الزمني للطفل عن ادخاله المؤسسة كان تأخر النمو الحادث بعد ذلك أقل كثيرًا (٤٧٣ ، ٤٧٤) غير أن مثل هذه النتائج تقل مدى أهميتها ما لم تكن هناك أدلة من دراسات تتبعية للنمو المعرفي للأطفال التي أودعت بالمؤسسات في

أعمار زمنية مختلفة . ولكن بالأخذ في الإعتبار حقيقة أن أقصى زيادة في نمو المخ هي تلك التي تحدث خلال العامين الأول بعد الميلاد (٤٠٣) واحتمال أن تكون الكائنات أكثر تعرضاً للإصابة بالضرر أثناء مراحل النمو السريع (١٥٤) لذا يبدو الأمر منطقياً إذا اعتقدنا أن آثار الحرمان البيئي وفقر أو قصور التنبيهات تبدو أكثر وضوحاً في هذه المرحلة من الحياة . غير أن هذه النقطة بحاجة لمزيد من الأدلة العلمية .

وهناك بعض الأدلة التي تبين أن الآثار اللاحقة بعيدة المدى للفقد تزداد وضوحاً لدى الأطفال الذين توفي والديهم (أو أيهما القائم بالرعاية) خلال العام الثاني من الحياة (٥٣٨) كذلك تشير دراسات أخرى إلى أن الشدة والظروف السيئة الضاغطة في هذه الفترة من الحياة تضير بالقدرة على التحكم في المثانة (١٦٥) .

ويصعب الحصول على أدلة تتعلق بالفروق في الإستجابة للظروف السيئة طويلة الأمد كالشقاق الوالدي أو المرض العقلي لأحد الوالدين وفقاً للأعمار الزمنية (٥٣٨) ذلك لأن مثل هذه الظروف غالباً ما تكون شديدة الإزمان بحيث يصعب وضع حد زمني لبدايتها . ومع ذلك فالمتاح لدينا من معلومات يشير إلى عدم وجود فروق في الإستجابة لمثل هذه الظروف وفقاً للأعمار الزمنية للأطفال فيما عدا أن صغار الرضع وكبار المراهقين قد يكونون أقل تأثراً بها .

والنتيجة التي ترتبط بالعمر الزمني ارتباطاً واضحاً هي أن انعدام الفرص لإقامة علاقات تعلق أو روابط وجدانية خلال السنوات الثلاثة الأولى من الحياة يصاحبه ظهور وتطور للسيكوباتية عديمة المشاعر .

### جنس الطفل :

من المثير للدهشة ألا تلقى الفروق بين الجنسين في الاستجابة بعيدة المدى للحرمان اهتماماً كافياً من قبل الدارسين . وقد أبرزت الدراسات المتعلقة بفحص

آثار الشقاق وعدم التوافق الأسري أن الذكور أكثر قابلية للتأثر بهذه الخبرات السيئة كما أن هناك أيضاً ما يشير إلى أنهم أكثر قابلية للإصابة بالضرر المترتب على أشكال الحرمان . وما زالت هذه النقطة بحاجة لمزيد من الدراسة للحصول على نتائج مؤكدة .

## الخصائص المزاجية :

تم التأكيد على الفروق الفردية في الخصائص المزاجية عند فحص الآثار قصيرة المدى للحرمان ، أما مدى علاقة هذه الفروق بالآثار المتأخرة أو بعيدة المدى فيمكن استنتاجها وفقاً لما كان لها من تأثير في حالة الأطفال العاديين والأطفال الذين يعاني والداهم أو أحدهما من أمراض عقلية ، فقد تم دراسة الفروق في الخصائص المزاجية بين الأطفال العاديين بشكل منظم على عينة كبيرة من أسر الطبقة المتوسطة الأمريكية (٦٦٦ ، ٦٦٧) . وقد تم قياس النمط السلوكي المميز للأطفال الرضع وصغار الأطفال وتم الربط بين هذه الخصائص وبعض الإضطرابات السلوكية البسيطة . وقد وجد أن الأطفال الذين يقل انتظام دوراتهم الطبيعية في النوم والأكل والإخراج ، والذين يتسمون بشدة انفعالاتهم وتقلباتهم المزاجية السلبية وبطء التكيف بالمواقف الجديدة كانوا أكثر احتمالاً لأن تظهر عليهم اضطرابات سلوكية بعد عدة سنوات لاحقة (٥٦٤) .

كذلك تؤثر صفات مزاجية مشابهة للسابقة في استجابات الأطفال للتوتر والشد المصاحب للشقاق الأسري في أسر يعاني فيها أحد الوالدين من المرض العقلي (٥٤٢) فالأطفال الذين يصعب تغيير سلوكهم ، والذين يتسمون بالفوضى والقذارة وعدم النظام كما لاتنتظم لديهم عادات النوم والأكل والإخراج كانوا أكثر احتمالاً من غيرهم لأن يتطور سلوكهم إلى الإنحراف .

ويثار هنا تساؤلان فيما يتعلق بتأثير الخصائص المزاجية ، الأول هو ما إذا كانت خصائص المزاج الطبيعي نتيجة لتأثير البيئة أم أن بها مكون وراثي له

أهميته ، والثاني فبقدر اعتبار أن هذه الخصائص تؤدي إلى الإنحراف هل يتم ذلك بشكل مباشر أم يتم من خلال تأثير هذه الصفات المزاجية على تفاعل الطفل مع بيئته . وليس لدينا إلا معلومات محدودة فيما يتعلق بالتساؤل الأول إذ قل أن تمت دراسة الجوانب الوراثية في الصفات المزاجية (٥٦٨) وإن كانت دراسات الوراثة تشير إلى وجود مكون وراثي هام في الصفات المزاجية (٢٠١ ، ٥٨١) ومع ذلك لاينبغي أن يؤدي ذلك بنا إلى الاعتقاد بأن الصفات المزاجية وراثية ذلك لأنه رغم وجود استمرارية في النمو إلا أن تعديل الخصائص الفردية عن طريق خبرات الحياة أمر يمكن أن يحدث (٢٨٣ ، ٧٣٤) وأكثر من ذلك فإن بعض الفروق الفردية في استجابات الأطفال للبيئة قد ترجع إلى أصول بيئية تقوم على الخبرة . وعلى سبيل المثال يوضح زيجلر Zigler (٧٤٢) أن أهم مكونات طريقة استجابة المتأخرين معرفياً بالمؤسسات لمهام التعلم تتوقف على خبرتهم بأشكال التدعيم الاجتماعي .

أما ما يتعلق بالتساؤل الخاص بالكيفية التي تؤثر بها الصفات المزاجية في النمو فيبدو أن ذلك يتم من خلال تأثير هذه الصفات على كيفية تفاعل الطفل مع بيئته (٥٤٢ ، ٥٦٤ ، ٦٦٦) وهو ما ينطبق على التأثير الوراثي عامة . فأمراض الطفل النفسية يندر أن تكون بفعل الوراثة وحدها ، وأهم ما يعنينا في تأثير الوراثة على السلوك هو أنها تفعل ذلك من خلال تأثيرها على قابلية الفرد للتكيف واستجاباته في مواقف الشدة (٢٢٨ ، ٣٨٩ ، ٦٦٨) وهو ما أبدته بشكل واضح التجارب التي أجريت على الحيوان حيث ظهر تفاعل واضح بين الفروق الوراثية في الأداء في المتاهة ومدى اثراء البيئة أو قصور تنبيهاتها (١١٨) كذلك ظهرت فروق في استجابات السلالات المختلفة للكلاب لأساليب التدريب التي تتسم بالتساهل أو التشدد (١٩٩) فالسمات الوراثية التي تعطي ميزة في موقف ما قد تؤدي نفسها إلى مساوىء في موقف آخر (٦٠١) .

### امكانية محو الأضرار Reversibility :

إن احدى النقاط الرئيسية موضع الجدل العلمي تدور حول المدى الذي يمكن

به محو الآثار السيئة للحرمان وعودة الوضع لسابق عهده قبل حدوث الضرر ، وقد خلص بولبي (٥١) إلى أن الأمومة لاجدوى منها إذا ما تأخرت إلى بعد بلوغ الطفل منتصف عامه الثالث وهي غير مجدية بالنسبة لمعظم الأطفال إذا ما تأخرت لما بعد بلوغ الطفل عامه الأول . غير أن هذا الرأي لم يجد تأييداً من الدراسات اللاحقة . والسؤال الآن لايدور حول اللاعودة لوضع طبيعي سابق وإنما يدور حول مدى ما يمكن به اعادة الوظائف التي أخل بها الحرمان إلى سابق عهدها ، ومدى سهولة ذلك بالنسبة لكل وظيفة من الوظائف التي أصابها الضرر (٢) والأدلة حول هذه النقاط ما زالت محدودة .

وفيما يتعلق بالآثار السيئة للحرمان في الطفولة على الجوانب المعرفية فهناك بعض الشفاء الجزئي الذي يحدث مرتبطاً بتقدم العمر الزمني في ظل المسار العادي للأمور وعلى ذلك فإن جوانب القصور العقلي لدى أطفال المؤسسات التي قام دنيس وناجاريان Dennis & Najarian (١٤٧) بدراستهم ما بين الخامسة والسادسة من أعمارهم كان أقل من ذلك التأخر الذي كان بادياً عليهم في السنة الأولى من حياتهم . ومع ذلك فالنتيجة نفسها قد تكون دليلاً على أن ظروف المؤسسات قد تكون أقل حرماناً بالنسبة لكبار الأطفال بمقارنتهم بصغارهم ، وقد لوحظ أن التدريب الخاص لذوي التأخر العقلي المعتدل لم ينتج عنه غير تغييرات طفيفة في زيادة درجاتهم في الذكاء (١٠٢) مما يشير إلى أن التغيير الطفيف الذي يحدث إنما يرجع إلى تأثير تأخر النمو وليس إلى تأثير تغيير البيئة . وهذه النتائج تثير الإهتمام غير أنه من الضروري أن نضع في الاعتبار أن الزيادة التي حدثت في الذكاء كانت أقل مما يمكن أن يعيد الوظائف العقلية إلى سابق عهدها قبل حدوث الخلل المبكر .



ومن الممكن محو الآثار السيئة للحرمان على الجوانب المعرفية إذا حدث تغيير تام ودائم للبيئة وبشرط أن يتم ذلك في مرحلة الرضاعة وهو ما أبرزته دراسات أيوا Iowa . على أطفال ينتمون إلى بيئات فقيرة جداً أو مؤسسات

رديئة المستوى تم تبنيهم في العامين الأول من حياتهم (٦١٥ ، ٦١٨ ، ٦٢١) فحين تم قياس ذكاء هؤلاء الأطفال في المراهقة وجد أنه يزيد بنسبة تتراوح ما بين عشرين إلى ثلاثين درجة من ذكاء والديهم الحقيقيين . أما الحد الأقصى للعمر الزمني الذي لايمكن بعده العودة إلى وضع طبيعي سابق فإن ذلك أمر غير مؤكد . وقد وجد جولد فارب Goldfarb (٢٠٤) خللاً ملحوظًا ومستديمًا في النواحي العقلية لأطفال تم نقلهم من مؤسسات سيئة إلى بيوت للتبني عند سن الرابعة من أعمارهم . ومن الناحية الأخرى فهناك حالة جيدة التوثيق في التراث العلمي لطفلة نشأت في عزلة مع أم خرساء في حجرة مظلمة ضيقة حتى بلوغها السادسة من عمرها (١٣٨ ، ٤٠٤) وحين تم العثور عليها كانت شديدة التأخر فاقدة للكلام ومع ذلك ترتب على رعايتها رعاية مكثفة بدار للإيواء أن تحسنت بشكل ملحوظ وأمكنها الكلام ووصلت إلى مستوى عادي للأداء العقلي كما أحرزت تقدمًا في الوظائف الاجتماعية . ويمكن من ذلك استخلاص أن إعادة الأمور إلى سابق وضعها الطبيعي قبل حدوث الخلل أمر عادي ممكن الحدوث إذا كان تغيير البيئة كاملاً وإذا حدث ذلك في العامين الأول من الحياة ، وتصبح إمكانية محو الآثار الضارة والعودة إلى الطبيعي أقل احتمالاً لأن تحدث كلما طالت مدة استمرار الحرمان وازداد العمر الزمني للطفل عند انهاء حالة الحرمان والقصور القائمة ، ومع ذلك قد يحدث أحيانًا أن يمكن إزالة آثار الحرمان لدى أطفال في أعمار زمنية متقدمة .

والدراسات السابق ذكرها ومثيلاتها قد جعلت البعض يعتقد أن التغيير الجزئي المؤقت قد يكون له آثار بعيدة المدى ، غير أن الأدلة العلمية تبين أن ذلك أبعد ما يكون عليه الأمر ، فمثلاً أظهرت الدراسات على التعليم التعويضي لأطفال ما قبل المدرسة في الولايات المتحدة الأمريكية أن الفائدة المتحصلة من مثل هذه البرامج متواضعة قصيرة الأجل (١٧٧ ، ٣٢١ ، ٣٣٩) وما يثير الدهشة ليس أن اثراء البيئة لمدة ستة أسابيع كانت له آثاره الطيبة المؤقتة ولكن الغريب فعلاً هو أن

يعتقد شخص ما عكس ذلك . وقد يبدو الأمر مشجعًا في البداية ولكن الواضح والمؤكد هو أن الآثار السيئة لحرمان وافتقار طال أمده واستمراره لايمكن محوها بمجرد تغيير بيئي قصير المدى تعقبه عودة الطفل إلى ظروف الحرمان السابقة .

وما يمكن أن نخلص إليه بشكل عام هو أن درجة إزالة التأثير الضار تتوقف على مدى شدة واستمرار الحرمان أو الفقر البيئي ، وعلى عمر الطفل عند تغيير بيئة الحرمان وعلى مدى كون هذا التغيير دائم وكامل .

وفيما يتعلق بإمكان إزالة جوانب القصور في النمو الجسمي والمترتبة على الحرمان فالواضح عمومًا أن اصلاح سوء التغذية يترتب عليه زيادة سريعة في النضج الجسمي الأمر الذي يعوض بشكل معقول عن التأخر النمائي السابق ، ومع ذلك فالتعويض ليس عادة كاملاً (٤٢) ويتوقف مدى القصور النمائي المتبقي بعد التعويض على مدة شدة واستمرار سوء التغذية السابق على الإصلاح ، وعلى سن الطفل في ذلك الوقت وحتى الآن فإن معظم الدراسات التتبعية للقزمية الناتجة عن الحرمان قد تمت على مدى قصير ، غير أن النتائج تتسق كثيرًا بمعنى أن التعويض عن النقص الجسمي قد يحدث سريعًا غير أنه لايكون تعويضًا كاملاً تمامًا . وفيما يتعلق بإمكان محو زملة أعراض السيكوباتية عديمة المشاعر فإن ذلك يمكن أن يحدث بسهولة إذا توقف الحرمان أثناء مرحلة الرضاعة كما اتضح من دراسات التبني السابق ذكرها . وليس من المؤكد ما إذا كان التغيير إلى الأفضل يمكن أن يحدث بعد بلوغ الطفل عامه الثاني أو الثالث . وتشير التقارير الإكلينيكية إلى أن التغيير يمكن أن يحدث وبصعوبة بالغة بعد انقضاء مرحلة الرضاعة .

كذلك فإن استمرار العجز الاجتماعي الشديد في القردة التي تعرضت للعزلة الاجتماعية الكاملة طوال الشهور الستة الأولى من حياتها أمر له أهميته ، فهذه القردة صارت غير صالحة جنسيًا ، منحرفة اجتماعيًا بدرجة كبيرة كما أنها

أصبحت فيما بعد أمهات سيئة غير صالحة (قامت القردة الأمهات بقتل أول صغار لها) وقد استمرت بعض هذه الأمهات في الإنجاب بحيث أنجبت بعضهن صغيرين أو ثلاث ، كما تحسنت قليلاً نوعية أمومتها (٢٥٧) وقد تمت محاولة اعادة تأهيل هذه القردة التي أضيرت بسبب الحرمان الاجتماعي الكامل في بداية حياتها (٢٦١) . وتشير النتائج إلي أن بعض القدرات الاجتماعية يمكن أن تتحسن بشكل معقول إذا ما اتيحت الخبرات الاجتماعية الملائمة بعد مرحلة الرضاعة . ولكن مع ذلك وجد أن اللاسواء الاجتماعي لايمكن تعديله لدى قردة الشمبانزي إلا بصعوبة بالغة وبقدر محدود (٦٨٤) .

وعمومًا فالأدلة المحدودة المتاحة تشير إلى أنه لكي يمكن محو آثار انعدام المشاعر السيكوباتي الناتج عن الحرمان فمن الضروري أن يكون الطفل قد أقام علاقات طبيعية بالآخرين خلال مرحلة الطفولة المبكرة . ويبدو أن الشفاء الكامل من تلك المساويء أمر يصعب حدوثه بعد سن ثلاثة سنوات رغم أن التحسن قد يحدث في وقت لاحق .

ورغم أن الإضطرابات المضادة للمجتمع هي بكل تأكيد أكثر الإضطرابات النفسية للأطفال استمرارًا (٥١٢) إلا أن التغيير الأفضل للظروف البيئية خلال الطفولة الوسطى وجد أنه يرتبط بانخفاض معدل هذا الاضطراب (٥٤٢) .

## ٤ - الآثار بعيدة المدى للحرمان

### الميكانزمات المحتملة

عند مناقشة الآثار بعيدة المدى للحرمان ينبغي تحديد العمليات النفسية الداخلة في كل من التأخر العقلي ، والقزمية ، والجناح ، وانعدام المشاعر السيكوباتي والاكتئاب ، وهي المحصلات الخمسة التي تنشأ على المدى الطويل كنتيجة للحرمان . والواضح أن الميكانزمات الخاصة بكل محصلة من المحصلات السابقة تختلف إلى حد ما .

### تفكك الروابط أم تغيير البيئة :

عند فحص الآثار قصيرة المدى للحرمان كان من الضروري التوقف لمناقشة ما إذا كانت هذه الآثار تترتب على إعاقة الروابط الوجدانية أم أنها ترجع إلى تغيير البيئة . ولكن هذه المسألة تبدو قليلة الأهمية فيما يتعلق بما للحرمان من آثار بعيدة المدى ذلك لأن الاقامة بالمستشفيات (وهو الموقف الذي تثار فيه هذه النقطة بشكل واضح) ليس لها أهمية كبرى بالنسبة للنمو على المدى البعيد ، كما أن العلاقة بين هذا الموقف وأي من الجناح والسلوك المضاد للمجتمع (٥٤٢) أو التأخر العقلي (٥٧٣) أو السيكوباتية مع انعدام المشاعر (٦٠) أو القزمية (٤٥٩) هي علاقة ضعيفة غير ذات أهمية .

ويمثل التبول اللاارادي استثناءً لما سبق فيما يتعلق بتكرار الإقامة بالمستشفيات في السنوات الأربع الأولى من بداية الحياة بحيث يمكن اعتبار ذلك عاملاً يؤدي إلى زيادة معدل تبليل الفراش بصفة مستمرة (١٦٥) ولكن يبدو وفقاً لما هو متاح لنا من الأدلة أن المتغير الأكثر أهمية ليس هو اعاقة الروابط أو تفككها ، أو تغيير البيئة ، فرغم أن تكرار دخول المستشفى قد ارتبط بزيادة التبول

اللاارادي لدى الأطفال إلا أنه لوحظ أن هذا الارتباط كان أكثر لدى الأطفال الذين أجري لهم بعض العمليات الجراحية أو المصابين بكسور أو حروق . وتشير نتائج دوجلاس Douglas وزملائه (١٦٥) إلى أن المتغير الأكثر أهمية هو الخبرات الأزمية الضاغطة غير السارة وليس أي من خبرة الإنفصال عن الوالدين أو البيئة الغريبة على الطفل في حد ذاتها . ويعتقد نفس الدارسين أن الضغوط والقلق الحاد أثناء السنوات الأربع الأولى من العمر تتدخل في القدرة الطبيعية على التحكم في المثانة . ومع ذلك فقد لايكون ذلك تفسيراً كافياً لأن التبول اللاارادي يشيع أيضاً بين أطفال الأسر التي توفيت فيها الأم أو تلك التي حدث فيها الطلاق بين الوالدين . كما بلغ معدل التبول اللاارادي أقصى مداه بين الأطفال الذين أودعوا بدور الرعاية والمؤسسات الإيوائية . وعلى عكس المعتقد سابقًا فإن التبول اللاارادي كان أكثر شيوعًا حين تم الإيداع ما بين الرابعة والسادسة من عمر الطفل وليس قبل بلوغه الرابعة (١٦٠) . أما مدى اعتبار أن تبليل الفراش نتيجة للشقاق الأسري الذي يسبق عادة الإيداع بالمؤسسة أم أنه نتيجة لظروف الإقامة بالمؤسسة فإن ذلك لايمكن تحديده حتى الآن . وقد وجد (١٥٩) أن التبول اللاارادي يشيع بنفس الدرجة لدى كل من الأطفال الذين توفيت أمهاتهم والذين انفصل والداهم بالطلاق وهو ما يقيم دليلاً مناقضاً لاعتبار أن الشقاق الأسري في حد ذاته عاملاً رئيسياً في حدوث التبول اللاارادي .

ويشيع التبول اللاارادي بين أطفال أنواع كثيرة من المؤسسات (٦٤٨ ، ٦٤٩) وتبين الأدلة العلمية أن التبول اللاارادي قد يرجع جزئيًا إلى الظروف الضاغطة الشديدة التي انتهت بايداع الطفل بالمؤسسة ، غير أن النتائج التي تشير إلى أن التبول اللاارادي أكثر شيوعًا بين الأطفال المقيمة بالمؤسسات عنه بين الأطفال التي تقيم في رعاية أسرها توحي بأن نوعية الحياة بالمؤسسات قد تكون نفسها عاملاً هامًا .

ولعل الإكتئاب هو المحصلة الوحيدة المترتبة على تفكك الروابط الوجدانية وإن

كانت الأدلة العلمية تبدو متناقضة إلى حد ما حول هذا الموضوع . فالاضطرابات الإكتئابية أثناء الرشد قد تشيع على نحو خاص بين الأشخاص الذين توفي أحد والديهم في مرحلة المراهقة . وهذا الدليل العلمي - إذا تم تأييده بشكل كافٍ - يشير إلى مسار الأمراض النفسية لدى الراشدين وهو ما يخرج بنا عن الإطار العام لهذا الكتاب . أما اكتئاب الأطفال فيقل تناوله في الدراسات وقد قامت احدى الدراسات (٩٣) بالربط بين فقد أحد الوالدين والإضطراب الاكتئابي في الأطفال ، ولكن لأن الارتباط لم يتحقق بين المتغيرين إلا لدى الأطفال المودعة بالملاجيء - لكنه لم يتحقق بالنسبة للأطفال الذين ظلوا في رعاية الوالد الباقي على قيد الحياة لذا لايُرجح أن يكون انقطاع أو تفكك الرابطة الوجدانية هو الميكانزم المتعلق بذلك .

وتشير الأدلة العلمية الناتجة عن الدراسات على الإنسان إلى أنه رغم اعتبار أن تفكك الروابط الوجدانية مصدراً هاماً للمحنة النفسية المؤقتة إلا أنه قد لايكون عاملاً هاماً بشكل خاص في حدوث الإضطرابات بعيدة المدى من أي نوع .

وتبدو الخلاصة السابقة من النظرة الأولى كما لو كانت متعارضة مع النتائج المتاحة لنا من دراسات الحيوان والتي أظهرت أن الإنفصال عن الأم حتى لفترات قصيرة نسبياً يرتبط بحدوث تغييرات في سلوك الصغير يمكن قياسها بعد مضي ستة شهور بل ولمدة عامين لاحقين (٢٩٧ ، ٦٣١) ووفقًا للمدى العمري لحياة الحيوان فإن عامين من حياته تعادل عدد من السنوات في عمر الإنسان .

ولكن الإختلاف السابق ما هو إلا تعارض ظاهري فقط ، ذلك لأن دراسات الحيوان ركزت على اختلاف السلوك في حدود المعدل الطبيعي كاستجابة للمواقف الغريبة على الحيوان ولم تركز على الآثار الباثولوجية . وقد تؤدي خبرات الإنفصال السيئة إلى ظهور سلوك التشبث لدى صغار الإنسان ، وقد يستمر مثل هذا السلوك شهوراً عديدة بعد حدوث هذه الخبرة ، بل قد يستمر لمدة عام أو نحو

عام . كما أن خبرات الإنفصال قد تكون أشد وقعًا على صغار الأطفال عن كبارهم ولكن مع ذلك قد لايظهر على كثير من الأطفال آثار بعيدة المدى لمثل هذه الخبرات بل وحين يحدث ذلك فعادة ما تكون آثارًا ثانوية نسبيًا .

أما مدى وجود فروق حقيقية بين الإنسان والقردة في الاستجابة للإنفصال فما زال أمرًا غير واضح ، فتناقض النشاط واللعب الذي يظهر على القردة بعد مضي خمسة شهور من حدوث خبرة الإنفصال لايحدث عادة للأطفال بعد انقضاء فترة زمنية مماثلة ولكن البيانات المقارنة غير متاحة لنا . وإذا حدث أن تبين لنا أن هناك بالفعل فروقًا حقيقية فإن لدينا عدة تفسيرات محتملة لأسباب وجود مثل هذه الفروق . ففي المقام الأول . يختلف الإنسان عن القردة في جوانب عصبية نفسية هامة (١٦٧) كما أنه من المعروف أن هناك فروقًا داخل فصائل الأنواع المختلفة – ربما بين القرد والشمبانزي-(٤٠٩) في الاستجابة للصدمات المختلفة . وقد يكون أحد العوامل الوسيطة هنا هو وجود اللغة . فرغم وجود بعض المظاهر الأساسية البسيطة للغة لدى الشمبانزي (٢١٣ ، ٤٧١) إلا أن اللغة في صورتها البسيطة جدًا لاتوجد لدى القرد (الماكاك) . وعلى ذلك قد يكون القدرة على شرح وتفسير طبيعة الإنفصال لصغار الإنسان هو ما يجعل هذه الخبرة أقل وقعًا في شدتها على الأطفال بمقارنتها بصغار القردة . كذلك تمثل نوعية الرعاية البديلة خلال فترة الإنفصال عاملاً وسيطًا هامًا ؛ فعلى خلاف بني الإنسان فإن القردة البالغة الأخرى لاتتولى أمور رعاية صغير انفصل عن أمه بما يضمن الوفاء بجميع حاجاته المادية بنفس الطريقة التي كانت عليها قبل حدوث الإنفصال كما أن خبرات الصغير الاجتماعية تختلف تمامًا في كلا النوعين .

وأيًا ما كانت الفروق والاختلافات بين الإنسان والقردة فإن الأدلة المتاحة من الدراسات على الإنسان تشير إلى أن انفصال الأم عن الطفل في حد ذاته ليس سببًا هامًا لحدوث اضطراب خطير بعيد المدى . ومع ذلك ، فكما سبق أن ناقشنا الأمر فيما يتعلق بالآثار الوقتية قصيرة المدى للإنفصال ، ينبغي ألا تعادل

بالضرورة بين خبرات الإنفصال وبين تفكك الروابط الوجدانية ، وقد يكون الأمر أن الإنفصال في حد ذاته لاتكون له نتائج بعيدة المدى لأن الأطفال يمكنها الإبقاء والحفاظ على الروابط الوجدانية حتى في غياب من يتعلقون بهم من أشخاص ، الأمر الذي يترتب عليه أن الإنفصال لايعني بالضرورة تفكك الروابط .

## تفكك الروابط أم الحرمان من التنبيهات ؟

### الآثار المعرفية :

يثار التساؤل الخاص بتفكك الروابط أم الحرمان من التنبيه دائمًا عند مناقشة النتائج بعيدة المدى المترتبة على الرعاية بالمؤسسات . فقد تبين من عديد من الدراسات أن الأطفال التي نشأت بالمؤسسات غالبًا ما يعانون من التأخر اللغوي وقصور المهارات العقلية العامة وتأخر التحصيل الدراسي (٢٦٨ ، ٦٧٩) وتنطوي التنشئة بالمؤسسات في أغلب الأحيان على تفكك لرابطة تعلق أساسية ، كما تنطوي أيضًا على حرمان من التنبيهات والمثيرات بحيث يصبح من الضروري عند تحديد العمليات النفسية المتعلقة بتلك الآثار أن نفحص المواقف التي يحدث فيها أي العاملين دون حدوث الآخر .

ونبدأ أولا بفحص ما الذي يحدث حين تتفكك رابطة التعلق الأساسية دون أن يكون هناك حرمان من المثيرات وهو ما يحتمل أن يحدث حين يفقد الطفل أحد أبويه بالوفاة أو الطلاق لكنه يظل مقيمًا في بيئته بين بقية أفراد أسرته . وقد أظهرت دراسة دوجلاس Douglas المسحية على المستوى القومي في بريطانيا أن وفاة أحد الوالدين عقب مرض مفاجيء لم يترتب عليها أية آثار فيما يتعلق بالنمو العقلي (١٦٤) أما فرنون Vernon (٦٨٩) فلم يجد ثمة علاقة بين التفكك الأسري والذكاء ، كما لم توجد أية علاقة بين التفكك الأسري وأي من التأخر العقلي أو التأخر القرائي (٥٧٣) . وعلى ذلك يمكن اعتبار أن تفكك الروابط في حد ذاته لايرتبط بالتأخر العقلي أو التعليمي . ويتفق ما توصل إليه بولبي (٦٠) مع

الاستنتاج السابق إذ وجد أن الأطفال الذين قضوا سنوات بمصحات الأمراض الصدرية كان مستوى ذكائهم طبيعيًا – هذا رغم أننا في هذه الحالة بصدد فحص آثار الإنفصال وليس آثار تفكك العلاقات .

فإذا كان الاستنتاج السابق طرحه هنا صحيحًا فمعنى ذلك أن المؤسسات التي يتوافر لها مستوى طيبًا من التنبيهات المعرفية والرعاية الكافية للأطفال لاينبغي أن تؤدي إلى قصور معرفي ، وهو ما يبدو عليه الأمر في حالة الأطفال التي تنشأ في دور حضانة داخلية ذات مستوى جيد حيث يتوافر لها الكثير من خبرات التفاعل بين القائمين بالعمل والأطفال وحيث يتوافر فيها التنبيهات ولكن مع ذلك تميل العلاقات لأن تكون لا شخصية ، ولاتتأثر كثيرًا بالمشاعر على المستوى الفردي ، وحيث يقوم عدد محدود من الراشدين برعاية كل طفل من الأطفال (٦٨٠) ، مثل هذا السياق البيئي قد لاينطوي على حرمان ادراكي لكنه من الأرجح ألا يساعد كثيرًا على تكوين روابط تعلق . وقد وجد أن الأطفال بهذه الدور كانوا أكثر التصاقًا وتشبثًا بالراشدين ، كما كانوا أكثر خوفًا من الغرباء عن الأطفال الذين نشأوا في كنف أسرهم ولكن مع ذلك فلم يكن لديهم أي تأخر لغوي في سن ثلاثة سنوات (٦٨٠) ويبدو أن ما يعنينا ليس ما إذا كنت قد نشأت في مؤسسة جيدة أ م في ظل أسرتك وإنما أي نوع من الرعاية أتيح لك .

ومرة أخرى ، إذا كان الأمر كذلك فإنه يترتب عليه أن تحسين نوعية الرعاية بالمؤسسات يحسن أيضًا من النمو اللغوي والعقلي للأطفال حتى في حالة استمرار انفصالهم عن ذويهم .

وهناك أدلة جيدة مؤيدة لذلك . فقد سبق أن قرر سيكلز وداي Skeels & Dye (٦١٦) وجود ارتفاع ملحوظ في المستوى العقلي لمجموعة صغيرة من الأطفال تم نقلهم من أحد الملاجيء الرديئة إلى احدى المستشفيات التي ترعى جوانب التأخر النمائي . كذلك وجد أن زيادة الإهتمام بالأطفال ترتب عليها سلوكًا

أكثر توجهاً نحو الهدف بزيادة في التعبير اللفظي لدى أطفال من الذكور شديدي التأخر ، طالت مدة اقامتهم باحدى المؤسسات (٣٩٧) كما وجد أيضاً أن الأطفال المتأخرين عقلياً ازدادت نسبة ذكائهم حين تم تعريضهم لأحد برامج التعليم الخاص (٣٢٥) ففي الدراسات التجريبية شديدة الإحكام وجد أن اتاحة الرعاية الأفضل للأطفال المتأخرين عقلياً أدت إلى زيادة واضحة في النمو اللفظي (٣٨٢ ، ٦٧٨) كذلك فإن تعريض الأطفال لبيئات تختلف في ما تتيحه من خبرات وتنبيهات كان له آثاراً طيبة على النمو المعرفي (٦٥٠) .

وقد أظهرت كثير من النتائج مدى أهمية الحرمان من التنبيهات - وليس تفكك رابطة التعلق - على النمو العقلي والمعرفي، فقد وجد أن الأطفال الذين توفي أحد والديهم بعد مرض مزمن عانوا من بعض جوانب القصور العقلي في حين أن نفس الآثار لم تظهر على الأطفال الذين توفي لهم أحد والديهم عقب مرض مفاجيء (١٦٤) والأرجح هنا هو أن أحد جوانب الرعاية يتأثر بشكل سيء بإزمان المرض ، أما الفقد الوالدي فلم يؤثر في حد ذاته على النمو المعرفي .

أما ثانياً ، فإن كثير من الدراسات (١٥٨ ، ١٦٤ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧) قد وجدت أن أطفال الأسر كبيرة الحجم ينخفض لديهم النمو اللغوي والمعرفي بمقارنتهم بأطفال الأسرة الصغيرة ، وهذه الفروق ترجع لأثر البيئة لا الوراثة (٥٧١) ورغم أن العملية النفسية في ذلك ليست واضحة إلا أن الواضح لنا أن تفكك الروابط لا شأن له بذلك ، وإنما يبدو أن العامل المؤثر هنا هو أحد جوانب التفاعل بين الوالدين والأبناء ، والأرجح أن يكون جانب الإتصال اللغوي . ونفس الأمر ينطبق على الأطفال الذين ينشأون في أسر لاتتيح تنبيهات معرفية ملائمة .

فقد تبين من الدراسات الباكرة (١٥ ، ٢١٨ ، ٧٠٧) أن القدرات اللغوية تتأخر كثيراً لدى أطفال الجماعات التي تعيش في عزلة نسبية ، ويظهر هذا التأخر بصورة أكثر وضوحاً لدى كبار الأطفال عنه لدى صغارهم مما يشير إلى اطراد

الضرر والقصور المترتب على الحرمان الطويل من أحد جوانب الخبرة . وهنا مرة أخرى يبدو لنا أن تفكك الروابط الوجدانية لا علاقة له بذلك .

وكل الأدلة تؤكد أن تفكك روابط التعلق في حد ذاته ليس له تأثير يذكر على النمو العقلي في حين أن انعدام الخبرة وقصور التنبيه له أثر سيء على هذا الجانب من جوانب النمو ولأن النمو المعرفي يتأثر بانعدام التنبيهات أكثر مما يتأثر بفقد التنبيهات لذا فإن مصطلح الإفتقار Privation يعتبر أكثر دقة من مصطلح الحرمان Deprivation .

**الآثار الإنفعالية والسلوكية :**

يختلف الأمر تماماً عما سبق عند فحص ما يترتب على الحرمان من نتائج انفعالية وسلوكية وبعكس النتائج الخاصة بالجانب المعرفي فإن التفكك الأسري يرتبط بشدة بالإضطراب الإنفعالي والسلوكي وبصفة خاصة السلوك المضاد للمجتمع (٥٤٢) فالأطفال الذين انفصلوا عن أحد الوالدين بسبب حدوث طلاق أو انفصال يزداد أمامها خطر الجناح بنفس درجة الأطفال التي أودعت بالمؤسسات. ومثل هذه الظروف - الطلاق ، الإنفصال ، الإيداع بالمؤسسات - تنطوي على تفكك رابطة تعلق قائمة لكنها لاتنطوي على تغيير في التنبيهات المتاحة ، وعلى ذلك فإن الحرمان من التنبيهات يمكن استبعاده في هذه الحالة كأحد الميكانزمات النفسية ذات الفاعلية في اضطراب السلوك . أما ما إذا كان تفكك الروابط أم تشوه هذه الروابط واضطرابها هو المتغير ذو الأهمية فإن ذلك هو ما سيتم فحصه فيما يلي مباشرة .

ولانعلم الكثير عن الآثار الإنفعالية المترتبة على المواقف التي تنطوي على انعدام التنبيهات مع عدم حدوث انفصال أو تفكك لروابط التعلق . وعموماً هناك فروق قائمة وحقيقة في مستوى الأداء العقلي للأطفال وفقاً للإختلافات في الطبقات الاجتماعية (٢٨٤ ، ٥٧٣) وهذه الفروق قد ترجع جزئياً للوراثة وجزئياً للبيئة .

وبالقدر الذي يمكن به ارجاع هذه الفروق لجوانب البيئة فإنه يمكن القول بأنها تعكس فروقًا واختلافات في أسلوب ونوعية الخبرات المتاحة للأطفال . وإذا كان للفروق في التنبيهات أن ترتبط بما يترتب عليها من آثار معرفية وانفعالية ، ففي هذه الحالة يفترض جدلاً أن يكون هناك فروق في معدل الإضطرابات السيكياترية وفقًا للفروق في الطبقة الاجتماعية ، لكن الأمر لم يكن كذلك (٥٤٢ ، ٥٧٣ ، ٦٠٥) وتلخيصاً لما سبق فإن تفكك روابط التعلق ، أو عامل ما مصاحب لذلك ، يرتبط بالاضطراب الإنفعالي السلوكي والدليل المتاح لنا يشير إلى أن قصور التنبيهات أو الإفتقار إليها ليس له إلا أثر محدود جدًا على الجوانب الإنفعالية .

## الإفتقار إلى التنبيهات الحسية أم الاجتماعية ؟

يؤدي الاستنتاج السابق بأن الافتقار إلى التنبيه له آثار سيئة على النمو المعرفي إلى تساؤل آخر عن أي نوع من التنبيهات له الأهمية القصوى أي التنبيهات الاجتماعية أم التنبيهات الحسية ؟ ويصعب تحديد ذلك لأنه عادة ما تصدر التنبيهات الحسية عن أشخاص مما يترتب عليه أنه إذا غاب أحد هذه التنبيهات غاب الآخر .

غير أن التمييز بين أي من هذه التنبيهات أمر أساسي عند تحديد اتجاه الجهد المبذول لإزالة الآثار السيئة الناتجة عن انعدام التنبيه . ويمكن تصور مدى أهمية ما ينطوي عليه ذلك من دلالات إذا ما تم مقارنة آراء كاسلر Casler (٩٥، ٩٧) بآراء انزورث Ainsworth (٢) الخاصة بالآثار الناتجة عن الرعاية بالمؤسسات ، إذ يعتقد أن ما يمكن اعتباره أمرًا حاسمًا هو درجة التنبيهات المتاحة ومدى ونوعية الخبرات المقدمة للطفل . أما ما إذا كانت هذه التنبيهات والخبرات يتيحها أشخاص فهذا أمر لا أهمية له رغم أنه يحدث عادة من الناحية العملية ، ومن هنا كان رأيه القائل «الكائن البشري ليس بحاجة إلى حب الأم» (٩٧) ووفقًا لذلك يمكن جدلاً أن نقدم للطفل كل ما هو بحاجة إليه عن طريق

الروبوت الآلي الذي يمكنه استخدام الكلمات (مثل هذه الحاسبات الآلية قد تم تجميعها لكي تقوم بذلك بشكل بسيط) وأدوات اللعب والبيئة الغنية بالمثيرات المتنوعة . وعلى نقيض صارخ للرأي السابق خلصت انزورث Ainsworth إلى أن «الحرمان الذي يسود المؤسسات الإيوائية إنما ينشأ عن عدم كفاية التفاعل المتبادل بين الطفل والآخرين» ، وقد اعتبرت أن التنبيهات الحسية الإدراكية مجرد عامل ثانوي عارض له أهمية فقط حين تقوم به الأم . وبناءً على ذلك فإن «الجهد المبذول لإثراء بيئة المؤسسات عن طريق اتاحة خبرات رياض الأطفال يبدو أقل فاعلية في التصدي لتأخر النمو من الجهد الموجه لتسهيل حدوث تعلق الطفل بأم بديلة» ووفقًا لهذا الرأي يمكن أن نفترض جدلاً أن أدوات اللعب والروبوت الآلي والإثراء والتنوع البيئي يمكن التغاضي عن أهميتها عند محاولة اصلاح جوانب القصور المعرفي التي تحدث لكثير من الأطفال التي تنشأ في الموسسات ذات الطابع التقليدي القديم .

ولعل ابراز التضاد الصارخ بين آراء كل من كاسلر Casler وانزورث Ainsworth قد تجاوز قليلاً ماكان يعنيه كل منهما ، ومع ذلك فهناك اختلاف كبير في رؤية كل منهما للرعاية بالمؤسسات يمكن تلخيصها في عبارتين مختصرتين هما «التنبيهات الحسية» مقابل «التنبيهات الاجتماعية» وتحمل كل منهما المكونات الأساسية لكل من وجهتي النظر السابقتين .

وقد سبق عرض الدراسات التي تبين الآثار البعيدة الناتجة عن قصور التنبيه الحاسي وما يؤدي إليه من خلل معرفي . فالحيوانات التي نشأت في أقفاص يحوطها زجاج معتم كانت أقل قدرة على حل المشكلات عن تلك التي نشأت في بيئة مفتوحة ولأن هذا الإختلاف ينطوي على كل من القصور الحسي والقصور الاجتماعي (ذلك لأن البيئة الطليقة كانت تتيح لصغير الحيوان الإتصال بالحيوانات الأخرى) لذا من الضروري أن نبحث عن تلك التجارب التي قامت بالعزل بين المتغيرين . وقد سبق أن أشرنا إلى التجارب التي تم المقارنة فيها بين الفئران التي

نشأت في أقفاص تحد من الرؤية وأخرى نشأت في أقفاص تسمح لها برؤية البيئة المتنوعة من حولها مع عدم السماح لهذه الفئران بالإتصال بفئران أخرى في كلا الحالتين . وقد وجد أن المجموعة التي نشأت محدودة الرؤية للتنوع البيئي كانت أكثر تأخراً من المجموعة الثانية . كذلك فإن الفئران التي نشأت في بيئة مفتوحة طليقة كانت أكثر تفوقاً في الأداء العقلي إذا ما هيء لها تجهيزات وأدوات للعب بمقارنتها بتلك التي تركت في بيئة جرداء عارية ، هذا مع الأخذ في الاعتبار أن الفئران في كلتا الحالتين كانت على اتصال بغيرها من الفئران .

وما يمكن أن نستخلصه من كل ذلك هو أن التغيير في التنبيهات الحسية - لدى الفئران - يمكن أن يؤثر على النمو العقلي حتى إذا لم يحدث تغيير في التنبيهات الاجتماعية . ولاتتيح لنا النتائج السابقة أن نحدد مدى أهمية التنبيهات الاجتماعية . ولكن حقيقة أن الفئران التي نشأت في بيئة طليقة كانت أرقى أداءً عقلياً عن تلك التي نشأت بالأقفاص المحدودة - بغض النظر عن أية تجهيزات أو أدوات لعب - قد تبين لنا مزايا الاتصال الاجتماعي أو قد تعني فقط أن البيئة المفتوحة تتيح قدراً أكبر من التنبيه الحسي . ومدى أوسع من الخبرات .

وليس هناك تجارب مماثلة على الأطفال يمكن المقارنة وفقاً لها ، ولايمكن أن نفترض بالضرورة أن ما ينطبق على الفئران ينسحب أيضاً على الأطفال ، غير أن القليل المتاح لنا من أدلة علمية يشير إلى أن التنبيه الحسي يلعب دوراً في النمو العقلي للإنسان . وهو ما أظهرته نتائج الدراسات على التعليم التعويضي ما قبل المدرسة (٦٤١) وتلك الخاصة بالآثار المؤقتة الناجمة عن غياب التنبيهات كذلك فإن ما سجلته الدراسات بأن أطفال المؤسسات التى لاتتيح انتظاماً وتحديداً للأمهات البديلة القائمة على رعاية الأطفال لكنها مع ذلك تهيء قدراً معقولاً من التنبيهات كان نكاؤهم طبيعياً يعتبر دليلاً حاسماً في هذه النقطة . والمقارنة الوحيدة التي تم اجراؤها كانت تلك التي قام بها بوسارد وديكاري Bossard & Decarie (٧٣) حين قاما بفحص أثر زيادة كل من التنبيه الإدراكي (اللعب التي يمكن أن يقوم

الطفل بتحريكها ، واللعب التي تتحرك وحدها ، وتسجيلات الأصوات) والتنبيه الاجتماعي (اللعب مع الطفل والكلام معه) على نمو الأطفال . وقد تم تعريض مجموعتي أطفال تبلغ من عمرها ثلاثة أشهر بمؤسسة كبرى ترعى الأطفال غير الشرعيين إما لأنواع التنبيه الإدراكي ، أو للتنبيهات الاجتماعية ، وقد وجد أن كلا المجموعتين اللتان تم تعريض أطفالها لأي نوع من التنبيهات السابق تحديدها كانت أكثر تقدمًا في جوانب نموها عن مجموعة ثالثة ضابطة لم يحدث تعريض الأطفال فيها لأي نوع من التنبيهات . وعند متابعة مدى استمرار الآثار الطيبة الناجمة عن التعرض للتنبيهات الإدراكية والاجتماعية كانت هذه الآثار ملحوظة وقائمة حين كانت الأطفال في الشهر الخامس من عمرها . ويبدو الأمر واضحًا أنه بالنسبة للإنسان وللحيوانات الدنيا فإن مدى الخبرات المتاحة يؤثر على النمو العقلي .

أما من حيث الأهمية النسبية لكل من التنبيهات الحسية والاجتماعية للنمو الإنفعالي فقد وجد بكل تأكيد أن العزل الاجتماعي في بداية الحياة يؤدي إلى حدوث الاضطرابات الانفعالية فيما بعد وذلك في كثير من أنواع الحيوان . غير أن مثل هذه الدراسات لسوء الحظ كان يجتمع فيها كل من الحرمان من التنبيهات الحسية والاجتماعية معًا وقل ان قامت الدراسات بالفصل بين هذين المتغيرين ، وتشير نتائج ماسون Mason (٤٠٧) المبدئية أن القردة التي يتم عزلها تصبح أقل خوفًا وأكثر نشاطًا حين وضع معها دمي متحركة عنه إذا نشأت مع أشياء ثابتة لاتتحرك .

وفي هذا الجزء من الفصل تم فحص «التنبيهات الحسية» كما لو أن المصطلح يشير إلى مجموعة معينة ومحدودة من الخبرات ، غير أن الأمر ليس كذلك ، فالتنبيهات قد يدخل فيها عدة خبرات حاسية معًا ، وقد تنشأ من ذات الكائن ، كما قد تنشأ حتى من مجرد التعرض السلبي لمثيرات خارجية . وقد ظهر من الدراسات التي تم عرضها في الفصل الرابع أن مثل هذه الاختلافات في

التنبيهات لها أهمية كبرى فالتنبيهات المختلفة يترتب عليها آثار مختلفة في جوانب النمو . والأمر لايعني أن أحد أشكال التنبيهات أكثر أهمية من غيره وإنما أن مصطلح «الذكاء» إنما ينطوي على مهارات مختلفة يتطلب انماء كل منها خبرات مبكرة في المراحل الأولى من الحياة تختلف قليلاً عن بعضها البعض .

## الإفتقار إلى التنبيهات الإنفعالية أم الحرمان الغذائي ؟

يثار هذا التساؤل حول ما إذا كانت الآثار بعيدة المدى للحرمان ناتجة عن الإفتقار الإنفعالي أم النقص الغذائي عند فحص زملة الأعراض التي تعرف بقزمية الحرمان» Deprivation dwarfism وفيها تتصف القامة بالقصر الشديد مع شدة النهم في تناول الطعام والشراب ، والتأخر الملحوظ في النضج الجنسي ونضج العظام . وهذه الزملة من الأعراض نلاحظها على الأطفال الذين مروا بحرمان انفعالي ونفسي طال مداه (٤٥٩) وهؤلاء الأطفال يأتون من أسر شديدة الإضطراب يتعرضون فيها لضروب الرفض والعزلة بل والإيذاء الجسمي الشديد في بعض الأحيان . وعادة ما يزداد وزن هؤلاء الأطفال عند ادخالهم دور الرعاية أو المستشفيات . وقد لوحظت نفس الآثار على الأطفال التي نشأت بمؤسسات إيوائية رديئة (٢٠٤ ، ٧١٤) . وقد أصبحت هذه الزملة التي يطلق عليها قزمية الحرمان معترف بها على نطاق واسع في السنوات الأخيرة كما أصبح من المعتقد أن الحرمان الإنفعالي يؤدي إلى القزمية حتى حين يظل الغذاء الذي يتم تناوله ملائماً وكافياً (٦١٣) غير أن الأدلة المؤيدة لهذا الرأي ليست كافية ، فالوالدان عادة ما يقررون أن أطفالهم يلتهمون كميات كبيرة من الطعام ، كما أن التحسن الذي يحدث في أعقاب إبعاد الطفل عن أسرته يشير إلى أن الظروف الأسرية كانت مسئولة عن القزمية . وقد سبق أن قرر فريد وماير Fried & Mayer (٢٠٤) في دراسة باكرة وجود علاقة بين معدل النمو والتوافق الإنفعالي لأطفال المؤسسات . وقد لاحظ الدارسان أن تقديم الوجبات المناسبة لم يؤدي إلى تحسن نمو الأطفال إلا حين تم معالجة الإضطرابات الإنفعالية التي كانوا يعانون

منها ، كذلك في دراسة أخرى على أطفال الملاجيء (٧١٤) وجد أن تقديم وجبات اضافية لم يؤدي إلى زيادة وزن الأطفال في الملاجيء التي يكون فيها الإشراف قاسياً غير عطوف . فاختلاف المشرفين أدى إلى زيادة وزن الأطفال في حين أن تحسين الوجبات وحده دون تغيير المشرف لم يفعل ذلك وفي تلك الدراسة تم التحكم في عامل الوجبات الغذائية المقدمة للأطفال غير أننا قد نتساءل حول ما إذا كان تناول الطفل للطعام يوازي ما تم تقديمه له . ففي الملاجيء السيئة حين كان المشرف ينهر الأطفال أثناء تناولهم الطعام قائلاً «اسرعوا فسوف يبرد الحساء» كانت الأطفال تضطرب لدرجة أن يترك معظمهم طعامه .

وهناك عدة عمليات يمكن أن تؤدي للقزمية وهي اختلال وظائف الغدد الصماء ، فقدان الشهية ، سوء التغذية ، سوء امتصاص الأمعاء للغذاء ، عدم كفاية كمية الطعام . وفي الحالات الإنفعالية غير السوية ، قد يحدث خمول في وظائف الهيبوثالامس Hypothalamus ، أو قد يحدث زيادة في افراز مادة الكورتيزول (٤٦٦) والذي يؤدي أي منهما إلى قصور النمو الجسمي من خلال ميكانزمات هورمونية (١) . وقد قام بعض الدارسين (٤٦٧) بفحص ثلاثة عشرة طفلاً قصار القامة ، شديد النهم في تناول الطعام والشراب ، يقومون أحياناً بسرقة الطعام . وبعد ادخالهم المستشفى ازداد وزن هؤلاء الأطفال وزالت الأعراض السابقة . وهؤلاء الأطفال ينتمون إلى أسر شديدة الإضطراب وقد أرجع تأخر نموهم إلى الحرمان العاطفي الشديد .

وقد أظهر فحص وظائف الغدد الصماء لهؤلاء الأطفال وجود نقص في معدل الهرمون المنشط لإفراز الكورتيزول والمعروف بـ ACTH . وهرمون النمو لدى معظمهم ، وقد فسر ذلك على أساس أن الإضطراب الإنفعالي قد أدى إلى خلل في وظائف الهيبوثالامس مما نتج عنه خمول في وظائف الغدة النخامية .

ومدى أهمية هذه النتائج ما زالت غير مؤكدة حيث وجد بعض الدارسين (٦١٣) افرازاً طبيعياً للكورتيزول وهرمون النمو في الأطفال الذين يعانون من

قزمية الحرمان . وقد يكون الأمر أن اختلال الوظائف الهرمونية لايوجد إلا في بعض الحالات فقط ، بل وحتى في هذه الحالة فإنه لايمكن تحديد ما إذا كان ذلك راجعًا إلى الحرمان العاطفي أم إلى عدم كفاية الغذاء . فسوء التغذية لمدة طويلة يمكن أن يؤدي إلى حالة مماثلة من اضطراب الغدد الصماء (٤٦٧) وعلى ذلك فإن اختلال وظائف هذه الغدد قد لايكون أكثر من مجرد آثار جانبية لسوء التغذية .

ومن المعترف به تمامًا أن الإضطراب الوجداني يمكن أن يقلل من الشهية ، وهو ما يمكن أن يمثل الأثر الرئيسي للحرمان على النمو ، حيث يؤدي فقد الشهية إلى ضعف وقلة كمية الطعام التي يتم تناولها . غير أن ذلك لايمكن أن يكون الحال في الأطفال ذوي الشهية النهمة والذين لايزيد وزنهم بما يتناسب مع كمية ما يتناولونه من طعام. غير أن بعض الدراسات قد قررت أن عددًا من أقزام الحرمان يقل ما يتناولونه من سعرات حرارية كما يعانون من فقدان الشهية (١٣ ، ٦٦٣) وفي مثل هذه الحالات فإن فقدان الشهية يمكن أن يكون عاملاً هامًا ، ذلك لأن زيادة النمو ترتبط بزيادة تناول الطعام . وفي حالات أخرى قد ينشأ سوء التغذية النوعي عن تفضيل الطفل أو عدم تفضيله لألوان من الطعام ، وهي حالات توجد عند بعض الأطفال وليس من المرجح أن يكون الإضطراب النوعي للوجبات الغذائية سببًا كافيًا لفشل النمو وإن كان يمكن اعتباره عاملاً مساعدًا .

كذلك فإن التغييرات في حركة الأمعاء وافرازاتها وامتصاصها قد يتدخل في عملية التمثيل الغذائي . وبكل تأكيد فإن العوامل الإنفعالية تؤثر في وظائف الأمعاء وهو ما أوضحته دراسات تمت على أشخاص يعانون من الناصور المعوي Fistula (٢٤ ، ١٨٠) كذلك يتفق اخراج كمية كبيرة ذات رائحة كريهة من البراز مع فكرة وجود سوء امتصاص معوي للطعام (٤٦٧) في بعض الحالات ، ولكن حدوث ذلك لم يمنع أن يزداد وزن مثل هؤلاء الأطفال بعد رعايتهم بالمستشفيات . وتشير النتائج الإكلينيكية أنه في حالة وجود سوء امتصاص للغذاء

لدى أقزام الأطفال فإن ذلك لايشكل إلا عاملاً ذا أهمية ثانوية ، كما ينبغي ملاحظة أن سوء التغذية المبكر قد يؤدي نفسه إلى سوء الاستفادة من الطعام فيما بعد (٩٩) .

وفي النهاية فعلى عكس ما يقرره الوالدان عن تناول أطفالهم لكميات كبيرة من الطعام فإن الأطفال المحرومة عاطفيًا قد لايحسن اطعامها أيضًا ؛ فحين تم الحصول على قائمة الوجبات التي يقدمها الوالدان اللذان يشعران بأنهم موضع للنقد فيما يتعلق برعايتهم لأطفالهم ، لم تكن القوائم التي ذكرت دقيقة . وتبدو لنا فرضية أن عدم كفاية تناول الطعام مسئولة عن قزمية الحرمان مقبولة إلى حد كبير وفقًا لنتائج كثير من الدراسات التجريبية .

أما بالنسبة للدراسات على الحيوان فقد كانت زيادة الوزن طبيعية في قردة الشمبانزي التي تعرضت للحرمان الاجتماعي الشديد في كل من طفولتها (١٣٥) ثم فيما بعد حين تقدم بها النمو (١٣٦) كذلك كان الأمر حين تم تربية قردة الريزوس في عزلة تامة مع توافر الفرص الطبيعية لتناول الغذاء . فقد ظهرت على هذه القردة كثير من أشكال السلوك الشاذة ومع ذلك فإن معدلات نموها كانت طبيعية تمامًا (٣٣٢) وفي دراسة لثلاث من هذه القردة التي تعرضت للعزلة الشديدة في طفولتها وجد أنها تعاني من النهم الشديد في تناول الطعام والشراب (٤٢١) مع أن ذلك النهم لم يصاحبه زيادة في الوزن بحيث يمكن افتراض أن بعض التغييرات قد طرأت على التمثيل الغذائي رغم عدم وجود مظاهر للقزمية .

وبنفس الطريقة فإن تأخر النمو لم يحدث حين كان يتم اطعام الأطفال بشكل مناسب وهو ما أظهرته دراسات دقيقة في هذا المجال (٧١٢) فقد تم فحص ثلاثة عشرة طفلاً تقع أوزانهم في الثلث الأدنى من المئيني وهؤلاء الأطفال كانت رعاية أمهاتهم لهم غير كافية وسيئة إلى حد كبير . وقد تم محاكاة نفس ظروف الأمومة السيئة بالمستشفى التي نقل إليها الأطفال بأن وضع كل منهم في حبس انفرادي

في حجرة بلا نوافذ (يثار هنا تساؤل حول هذه المعاملة السيئة وإلى أي مدى يمكن الحد من البيئة بالنسبة لصغار الإنسان حتى لمدة قصيرة) مع تقديم وجبات طيبة لهم .

ورغم استمرار الحرمان من التنبيهات ، واستمرار الحرمان العاطفي إلا أن أحد عشرة طفلاً منهم ظهر عليهم علامات النمو السريع وزيادة الوزن . أما الطفلان الباقيان فقد فشلا في تناول الطعام رغم جودته وتوافر كميته . وتشير هذه النتائج إلى أنه في معظم الأحيان يصبح تناول سعرات حرارية مناسبة سبباً كافياً لإصلاح فشل النمو رغم استمرار وجود أشكال الحرمان الأخرى . وعقب الفترة السابقة لقصور التنبيه تلقت هذه الأطفال رعاية أمومية جيدة كما قدم لها تنبيهات حسية متنوعة مع استمرار الوجبات الغذائية المقدمة لهم على جودتها . ولم يحدث أي تغيير يذكر في زيادة وزن الأطفال في أعقاب ذلك . فالأطفال الذين زاد وزنهم خلال فترة نقص التنبيهات ظل وزنهم يتزايد بنفس المعدل السابق أما الطفلان اللذان لم يتحسن وزنهما من قبل فقد ظلا دون تحسن يذكر . ومن نتائج هذه الدراسة يبدو لنا أن النقص الغذائي هو العامل الحاسم في القزمية ، ولكن هذه النتائج ليست قاطعة لأن الزيادة في الوزن تم متابعتها فقط على مدى قصير من الزمن ولم يتم تتبع التغييرات الحادثة في النمو على المدى الطويل . ومع ذلك فبالأخذ في الاعتبار الأدلة المتاحة المؤيدة وغير المؤيدة يمكن أن نتبين بشكل عام أن سوء التغذية أو عدم توازن ما يتم تناوله من طعام هو العامل الأكثر أهمية في القزمية . وسوء أو قصور التغذية إما أن يحدث لأن الطفل لايقدم له طعام كاف أو إلى أنه يتناول القليل مما يقدم له بسبب فقدان الشهية ، أما تأثير الإنفعالات على وظائف الأمعاء أو على تمثيل الغذاء فهي احتمالات نظرية لم يتم التحقق منها كأسباب وراء حدوث القزمية في حين أن الأدلة الجيدة إلى أن نقص الغذاء هو المسئول في معظم الحالات .

## الافتقار للتنبيهات الاجتماعية أم نقص التغذية ؟

ينبغي فحص ما إذا كان الإفتقار للتنبيهات الاجتماعية أم نقص التغذية يتعلق بالتأخر العقلي لدى الأطفال الذين يعيشون في ظروف سيئة . وتشير كثير من الأدلة العلمية إلى انتشار التأخر العقلي المعتدل في الأطفال الذين ينشأون في الأحياء الشعبية الفقيرة داخل المدن والريف في الدول الغنية بنفس درجة انتشاره بين غير المحظوظين اجتماعيًا واقتصاديًا من أطفال الدول النامية (٣٤٨ ، ٧٢٢) وتتعدد المخاطر التي تجابه مثل هؤلاء الأطفال ، فالأمهات قد تكون معتلة الصحة ، والرعاية المتاحة أثناء الحمل وقبل ميلاد الطفل ينخفض مستواها في معظم الأحيان ، كما يتم ولادة الأطفال في ظروف غير مرضية ، مع ارتفاع مخاطر الإصابة أثناء الحمل وأثناء الوضع . وخلال سنوات نموهم الأولى يكون هؤلاء الأطفال أكثر عرضة للإصابة بالأمراض من نظرائهم الأكثر حظًا والذين يعيشون في ظروف أفضل .

كذلك من الأرجح أن يعيش هؤلاء الأطفال في بيوت مزدحمة غير منظمة ليس بها تنبيهات كافية أو ملائمة ، كما يتم تعليمهم بمدارس سيئة يقل فيها عدد من يقوم بالتدريس وتزدحم فيها الفصول . وكل ظرف من الظروف السابقة يمكن وحده أن يؤدي إلى التأخر العقلي والعجز التعليمي . والسؤال الذي يطرح نفسه هو أي هذه العوامل أكثر أهمية .

والذكاء ينمو وهو ليس أحد المعطيات الثابتة ، كما أن نموه وتطوره عملية اجتماعية تتوقف تمامًا على نوعية وتنظيم البيئة التي يدور في فلكها الإنسان (١٧٨) وليس معنى ذلك انكار أن العوامل الوراثية تلعب دورًا رئيسيًا في نمو الذكاء ، فهي لها دور فعلاً ولكن - وكما أكد علماء الوراثة - جوانب السلوك التي يتم توارثها ليست صفات أو سمات معينة وإنما أنماط للنمو وطرق للاستجابة للبيئة (١٥٥) .

وحتى عهد قريب كان التأكيد الأكبر يقع على أهمية دور الخبرات الاجتماعية في النمو العقلي (٢٦٨) وقد سبق أن عرضنا الدليل على أن التنبيهات الاجتماعية والخبرات وتنوعها لازمين لنمو الذكاء وليس هناك من شك في أن الافتقار للتنبيهات الاجتماعية واللغوية في حد ذاتهما يمكن بل ويؤدي إلى تأخر الذكاء وبصفة خاصة الذكاء اللفظي .

وليس ما سبق هو كل ما في الأمر ، بل هناك ما هو أهم من ذلك ، فمضاعفات الحمل والولادة تزداد كلما انتقلنا من مستوى اقتصادي اجتماعي أفضل إلى مستوى أدنى (٤٢ ، ٣١٥) كما أن العلاقة بين الأضرار والمضاعفات التي تحدث في ظروف الولادة والخلل الناتج عن الإصابات المخية وبين التخلف العقلي الشديد معروفة تماماً منذ عهد بعيد (٣٩٦ ، ٣١٣) كذلك فإن بعض الفروق في نسبة الذكاء والمرتبطة بالولادة قبل اكتمال أشهر الحمل يمكن أن ترجع إلى جوانب القصور الاجتماعي ولكن من المحتمل أن يستمر القصور العقلي نتيجة لنقص وزن الطفل عند ولادته حتى بعد التحكم في آثار الحرمان الاجتماعي (٤٢). وفي الظروف الاجتماعية الطيبة فإن الآثار السلبية المترتبة على ولادة الطفل قبل اكتمال أشهر الحمل يمكن التغاضي عنها بل وقد لاتوجد مثل هذه الآثار على الإطلاق . ولكن يبدو أن هناك تفاعلاً بين نقص الوزن عند الميلاد لدى الأطفال المبتسرين وسوء الظروف الاجتماعية بحيث يزداد التأثير بفعل المتغيرين تحت الظروف الاجتماعية السيئة ، فالقصور البيولوجي يؤدي إلى الحد من قدرة الكائن على التكيف كما يزيد من قابليته للإصابة والتأثر بالمخاطر البيئية .

أما الاحتمال الثاني أمامنا وهو المتعلق بأن سوء التغذية بعد الولادة يؤدي إلى التأخر العقلي فقد تم استعراض الأدلة المتاحة في هذا الموضوع في عدد من المقالات العلمية الهامة (٤٢ ، ١٢٥ ، ٦٠٠ ، ٦٤٧) ففي الحيوان ، وجد أن الفقر الغذائي وسوء التغذية أسفر عن نقص وزن المخ وحدوث تغييرات في الأنسجة والمكونات الكيميائية العضوية للجهاز العصبي المركزي ، هذا إلى جانب أشكال

من العجز السلوكي وهذه الآثار يزداد وضوحها أثناء الفترة التي تبلغ فيها سرعة نمو المخ أقصى مدى لها . وعلى ذلك فليس هناك شك في أن سوء التغذية خلال مراحل النمو المبكرة يمكن أن يُضير بالمخ ولكن من العسير تماماً تحديد مدى تأثير ذلك على النمو العقلي للإنسان . وهناك دراسات تبين أن الأطفال الذين ساءت تغذيتهم في مرحلتي الرضاعة والطفولة المبكرة تأخر نموهم العقلي فيما بعد . وترجع صعوبة تفسير ذلك إلى أن الأطفال الذين يتعرضون لسوء التغذية ينتمون دائماً إلى أسر تعاني من تدهور اجتماعي شديد بحيث يصعب الفصل بدقة بين آثار الحرمان الاجتماعي وآثار نقص التغذية على النمو العقلي . كما يصعب القيام بذلك لأنه من الأرجح في معظم الأحيان ألا يتم طلب أي نوع من العون الطبي لأطفال تعاني من سوء التغذية (٢١٥) .

والخلاصة مما سبق هي أنه يبدو أن عدم اكتمال نضج الجنين ، والإصابات التي تحدث قبل وأثناء الولادة ، وسوء التغذية بعد الميلاد ، والحرمان الاجتماعي يمكن أن تؤدي جميعها إلى التأخر العقلي ، وليس من الممكن حتى الآن أن نحدد التأثير النسبي لكل عامل على حدة . وعلى كل حال فإن الأهمية النسبية لكل من العوامل السابقة تتأثر بالظروف الاجتماعية العامة القائمة . ففي بريطانيا مثلاً يبدو من المحتمل أن الحرمان الاجتماعي هو أكثر هذه العوامل تأثيراً ، غير أن الأمر قد يكون مختلفاً تماماً في الهند أو أمريكا الجنوبية . كما ينبغي أن نضيف أن تأثير كل عامل من هذه العوامل قد يكون مختلفاً أيضاً . فالافتقار إلى التنبيهات الاجتماعية يظهر تأثيره المباشر على النمو اللغوي والذكاء اللفظي ، في حين يحتمل أن يكون للإصابات قبل الميلاد وسوء التغذية بعده تأثير عام على تأخر النمو المعرفي .

## فشل اقامة روابط تعلق أم تفكك هذه الروابط ؟

من المثير للدهشة أن نجد قليلاً من اهتمام الدارسين قد وجه لفحص هذا الموضوع الهام رغم ما له من أهمية نظرية وتطبيقية كبرى . فهو ينطوي على

دلالات بعيدة المدى عند تنظيم رعاية الصغار بالمؤسسات . فإذا كان تفكك رابطة التعلق هو المتغير الأكثر ضرراً حينئذ يكون من الضروري تنظيم الحياة بالمؤسسات بما لايتيح لأي من القائمين على رعاية الأطفال الإتصال المكثف بهم حتى لايؤدي ذلك إلى نمو روابط تعلق بينه وبين الأطفال بحيث لاتعاني الأطفال حين يتم نقل القائم بالرعاية إلى مكان آخر تاركاً وراءه طفلاً أو أطفالاً تعلقت به . ومن الناحية الأخرى ، إذا كان فشل تكوين رابطه وجدانية بشخص ما هو الأمر الأكثر ضرراً ففي هذه الحالة يجب بذلك كل جهد ممكن للتأكد من أن القائمين على رعاية الأطفال يقيمون تفاعلاً واتصالاً مكثفًا مستمراً بكل طفل لكي يشجع ذلك على نمو علاقات تعلق . فإذا تكونت علاقات متعددة بين الطفل وأكثر من قائم بالرعاية فقد يكون الضرر أقل إذا حدث أن اضطر أحدهم إلي الانتقال إلى مكان آخر .

ولسوء الحظ تقل الأدلة العلمية فيما يتعلق بهذه القضية الهامة ، والأمر لايتعلق بالضرورة بما إذا كان أي البديلين تترتب عليه نتائج أكثر ضرراً وإنما ينبغي إيضاح أن كل من فشل تكوين روابط التعلق وتفكك الروابط تترتب عليه آثار مختلفة . والأدلة القليلة المتاحة تؤيد هذا الرأي .

ولكي يمكن دراسة هذه المشكلة من الضروري أن نبحث عن المواقف التي لايكون للأطفال فيها إلا فرصة ضئيلة ، أو تنعدم فيها الفرصة لتكوين روابط تعلق في الطفولة المبكرة . وبناءً على الأدلة القليلة المتاحة لنا يمكن أن نفترض أن تكوين علاقات التعلق من الأرجح ألا يحدث في بيئة قاصرة التنبيهات تقل فيها فرص التفاعل المكثف على المستوى الفردي بين القائم بالرعاية والطفل ويترك فيها الصغار يبكون دون الإلتفات إليهم وحيث تقدم الرعاية في أوقات روتينية محددة وليس كاستجابة لمطالب الصغير وحيث يوجد أكثر من قائم بالرعاية ليس من بينهم من يتفاعل بشكل منتظم مع الطفل لعدة شهور أو أكثر . ومثل هذه البيئة تتاح في المؤسسات الإيوائية الكبيرة ذات الطابع التقليدي القديم وينمو التعلق الوجداني

عادة خلال الثمانية عشر شهراً الأولى في حياة الصغير وبذلك فإن الرعاية بالمؤسسات خلال السنتين أو الثلاث الأول من الحياة ربما تكون هي الموقف الوحيد الذي من الأرجح أن يرتبط بالخلل في تكوين روابط التعلق ، وعلى ذلك يمكن فحص آثار كل من فشل تكوين الروابط وتفكك الروابط إذا قمنا بمقارنة الأطفال الذين يُلحقون بالمؤسسات منذ بداية حياتهم بالأطفال الذين يلحقون بها بعد أن يكونوا قد أقاموا علاقات تعلق .

وقد قامت برنجل Pringle (٤٧٥) بدراسة الأسباب المحتملة وراء الفروق بين الأطفال مستقري التوافق والأطفال سيئي التوافق الذين يقعون تحت رعاية المؤسسات لأمد طويل . وقد وجدت أن الأطفال الأكثر استقراراً انفعالياً وتوافقاً كانوا أولئك الذين توافرت لهم فرصة تكوين علاقات تعلق ثابتة مستقرة قبل إلحاقهم بالمؤسسات ، مما يوحي بأن الفشل في تكوين رابطة تعلق في بداية الحياة من الأرجح أن يؤدي إلى سوء التوافق . كذلك فإن هؤلاء الأطفال الأكثر استقراراً قد ظل لهم علاقة دائمة موثوق بها مع أحد والديهم أو بديل لأحد الوالدين حتى بعد ادخالهم في رعاية المؤسسة . وعلى العكس فإن الأطفال سيئة التوافق لم تكن لهم نفس ما اتيح لنظرائهم من فرصة لتكوين علاقة تعلق وجداني أو الإستمرار فيها والحفاظ عليها . وكان أبرز ما يميزهم هو عدم القدرة على اقامة علاقات سواء بالكبار أم بغيرهم من الأطفال. والواضح أن استمرار زيارات الأهل لأطفالهم بالمؤسسة كان سبباً كافياً لاستمرار رابطة التعلق (٤٨٦) .

أما في دراسة لأطفال الأمهات العاملات (٤٢٥) فقد وجدت أن أكثر الأطفال معاناة هم من كانوا ينتقلون من رعاية شخص إلى آخر في متتالية ترتيبات غير كافية أو مستقرة ، هذا إلى جانب أن معظمهم كان قد قضى مدداً زمنية متفاوتة في رعاية داخلية باحدى المؤسسات أو دور الإقامة . وقد كان أبرز ما يميز سلوك هؤلاء الأطفال في طفولتهم المبكرة هو محاولات جذب الإهتمام وشدة الإلتصاق والتشبث ، والإعتمادية الشديدة . وفي دراسة أكثر حداثة وجد تيزارد Tizard

(٦٧٢) أن أنماط السلوك السابقة كانت أكثر ما يميز أطفال دور الإقامة الداخلية عن هؤلاء الذين نشأوا في رعاية أسرهم .

وفي دراسة لأطفال المؤسسات وجد أنهم يعانون من اضطرابات سيكياترية متنوعة ولكن أبرز ما كان يميز من التحق منهم بالمؤسسة قبل سن الثانية من عمره هو الصداقة بلا تمييز لشخص معين وانعدام أي شكل من أشكال الكف الاجتماعي ، مما يشير إلى أن فشل تكوين علاقات تعلق باكره لايؤدي فقط إلى زيادة الإضطراب الإنفعالي عموماً وإنما إلى نوع معين من الاضطرابات .

ويمكن فحص هذا الجانب المميز لفشل اقامة الروابط في بداية الحياة عن طريق دراسة الأطفال الذين نشأوا بالمؤسسات منذ مرحلة الرضاعة ثم مقارنة من تم تبنيه منهم قبل بلوغه الثالثة من عمره مع من تم تبنيه بعد بلوغه الثالثة من عمره حين يصبح من العسير تكوين روابط تعلق للمرة الأولى ، وهو ما قام به جولد فارب Goldfarb (٢٤٠) وقد وجد أن هؤلاء الأطفال الذين ظلوا تحت رعاية المؤسسة إلى ما بعد بلوغهم الثالثة من أعمارهم تميز سلوكهم بعدم الإلتزام بأية قاعدة ، وانعدام الشعور بالذنب ، وشدة الرغبة في الحصول على المحبة ، وعدم القدرة على اقامة علاقات دائمة وذلك بمقارنتهم بأطفال المجموعة التي تم تبنيها لدى بعض الأسر قبل بلوغها الثالثة من العمر . كذلك كان أطفال المجموعة الأولي أقل ذكاءً وأضعف في الجوانب اللغوية . ورغم وجود نقاط تؤخذ على هذه الدراسة فيما يتعلق بأدوات القياس المستخدمة فيها وعدم وضوح المتغيرات التي تم بموجبها تحديد أطفال كل مجموعة إلا أنه كان من الواضح وجود فروق بين المجموعتين في نوع الإضطرابات ، وهي فروق يمكن ارجاعها للفشل في اقامة روابط تعلق ، كما أن الإضطرابات التي ظهرت على أطفال المجموعة الثانية اقتربت كثيراً من الإضطرابات الذي سبق أن أطلق عليها بولبي «الشخصية عديمة مشاعر المحبة» Affectionless personality (٥٠) .

ففي دراسته على عدد أربعة وأربعين لصاً قام بولبي بالربط بين عدم القدرة

على تكوين علاقات بالآخرين بخبرات الإنفصال في المراحل الباكرة من الطفولة غير أن الفحص الدقيق لتاريخ الحالات التي قام بدراستها يشير إلى أن الشخصية عديمة مشاعر الحب لاترتبط كثيراً بالإنفصال الطويل عن الوالدين في الطفولة بقدر ما ترتبط بتعدد تغيير ممثل الأمومة وتكرار تغيير البيئة الأسرية في مرحلتي الرضاعة والطفولة المبكرة ، وهو ما حدث في سبعة حالات من بين أربعة عشرة حالة تتصف بانعدام مشاعر المحبة ، في حين أن ثلاثة حالات فقط من بين الثلاثين حالة الباقية قد مرت بظروف مماثلة . ويبدو أن تكرار تغيير ممثل الأمومة خلال الفترة التي تكون فيها علاقات التعلق يضير تماماً بتكوين هذه الروابط ، كذلك أظهر فحص تاريخ هذه الحالات أن حالتين من بين الحالات السبعة الأخرى التي ينطبق عليها وصف انعدام مشاعر المحبة كانت قد أمضت مدة تسعة شهور كإقامة داخلية باحدى المستشفيات دون أن يتردد عليها أحد بالزيارة وذلك في السنة الثانية من عمرها . ويمكن أن نتوقع وفقاً للنتائج السابقة أن فشل اقامة روابط وجدانية في المراحل الباكرة من الطفولة يرتبط على نحو خاص بالإضطراب الذي أطلق عليه بولبي «الشخصية عديمة مشاعر المحبة» ، أما ما يطلق عليه عموماً بالسيكوباتية منعدمة المشاعر . والسؤال الآن هو : هل تفكك الروابط يمكن أن يكون له نفس الأثر ؟ والواضح أن الدراسات التي سبق مناقشتها تشير إلى أن النتائج السابق سردها نادراً ما تترتب على تفكك الروابط أو تحللها . وتؤكد الدراسات التتبعية لأطفال ألحقوا بالمؤسسات بعد العمر الزمني الذي تتكون خلاله الروابط عادة أن السيكوباتية لم تميز الأطفال الذين كانت لهم علاقات تعلق بالآخرين ثم تفككت أو تعرضت للإضطراب والتوتر نتيجة الإنفصال لمدى طويل . وعلى سبيل المثال لم تكن السيكوباتية علامة مميزة للأطفال الذين ألحقوا بمصحات رعاية مرضى السل في دراسة لبولبي (٦٠) كما لم تكن من خصائص الأطفال الذين تم ابعادهم عن مدينة لندن والحاقهم بدور الإقامة الداخلية في دراسة أخرى (٣٨٤) .

وتشير الأدلة – رغم قلة الدراسات – إلى أن الآثار المترتبة على تفكك الروابط الوجدانية تختلف عن تلك التي تنتج عن فشل تكوين هذه الروابط . ويبدو أن الفشل في إقامة علاقات تعلق بالآخرين في الطفولة الباكرة يمكن أن يؤدي إلى مرحلة مبدئية من التشبث والإلتصاق والإعتمادية يعقبها سلوك لجذب الإهتمام وعدم الكف الاجتماعي والصداقة بلا تمييز ، ثم شخصية تتسم بانعدام الشعور بالذنب ، وعدم القدرة على اتباع القواعد ، وعدم القدرة على اقامة علاقات دائمة بالآخرين . وعلى العكس فإن مثل هذه الشخصية لاتنشأ كنتيجة لتفكك الروابط .

وقد يعتقد البعض أن التشبث والسلوك الإعتمادي الذي نلاحظه على صغار الأطفال لايتفق مع فشل تكوين علاقات وجدانية بالآخرين والذي يحدث في الطفولة المتأخرة ، غير أن هذا تؤيده تماماً الفروق في السلوك بين أطفال المؤسسات وفقاً للأعمال الزمنية (١٤٥) وليس هناك دراسات تتبعية على الإنسان يمكن أن تبين هذا التطور في السلوك ، ولكن مسار هذا التطور قد أوضحته تماماً دراسات هارلو على القردة التي نشأت في عزلة اجتماعية تامة ، فقد كانت في المراحل الباكرة من حياتها تتشبث بقوة بأمهات صناعية وضعت معها في الأقفاص ، كما تقوم بامتصاص أجزاء مختلفة من أجسامها (القردة نفسها) ويزداد خوفها في أي موقف غريب عليها . وفيما بعد فإن هذه القردة ظلت هيابة متوجسة كما ظهر عليها قصور شديد في جميع أشكال السلوك الجنسي والأمومي وتكوين العلاقات الاجتماعية (٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧) .

والواضح أن الخبرات التي تنطوي على تفكك العلاقة لاتؤدي عادة إلى ظهور انعدام المشاعر السيكوباتي Affectionless Psychopathy في حين أن فشل تكوين الروابط في الطفولة الباكرة يمكن أن يترتب عليه ذلك ، وهو أمر يستند إلى كثير من الأدلة العلمية . وينطوي ذلك ضمناً على أنه قد تكون هناك فترة حساسة لنمو رابطة التعلق يقل بعد إنقضاءها احتمال تكوين هذه الروابط . وإذا كانت مثل هذه الفترة الحساسة حقيقية واقعة فالأرجح أنها تبدأ من الشهر

الخامس أو السادس من بداية الحياة وحتى بلوغ عامين أو ثلاثة ، هذا إذا ما أخذنا في اعتبارنا المسار الطيب الذي اتخذه سلوك الأطفال الذين تم تبنيهم في عمر مبكر بعد الحاقهم بالمؤسسات ، غير أن الأمر بحاجة لمزيد من الدراسات .

## الفشل في تكوين الروابط أم الفشل في اقامة رابطة مع الأم ؟

يثار هنا تساؤل فرعي حول آثار الفشل في تكوين الروابط ويتعلق بما إذا كانت تلك الآثار تترتب على الفشل في تكوين رابطة مع الأم أم الفشل في تكوين أية روابط على الإطلاق . وفي أحد دراساته الباكرة أشار هارلو (٢٥٢) إلى أن العلاقة بين الأم والصغير لها خصائص وجدانية نوعية تميزها عن أية علاقة أخرى ، كما أضاف أن التشبث الذي نلاحظه على القردة التي نشأت مع رفاق عمرية فقط يختلف تمامًا عن التعلق بالأم من القردة . والواضح وجود اختلاف في العلاقات وفقًا لنوعية التفاعل القائم ، أي اللعب مع الأقران في الحالة الأولى والرعاية الأمومية في الحالة الثانية ، ومع كل ، فإن القضية تدور حول ما إذا كانت الرابطة بالأقران أو الكبار الآخرين تؤدي نفس الوظيفة – بالنسبة للنمو النفسي – التي تؤديها العلاقة بالأم . وتؤكد دراسات هارلو على قردة الريزوس أنه رغم وجود الإختلاف في البداية بين العلاقتين إلا أنهما أصبحتا متشابهتين إلى حد كبير فيما لهما من آثار على النمو النفسي (٢٥٧) فقد وجدت آثار سلبية قليلة على النمو النفسي على المدى البعيد للقردة التي نشأت مع رفاق عمرية دون وجود الأم .

ومن الناحية الأخرى ، يؤكد بولبي (٥٧) أن العلاقة برفاق اللعب تختلف تمامًا عن علاقة التعلق ، وهو يعادل بين التعلق وبين ممثل الأم بل في الواقع أن تعريفه للأم هو (الشخص الذي يرعي الطفل ويتعلق به الطفل) وهو يرى أن التفاعل الاجتماعي هو أهم جانب في رعاية الأم للطفل وأن اطعام الطفل لايشكل جانبًا أساسيًا في عملية الأمومة فإذا كان جوهر «الأمومة» ليس أكثر من مجرد

تفاعل بين الطفل وشخص بالغ إذن يمكن القول بأن مصطلح الأمومة قد ينطبق على حالات كثيرة لدرجة أنه قد فقد الكثير من معناه . ولكن الأدلة المتاحة لنا تؤيد رأي بولبي القائل بأن التفاعل الإجتماعي يشكل أساسًا لقيام سلوك التعلق .

والعوامل السابق ذكرها كعوامل مؤدية لحدوث التعلق هي نفسها ما يجعل من غير المحتمل في الظروف العادية أن يمكن لطفل أن يقدم لطفل آخر من نفس العمر الزمني ما يلزم لقيام رابطة تعلق قوية ومستقرة . ومن الناحية الأخرى فإن أي شخص بالغ ، أو حتى طفل أكبر سنًا ، يقيم تفاعلاً وثيقًا بالطفل يمكن أن يفعل ذلك سواء كان هذا الشخص أحد الوالدين أم أحد القائمين بالرعاية .

ولاتتوافر كثير من الأدلة الأمبريقية حول مزايا تكوين علاقات تعلق مع شخص آخرغير الأم ، والواقع أن هذه قضية بحثية بحاجة لمزيد من الفحص ، ومع ذلك فلدينا دراسة أنا فرويد ودان Freud & Dann (٢٠٣) الكلاسيكية على ستة أطفال في مرحلة ما قبل المدرسة فقدوا ذويهم نتيجة اضطهاد النازي ، وقد ظل هؤلاء الأطفال معًا كمجموعة لاتفترق طوال سلسلة طويلة من تغيير معسكرات الإعتقال إلى أن أودعوا باحدى دور الإقامة الداخلية بانجلترا . وفي ظل الظروف غير الطبيعية السابقة تكونت لدى هؤلاء الأطفال الستة روابط قوية مع بعضهم البعض وقد كان لهذه الروابط قيمة الحماية بالنسبة لهؤلاء الأطفال . ورغم أن هؤلاء الأطفال عانوا من مشكلات انفعالية متنوعة إلا أنهم لم يبدوا اضطرابات سيكياترية شديدة كما كان متوقعًا نتيجة فقدهم الكامل لخبرات الرعاية الأمومية والرفض الشديد الذي عانوا منه .

وليس هناك أدلة كافية نقيم عليها استنتاجات قوية . ولكن يمكن القول بأن تكوين علاقات التعلق في الطفولة الباكرة يعتبر أمر ضروري لنمو العلاقات الإجتماعية الإنفعالية في الطفولة اللاحقة وفي الرشد بغض النظر عمن تتكون هذه العلاقات به . وبالإضافة إلى ذلك فإن الرعاية وخبرات الأمومة ضرورية لنمو الطفل كما أن خبرات اللعب أيضًا ضرورية وإن كان كل منها يقوم بدور مختلف .

فتكوين علاقات التعلق .، والرعاية ، واللعب تمثل ثلاثة وظائف رئيسية قد يقوم أو لايقوم بها شخص واحد . والمعتقد أنه طالما أن هذه الوظائف الثلاث متاحة وفعالة فلا يهمنا من يقوم بها وذلك فيما يتعلق بالوقاية من انعدام المشاعر للسيكوباتي ، بمعنى أن الأمر الحاسم هو أن تكون هذه الوظائف متاحة للطفل سواء قامت بها الأم أم شخص أو أشخاص آخرين .

غير أن ما سبق لايعني أن الأمر سيان بالنسبة للنمو النفسي للطفل من حيث أي الأشخاص يقيم بهم الطفل علاقات تعلق ، فالطفل مثلاً الذي يفشل في تكوين رابطة وجدانية بأبيه في الطفولة المبكرة ، قد لايمكن اقامة علاقة حميمة به فيما بعد . ورغم أننا ما زلنا لانعلم إلا القليل عن العوامل المؤثرة في النمو النفسي الجنسي إلا أن الواضح أن العلاقات الأسرية الباكرة والاتجاهات نحو الطفل تلعب دوراً هاماً في ذلك (٥٤٢) وقد وجد أن الأطفال الذين أقاموا علاقات تعلق بأشخاص من جنس واحد (ذكور أم أناث) كانوا في وضع سيىء فيما بعد من حيث اقامة علاقات بالجنس الآخر وفي اتجاهاتهم وسلوكهم الملائم لدور الجنس (٤٠) والأرجح بالنسبة للنمو السليم فإن علاقات التعلق ينبغي أن تقوم بين الطفل وأشخاص من كلا الجنسين ذلك لأنه يبدو أن علاقات التعلق الأولى تؤثر في نوع العلاقات الحميمة فيما بعد .

### الإفتقار إلى أم الحرمان من ؟

سبق أن ناقشنا من قبل أن الآثار المعرفية لعدم كفاية التنبيهات يمكن تفسيرها بموجب مفهوم الإفتقار (غياب أو عدم وجود) وليس بموجب مفهوم الحرمان (بمعنى وجود شيئ ثم فقده) ، لذا فإن انعدام المشاعر السيكوباتي قد يرجع إلى الإفتقار إلي فرصة تكوين رابطة تعلق وجداني وليس الحرمان من رابطة تعلق قد تكونت . وقد بدا الحرمان حاسماً فيما يتعلق بالآثار بعيدة المدى في حالة التبول اللاارادي ، ومع ذلك فإن قليلاً من الاهتمام قد وجه للتمييز بين وجود خبرة

أساسية مقابل وجود هذه الخبرة ثم فقدها . وتبدو لنا مدى أهمية خبرة الفقد بالنسبة للآثار قريبة المدى للحرمان من الأم غير أن هذه الخبرة لاتبدو بنفس درجة الأهمية فيما يتعلق بالآثار البعيدة للحرمان وذلك وفقًا لما هو متاح لنا من أدلة محدودة .

ويثار التساؤل حول ما إذا كان أكثر الأطفال حظًا في علاقات تعلقهم هم أكثر من يعانون في حالة الفقد وذلك بمقارنتهم بمن كان لديهم القليل ليفقدوه . وقد وجد جيبسون Gibson (٢٢٧) أن فقد الأم ارتبط بالجناح في أسر لاتعاني من أي جوانب أخرى للقصور الاجتماعي ، وهو ما يبدو مؤيداً للرأي القائل بأن الأطفال الذين لديهم الكثير ليفقدوه تشتد معاناتهم في حالة الفقد . ومن الناحية الأخرى في دراساتنا (المؤلف) (٥٤٢) ارتبط الإنفصال بالإضطراب لدى الأطفال من الأسر غير السعيدة فقط ، كما أن الدراسات قد أظهرت أن الآثار السيئة لدخول المستشفى تزداد سوءًا بالنسبة للأطفال الذين تضطرب علاقاتهم بالوالدين. ويبدو عمومًا من الأدلة المتاحة غير الكافية أن الأطفال الذين ينتمون إلى بيئات أسرية مواتية أقل تأثرًا بخبرات الحرمان في حين تزداد معاناة الأطفال الذين ينتمون إلى بيئات أسرية سيئة حين يفقدون ما لديهم من قليل . وهذا الموضوع البحثي لم يتعرض إلا لقليل من الدراسة ومن المحتمل أن تختلف المعاناة الإنفعالية التي ترتبط بالحرمان أو الفقد على المدى البعيد ، عن تلك التي تنشأ نتيجة الإفتقار.

### تفكك الروابط أم تشوه العلاقات ؟

في جزء سابق من هذا الكتاب تم ابراز العلاقة القوية بين تفكك الأسرة والجناح وهذه العلاقة عادة ما يعتقد أنها تبين الآثار الخطيرة شديد الضرر لتفكك الروابط الوجدانية (٥٧) وقد تم استعراض الأدلة العلمية بالتفصيل في عمل أخر (٥٤٢) ولكن سيتم تلخيصها فيما يلي . والمشكلة الأساسية هي ما إذا كان

الضرر يحدث نتيجة لتفكك الروابط أم نتيجة لتشوه العلاقات ، وهذه المشكلة يمكن فحصها بمقارنة التفكك الأسري الناشيء عن الوفاة - حيث كانت العلاقات طبيعية قبل حدوث التفكك والإنهيار النهائي لرابطة التعلق - والتفكك الأسري الناتج عن الإنفصال أو الطلاق - حيث يسبق الإنهيار منازعات وخلافات أو على الأقل انعدام الحب - ولكن تفكك الأسرة بالطلاق لايعني انهيار العلاقة انهياراً لا عودة فيه . وقد تمت مثل هذه المقارنة في عدد كبير من الدراسات المستقلة (٧٤ ، ١٦٣ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٤٤) وفي كل منها وجد أن معدل الجناح كان مضاعفاً بالنسبة للأبناء الذين انفصل والديهم بالطلاق بمقارنتهم بأبناء الأسر العادية . في حين أن معدل الجناح لم يرتفع إلا قليلاً إلى جانب أبناء الأسر التي حدثت فيها وفاة أحد الوالدين بمقارنتهم بأبناء الأسر العادية ، وجدير بالذكر أن هذا الارتفاع الطفيف لم يكن دال احصائياً .

ويبدو أن المنازعات والخلافات التي تسبق التفكك النهائي وليس التفكك نفسه هو ما يؤدي إلى ظهور السلوك المضاد للمجتمع لدى الأطفال ، وإذا كان هذا الرأي صحيحاً فإن الخلافات بين الوالدين ينبغي أيضاً أن ترتبط بزيادة السلوك المضاد للمجتمع حتى لو لم يحدث تفكك كامل للأسرة . وهناك أدلة جيدة من دراسات عديدة (١٢٤ ، ٢٩٤ ، ٥٤٢ ، ٦٦٢) تؤكد أن الأمر كذلك . ففي أطفال الأسر العادية غير المنفصلة كانت هناك علاقة ايجابية قوية بين عدم الإنسجام بين الوالدين والاضطراب المضاد للمجتمع لدى الأبناء الذكور ، كذلك أظهرت دراسات أخرى (٣٩٤) أن التفكك الأسري بالطلاق أو الإنفصال كان أقل من عدم التفكك الأسري الذي يسوده الشجار والخلاف فيما يؤدي إليه كل منهما من سلوك جانح للأبناء . فالجناح على ذلك يرتبط بالتفكك الأسري الذي يحدث عقب خلافات ومنازعات ، كذلك يرتبط بجو الأسرة الذي يسوده النزاع حتى لو لم يحدث الإنهيار كاملاً ، لكنه لايرتبط بمجرد الإنهيار الأسري في حد ذاته . وفي واقع الأمر أن ارتباط الجناح بموت أحد الوالدين وما يصاحبه من تحلل العلاقة أقل

بكثير من ارتباطه بطلاق الوالدين رغم أن العلاقة قد تظل قائمة من خلال اتصال يحدث بين الحين والحين بعد حدوث انهيار الزواج ويمكن أن نخلص إلى أن اضطراب العلاقات وتشوهها وليس تفكك الروابط في حد ذاته هو ما يترتب عليه الضرر . ونفس الخلاصة السابقة تنطبق في حالة الإنفصال المؤقت لمدة شهر على الأقل (٥٤٢) فلم تكن هناك علاقة بين الإنفصال عن أحد الوالدين فقط وانحراف سلوك الأطفال ، لكن العلاقة كانت واضحة بين الإنفصال عن كلا الوالدين والسلوك المضاد للمجتمع لدى الأبناء الذكور ولكن هذه النتيجة لاتتعلق إلا بأبناء الأسر التي كانت العلاقة الزوجية فيها سيئة . ومرة أخرى يؤكد ذلك أن الإرتباط القائم بين التفكك وجناح الأبناء لايرجع إلى الإنفصال عن الوالدين وإنما إلى الاضطرابات والخلافات التي تحيط بواقعة الإنفصال . ولفحص هذا التوقع المحتمل (٥٤٢) تم تحديد الإنفصال إلى نوعين : انفصال نتيجة حدث لا علاقة له بخلافات أو منازعات أسرية مثل ادخال الطفل المستشفى أو أجازة طويلة ، وانفصال ناتج عن اضطراب في الأسرة مثل المنازعات والتفكك ، وفقط حين كان الإنفصال ناشئًا عن مشكلات بالأسرة كانت العلاقة بينه وبين السلوك المنحرف للأبناء واضحة ، أما الإنفصال الذي لا علاقة له بمشكلات أسرية فلم تكن له ثمة علاقة بالسلوك المضاد للمجتمع .

كذلك تم فحص هذه المشكلة بطريقة مختلفة (٦٩٥) حين تم دراسة الأطفال المترددين على العيادات النفسية للأطفال ، وقد وجد أن اضطرابات السلوك لدى الأبناء لم ترتبط بالتفكك الأسري فحسب بل ارتبطت أيضًا بما إذا كان أحد الوالدين قد عاش في أسرة مفككة . ومثل هذه النتيجة تؤكد أن الأمر لايتعلق فقط بمجرد خبرة تفكك الرابطة ولكن باضطراب العلاقات المتبادلة بين الأشخاص الذين ارتبطت بهم واقعة تفكك العلاقة .

ورغم أن طبيعة العلاقات المضطربة التي من الأرجح أن ينتج عنها اضطرابات مضادة للمجتمع ليست معروفة تمامًا إلا أن بعض الدراسات أمكنها

أن تقف على نتائج متعلقة بهذا الموضوع . فقد وجد (٥٤٢) أن كل من المنازعات المستمرة ، وانعدام المحبة قد ارتبط بالإضطراب المضاد للمجتمع ولكن اجتماع المتغيرين معًا أدى إلى حدوث أكبر قدر من الضرر . وكلما طالت المنازعات الأسرية ، زاد شدة وقعها على الطفل ، وإن كان هذا التأثير الضار قد لايدوم في جميع الحالات ، بمعنى أنه لو حدث أن عاش الطفل فيما بعد في جو أسري يسوده الإنسجام فإن خطورة قيامه بالسلوك المضاد للمجتمع تتضاءل كثيرًا . ورغم أن استمرار النزاعات الأسرية لمدى طويل تزداد معه خطورة انحراف الأطفال إلا أن وجود علاقة طيبة للطفل بأحد الوالدين يخفف كثيرًا من التأثير الضار لبيئة أسرية سيئة . وبالإختصار فإن النتائج أكدت أهمية العلاقات الجيدة في نمو الشخصية لكنها مع ذلك لم تبين أي نوع من الخلل في العلاقات الأسرية ينتج عنه أقصى الضرر .

وتشير النتائج إلى مدى أهمية نوعية العلاقات القائمة بين الطفل والقائمين على رعايته وليس إلى حدوث أم عدم حدوث انفصال عن الوالدين ، ومع ذلك يمكن القول أن تكوين الروابط القوية يمثل عاملاً حاسمًا في حالتين (١) إذا كان الإنفصال لايعني تفكك الروابط أو تحللها ، أو (٢) إذا أدى اضطراب العلاقة وتشوهها إلى إعاقة تكوين الروابط . وكما سبق مناقشته من قبل فليس لدينا مبرر نفترض وفقًا له أن الإنفصال مرادف للتفكك أو تحلل الرابطة الوجدانية ، ففي بعض الظروف يستطيع الطفل أن يبقي على هذه الروابط الوجدانية طوال مدة انفصال طويلة . ومن الناحية الأخرى فليس هناك أدلة على أن تشوه العلاقات يؤدي إلى إعاقة تكوين الروابط الوجدانية . وقد سبق أن كتب بولبي (٥١) في ذلك «إن تعلق الأطفال بوالدين يمكن اعتبارهما غاية في السوء بكل المقاييس المعروفة سيظل مصدرًا دائمًا لدهشة أولئك الذين يحاولون مساعدتهم» .

والأمر لايعني أن سلوك الوالدين لا أهمية له في عملية تكوين رابطة التعلق بل هو بالعكس يلعب دورًا غاية في الأهمية . وقد أظهرت الملاحظة المنظمة لصغار

الرضع أن تكرار واستمرار الإلتصاق البدني بين الأم والطفل ومدى قدرتها على تهدئته حين يتألم أو ينزعج ومدى حساسيتها لما يصدر عنه من اشارات وسرعة وفورية تجاوبها لبكائه كانت جميعها عوامل هامة في إنماء رابطة تعلق الصغير بها (٨ ، ١٠ ، ٥٨٩) وتتأثر هذه العوامل السابقة بالمنازعات بين الوالدين أو بالمرض النفسي لأحد الوالدين ، وينبغي الأخذ في الاعتبار أن زجر الأم لطفلها أو نهره (على الأقل مع صغار الأطفال) يزيد - ولايقلل - من سلوك التعلق لديه (٥٧) وهو ما تؤيده نتائج الدراسات على الحيوان إذ وجد أن صغار الكلاب كانت تبدي تعلقًا أشد بالفاحص في التجارب المعملية حين يزيد من عقابه لها أكثر مما تفعل حين لاتعاقب (٥٩٦) وقد تأكدت نفس النتائج من دراسات على الخراف (٨٥ ، ٨٦) وقد قام هارلو بدراسة تعلق صغار الريزوس بأم صناعية مصنوعة من القماش اللين ووجد أن أي مثير منفر كان يصدر عن هذه الأم (عبارة عن لفحة شديدة من الهواء تخرج عندما يضغط المجرب على أحد الأزرار) كان من شأنه أن يزيد من تشبث الصغير بهذه الأم والتصاقه بها . كذلك فإن صغار القردة التي أسيىء معاملتها من قبل أمهاتها الطبيعية كانوا يتعلقون بهذه الأمهات رغم كل شيء (٢٥٤) .

ويقع جانب من صعوبة التمييز بين آثار تفكك العلاقات وأثار تشوه العلاقات في أن تلك الأخيرة يمكن تحديدها وتعريفها في حين أنه لايمكن تعريف المقصود بتفكك الروابط أو العلاقات تعريفًا محددًا (٥٧) ولا جدال هناك حول حدوث سلوك التعلق ، أو حول ما له من أهمية قصوى حاسمة كجانب من جوانب النمو ولا جدال أيضًا هناك في أن الروابط الوجدانية تنمو وتتطور وأنها ضرورية للنمو ، ولكن المشكلة تثار حين نحاول التمييز بين سلوك التعلق ووجود رابطة تعلق قائمة كما يزداد الأمر صعوبة حين نحاول قياس وجود رابطة التعلق في غياب ممثل التعلق هذا إلى جانب ضرورة التمييز بين آثار تفكك العلاقة وبين مجرد الإنفصال . وقد كان مفهوم الرابطة الوجدانية ذا نفع كبير إذا ركز الإهتمام على

التفاصيل الدقيقة في التفاعل بين أي الوالدين والطفل ولكن ينبغي أن نعلم أنه مجرد مفهوم (مثله مثل مفهوم الحافز والغريزة) وإذا لم يتم تحديده على نحو خاص فإنه قد لايتيح لنا أي تفسير مقبول . وحتى وقتنا هذا (١٩٨١) هناك من الأدلة الجيدة ما يؤكد أن اضطراب العلاقات في الأسرة له علاقة بظهور الإنحرافات المضادة للمجتمع في الأطفال . ووفقًا لما يمكن أن نقرره فإن هذه العلاقة يمكن تفسيرها بموجب تفكك أن تحلل رابطة التعلق ، ولكن وإلى حين أن نتمكن من وضع تعريفات اجرائية محددة وجيدة لما نعنيه بتفكك أو تحلل الروابط فإن الأمر لاينبغي مناقشته أبعد من ذلك .

## تشوه العلاقات أم تشوه العلاقة بالأم ؟

لأن قضية الحرمان قد تم تناولها في التراث بمفهوم الحرمان من الأم ، لذا ينبغي أن نتساءل ما إذا كان الضرر الذي يلحق بنمو الطفل ناتج عن تشوه علاقات الطفل بشكل عام أم تشوه علاقته بالأم على نحو خاص . وفي دراسة للعلاقات الأسرية لم يختلف الأمر كثيرًا حين كانت علاقة الطفل بأحد والديه طيبة (٥٤٢) وعلى العكس فإن اضطراب علاقة الطفل بأي من والديه يزيد من خطورة ظهور الإضطرابات المضادة للمجتمع ، هذا إلى جانب أن اضطراب العلاقات بين الوالدين يزيد من المخاطر المحيطة بالطفل ، وقد وجد آل جلويك Gleuck & Gleuck (٢٢٩ ، ٢٣٠) أن المحبة وقواعد النظام من قبل كل من الأب والأم كانا عاملين رئيسيين في ظهور الجناح أو الوقاية منه (وفقًا لتواجدهما أو عدم تواجدهما) .

ولكن قد يكون من الخطأ أن نفترض أن دور الأم ودور الأب يتطابقان تمام التطابق فيما يتعلق بتربية الأطفال . ففي دراسة باكرة وجد أن الذكور من الأبناء من الأرجح أن يعانوا من اضطرابات نفسية في حالة وفاة الوالد أو اصابته بمرض عقلي (٥٣٨) كذلك كان حدوث الجناح أعلى في الذكور المتغيب والدهم عن

البيت في حين ازداد معدل جناح الإناث حين كانت الأم متغيبة (٢٤٤) وهكذا تؤكد عدد من الدراسات على الدور الخاص الذي يلعبه الوالد من نفس جنس الطفل ، هذا وإن كانت دراسات أخرى لم تؤيد ذلك (٢٢٧ ، ٥٤٢) وما زالت النتائج المتعلقة بهذه المشكلة البحثية غير قاطعة ، وإن كانت أحد التفسيرات المطروحة هو أن الوالد من نفس جنس الطفل له أهمية خاصة فقط في أعمار زمنية معينة وربما في المراهقة بالتحديد .

لكن الأمر الواضح الذي يتكرر ظهوره هو أن العلاقة بالأم ليست هي العلاقة الوحيدة ذات الأهمية . وصحيح أن الأم عادة ما يكون لها اتصال مكثف بصغار الأطفال كما أنه كثيراً ما يظهر تأثيرها عليهم واضحاً إلا أن العلاقة بين الطفل والأب لها أهمية كبيرة بل أحياناً ما تكون ذات الأهمية والتأثير الأكبر (٦٨ ، ٤٦٢ ، ٥١١) ويؤثر كلا الوالدين في نمو أطفالهما أما مدى أهمية أي منهما فإن ذلك يتوقف على سن الطفل ، وجنسه ، وصفاته المزاجية ، والظروف البيئية كذلك قد لايكون الأمر ذو معنى حين نحاول فحص تأثير كل والد على حدة ، فالصحة النفسية لأحد الوالدين قد تؤثر في الآخر بل وقد تؤثر في الحياة الزوجية نفسها (٢٢) والأسرة إنما تتكون من أفراد وثنائيات من أفراد ، لكنها أيضاً جماعة اجتماعية لها حاجاتها الخاصة والتي ينبغي أن ننظر إليها على ما هي عليه (٢٤٩) .

## تشوه العلاقات أم وجود نموذج للإنحراف ؟

قبل أن نصل إلى استنتاج مؤداه أن تشوه العلاقات في حد ذاته هو الذي يؤدي إلى السلوك المضاد للمجتمع لدى الأطفال ينبغي أن نفحص ثلاثة احتمالات ممكنة أخرى أولاً هناك كم هائل من البيانات التجريبية التي تؤكد أن الأطفال تقوم بتقليد سلوك الآخرين وأن السلوك العدواني المنحرف لنموذج ما قد يجعل الأطفال تسلك على نهجه (١٩) وقد اهتمت هذه الدراسات باستجابة الأطفال الفورية

لنموذج عدواني ، كما أن سلوك الأطفال الذي تم قياسه كان سلوك توكيدي أو عدواني بسيط يقع في نطاق ما هو طبيعي ومع ذلك فمن المحتمل أن نفس الميكانزمات (التقليد والاقتداء بنموذج ما) هي نفسها التي تؤثر في ظهور اضطرابات السلوك الأكثر شدة والأبعد مدى . وعلى ذلك يمكن أن يظهر السلوك المضاد للمجتمع لدى أطفال الأسر التي يكثر فيها الشجار والنزاع لا بسبب أي اضطراب في العلاقات وإنما لاقتداءهم بنموذج والدي منحرف السلوك .

ويتفق ما سبق مع حقيقة أن كثيراً من الوالدين في أسر غير سعيدة مضطربة يبدون لا سواءً ملحوظًا خارج نطاق الموقف الأسري . كذلك تؤيد نتائجنا (المؤلف) (٥٤٢) نفس الإحتمال السابق افتراضه أن الأطفال يزداد سلوكها انحرافًا وتضاداً للمجتمع حين تسود أسرها نزاعات مستمرة ودائمة بالإضافة إلى انعدام المحبة . وعلى عكس ذلك هناك كثير من الأدلة التي تتعارض مع ما سبق فقد وجدت نتائجنا أن اضطراب شخصية أحد الوالدين لايرتبط بسلوك مضاد للمجتمع من جانب الأطفال اللهم إلا في حالة وجود نزاعات وشقاق بين الوالدين (٥٤٢) وعلى عكس ذلك وجد أن الأثر السيء لتدهور العلاقات الزوجية يمكن أن يتحسن بشكل ملحوظ إذا كان للطفل علاقة طيبة بأحد الوالدين، وهذا بالضبط ما نتوقعه لو أن تشوه العلاقات كان العامل الأكثر أهمية . وعلى النقيض من ذلك فإن العلاقة الطيبة للطفل بأحد الوالدين لن تجدي شيئًا لو أن سلوك الطفل يتأثر فقط بنموذج والدي منحرف وقد وجد وست West (٧٠٥) أن خصائص الأسرة كانت أهم مؤشر يمكن التنبؤ وفقًا له باضطراب سلوك الأبناء وبالجناح .

وفي النهاية تشير الأدلة إلى أن تشوه العلاقات يمثل العامل الأكثر أهمية في نشأة الإضطراب المضاد للمجتمع كما أن وجود نموذج منحرف السلوك قد يضيف إلى زيادة احتمال حدوث ذلك . وربما كان أفضل اختبار لصحة ذلك هو أن ندرس ما الذي يحدث للأطفال في الأسر التي ينعدم فيها الدفء والمحبة

للأطفال لكنها تخلو من كل من المنازعات ونماذج السلوك المنحرف أو الإجرامي .

## تشوه العلاقات أم عدم فاعلية النظام ؟

يختلف سلوك أباء وأمهات الجانحين من الأطفال الذكور عن غيرهم في أسلوبهم للنظام وكيفية اشرافهم على سلوك أطفالهم (١٢٤ ، ٢٢٩ ، ٦٣٦ ، ٧٠٥) ومن المحتمل أن تكون أساليب تنشئة الأطفال وراء نشأة الجناح وأن النزاعات الأسرية لاتظهر أهميتها إلا بارتباطها مع أساليب متخبطة منحرفة في تنشئة الأطفال . وهذا الفرض يمكن اختبار صحته فقط باستخدام أساليب الإنحدار المتعدد حيث يمكن فحص العلاقة بين أساليب النظام المستخدمة وجناح الأطفال بعد التحكم في تأثير المنازاعات وأشكال الشقاق الأسري والعكس بالعكس ، وهو ما لم يحدث في أية دراسة تم نشرها حتى الآن . ومن الصعب الحكم بمدى تأثير النظام على النتائج المتحصلة ، فهناك من يؤكد وجود علاقة بين أساليب التنشئة وسلوك الأطفال في حدود ما هو طبيعي (٢٦) غير أن نوع هذه العلاقة قد يختلف في كل من الطرف الأعلى والطرف الأدنى عنها في الوسط أو الطبيعي .

## الحرمان أو وصمة الحرمان ؟

اهتم هذا الكتاب فقط بالآثار الموضوعية للحرمان ، ويبقى أمامنا فقط أن نشير إلى أن الإفتقار إلي أو الحرمان لهما جانب ذاتي بحت – أي رؤية الفرد لوضعه بالنسبة لمن يرى أنهم أفضل أو أسوأ منه حالاً – (١٧،٦) فالأفراد يمكن تنشئتهم على أدوار معوقة في الحياة عن طريق ما نصمهم به ، ويرى البعض أن تأثير المسميات غير الطيبة أو الوصمة Stigma قد يفسر الكثير مما يترتب على الحرمان الاجتماعي / الثقافي وبصفة خاصة إذا كان الحرمان أو الافتقار والعوز يرتبط بانتماء الفرد لجماعة أقلية أو جماعة عنصرية مُحْبطة . ودراسة هذا الموضوع لها أهمية اجتماعية قصوى غير أنه لم يتم تناوله في مجال نمو الطفل . وهناك أسباب تدعو للاعتقاد أن استجابات الفرد الفورية في موقف الاختبار تتأثر

بعوامل الدافعية والتي ترتبط بدورها بالوصمة أو المسميات (١٥٠ ، ٦٩٨) أما ما إذا كان تأثير الوصمة يظل قائمًا للمدى البعيد فيما يتعلق بتقدم نمو الجوانب المعرفية والتعليمية فإن ذلك لم يتم التحقق منه ، كذلك فإن تأثير الوصمة على الجوانب الإنفعالية والسلوكية غير واضح ، وقد يكون الأمر أن بعض الآثار المترتبة على الحرمان من الأم والتي تم مناقشتها في هذا الفصل يمكن أن ترجع إلى ما لوصمة الحرمان من تأثير على التفاعل الاجتماعي ، ولكن هذا التأمل النظري يبقى مفتوحًا أمام الدراسات لكي يتم التحقق منه .

## ٥ - مراجعة لمفهوم الحرمان من الأم

## على ضوء ما استجد من بيانات

تناولت الفصول السابقة كمًا متراكمًا من المعرفة تدور حول خبرات الإنفصال والحرمان ومدى تأثير هذه الخبرات على المدى القريب والبعيد على النمو ، والميكانزمات المحتملة وراء حدوث ذلك التأثير والعوامل المخففة من وقع خبرات القصور أو خبرات الفقد أو الحرمان . والدراسات التي تم عرضها لم تستخدم مباشرة مصطلح «الحرمان، من الأم» ولكن برغم اختلاف المصطلحات المستخدمة فمن السهل أن نرى أن جذورها ضاربة في الأفكار والآراء التي انبثقت من مفهوم الحرمان من الأم .

ورغم أن ما سبق عرضه من أدلة علمية يشير إلى عدم وجود جدل حول تأكيد بولبي في عام ١٩٥١ على أن الخبرات الباكرة في الحياة قد يترتب عليها آثار خطيرة على النمو العقلي والنفسي الاجتماعي ، إلا أن نفس الأدلة المؤيدة لهذا الرأي تشير إلى أن مصطلح «الحرمان من الأم» يغطي مساحة واسعة من الخبرات المتنوعة غير المتجانسة كما يشمل آثارًا عديدة ترجع إلى عمل عدة ميكانزمات مختلفة .

وفي كثير من الأحيان كانت الآراء العلمية التي تم استخلاصها استنادًا على استعراض نتائج الدراسات لاتخرج عن كونها اعادة صياغة لآراء ظهرت فيما كتبه بولبي في تقريره لمنظمة الصحة العالمية (٥٠) أو في إعادة تقييم انزورث Ainsworth (٢) لهذا الموضوع بعد مضي عشرة سنوات ، إلا أنه كانت هناك عدة نقاط خلاف جوهرية (٥٤٦) ما زال بعضها يثير جدلاً واسعًا وهي :

**أولاً** : أثير الجدل حول التأكيد على ما يفترض حدوثه من آثار ضارة تترتب

على الإنفصال في حد ذاته (٥٤٢ و ٥٥٤) فقد وجد أن الإضطرابات المضادة للمجتمع ترتبط بالتفكك الأسري لا بسبب ما ينطوي عليه هذا التفكك من انفصال وإنما بسبب الخلافات والمنازعات التي أدت إلى حدوث التفكك ، كذلك لم يرتبط انعدام المشاعر السيكوباتي بتفكك العلاقات وانهيارها بقدر ما وجد أنه يرجع إلى الفشل الأساسي في تكوين هذه العلاقات أو الروابط . كذلك كان التأخر العقلي نتيجة لإنعدام الخبرات الملائمة ونقص التنبيهات وليس نتيجة للإنفصال في حد ذاته .

**ثانيًا** : هناك عدم اتفاق مع آراء بولبي حول الأهمية الخاصة التي يوليها للأم ؛ فقد تمت الإشارة في الفصول السابقة إلى كثير من الأدلة العلمية التي لم تؤيد الرأي القائل بأن رابطة التعلق الرئيسية تكون مع الأم بالدرجة الأولى وأن هذه الرابطة لها خاصية نوعية تجعلها تختلف تمامًا عن جميع العلاقات الأخرى .

**ثالثًا** : ظهر من العرض السابق أن أهم تطور حدث في الدراسات المتعلقة بالحرمان من الأم هو التأكيد على الفروق الفردية في استجابة الأطفال للحرمان ؛ فقد أظهرت جميع الدراسات أن كثيرًا من الأطفال لايصيبهم الضرر من جراء الحرمان كما أشير إلى أن فحص الأسباب الواقية ، التي يمكن أن تكون وراء عدم تأثرهم بهذه الخبرة يعتبر مجالاً هامًا للدراسة .

وتتيح لنا نتائج الدراسات التي تمت منذ عام ١٩٧٢ إلى الآن (١٩٨١) حكمًا أفضل حول مدى ما ثبت من صحة الإفتراضات الأساسية السابقة ؛ وسنقوم بعرض الأدلة العلمية باختصار فيما يلي وسنلاحظ كيف أن مفاهيمًا وأفكارًا جديدة قد أصبح لها الصدارة في الفكر العلمي . وفي الإضافة الحالية يتم تركيز معظم الإهتمام على نتائج الدراسات التي تبنت فحص هذه المفاهيم الجديدة ، ورغم أن هذه الدراسات الحديثة تكمن جذورها في أعمال الرواد الذين كانوا أول من أدخل مفهوم الحرمان من الأم منذ أكثر من ربع قرن مضى (٥١ ، ٢٤٠ ،

٦٣٤) إلا أن الصورة الحالية (وقت كتابة العمل الحالي في ١٩٨١ ، المترجمة) تبدو مختلفة تمامًا عما كانت تبدو عليه حينئذ .

### زملات الأعراض Syndromes :

من الملائم أن يبدأ هذا التحديث بتناول زملات الأعراض الرئيسية التي يعتقد أنها تنشأ عن «الحرمان من الأم» والعمليات النفسية التي يفترض أنها وراء حدوثها .

### الإضطراب الإنفعالي الحاد Acute Distress :

يظهر على كثير من صغار الأطفال أعراض معاناة نفسية حادة عند ادخالهم المستشفى أو دور للرعاية الداخلية . ويقدر عدد الأطفال الذين يتم ادخالهم المستشفيات حوالي ثلث الأطفال (في بريطانيا) كما أن تكرار دخول المستشفى يحدث بنسبة طفل واحد إلى كل عشرين طفلاً (١٦١ ، ٤٨٠) وكما أوضحنا في الفصول السابقة ، فإن هذه الخبرة تعتبر مصدرًا للمحنة النفسية لدى أطفال ما قبل المدرسة ، ومع ذلك فعند فحص الميكانزمات وراء الإضطراب الإنفعالي الحاد الناتج عن هذه الخبرة ينبغي أن نميز بين مرحلتين : (أ) المعاناة أثناء الإقامة بالمستشفى (ب) الإضطراب عند العودة إلى البيت بعد انتهاء الإقامة بالمستشفى (٥٥٤) .

وفيما يتعلق بالإضطراب الإنفعالي الحاد الذي يحدث أثناء فترة الإقامة الداخلية (بمستشفى أو دار للرعاية أو حضانة داخلية) فهناك القليل الذي يمكن اضافته لما سبق سرده قبل ذلك من بيانات علمية . وتشير الأدلة أن التدخل الذي يحدث في سلوك التعلق يمثل أحد العناصر الرئيسية وراء ظهور زملة أعراض الإضطراب أو المحنة الإنفعالية الحادة التي تظهر في أعقاب الإنفصال . والإنفصال رغم أهميته ، إلا أنه في حد ذاته ليس هو العامل المسبب لظهور زملة الأعراض ، فالاحتجاج المصاحب للإنفصال يزداد كثيرًا إذا حدث الإنفصال في

موقف غريب على الطفل عنه إذا كان الطفل في موقف يألفه (٣٧٧ ، ٥٢٧) كذلك يقل الإحتجاج كثيراً إذا أتيح للطفل أن يقيم علاقات تعلق جديدة (٥٠٩) وبالإختصار فإن الإضطراب الإنفعالي الحاد والمباشر الذي يحدث أثناء اقامة الطفل بالمستشفى أو باحدى دور الرعاية يبدو أنه وظيفة لـ : (أ) الإنفصال عن كل من يتعلق بهم الطفل من أشخاص (ب) انعدام الظروف لتكوين علاقات تعلق جديدة (نظراً للتغيير الدائم في القائمين بالرعاية) (جـ) البيئة الغريبة على الطفل . وأي تغيير في أحد العناصر السابقة – كأن يبقى أحد أفراد الأسرة مع الطفل لأطول وقت ممكن ، أو تغيير أنماط الرعاية المقدمة ، أو محاولة الحفاظ على ما يألفه الطفل من روتين يومي بقدر الإمكان – من شأنه أن يساعد على خفض حدة الإضطراب الإنفعالي .

وبالإضافة لما سبق ، ينبغي القول بأن الأطفال الذين يلحقون باقامة داخلية بالمستشفى قد يزدادون اضطراباً نتيجة للقلق البادي على والديهم ، ونتيجة لكون الإجراءات العلاجية أو الجراحية مخيفة للطفل وغريبة عليه . وقد أظهرت عدد من الدراسات أن إعداد الأطفال وذويهم عن طريق تعريفهم بما يتوقعونه وكيف يواجهونه وتقديم أشكال المساندة الإنفعالية كان له أثر كبير في خفض قلق الوالدين والإضطراب الإنفعالي الحاد الذي يعانيه الأطفال في مثل هذه الظروف (١٨٦ ، ٧٣٣) .

أما العوامل وراء حدوث الإضطراب بعد العودة واجتماع الشمل بعد فترة من الإنفصال فتختلف عن تلك المسئولة عن حدوث المحنة أثناء الإنفصال ، ذلك لأن عمليات نفسية أخرى تتدخل في ذلك . ومن الغريب ألا يكون هناك دراسات مباشرة لفحص ذلك في بني الإنسان ، غير أن النتائج من الدراسات على القردة قد يكون لها مغزى (٢٩٣) ولعل أبرز ما أكدته هذه الدراسات هو أن اضطراب الصغير بعد انقضاء مدة الإنفصال وعودته للأم يرتبط بشدة بنوعية العلاقة بينه وبين الأم . فحين كانت هذه العلاقة قبل الإنفصال متوترة ، كان الصغار أكثر

اضطرابًا بعد انتهاء خبرة الإنفصال . كذلك حين ازداد توتر العلاقة سوءًا بعد انقضاء فترة الإنفصال كان اضطراب الصغير أكثر وضوحًا . وقد بدا من نتائج هذه الدراسة أن الميكانزم الرئيسي الذي يؤدي إلى اضطراب الوظائف النفسية في الصغار كان توتر علاقة الأم بالصغير واضطرابها .

وتشير أدلة هنا وهناك أن نفس الشيء قد يحدث في صغار الإنسان إذ يزداد احتمال حدوث الإضطراب الإنفعالي الحاد إذا كان الطفل من أسرة مضطربة أو إذا كانت علاقته بوالديه السابقة على حدوث الإنفصال علاقة متوترة غير مستقرة (١٦١ ، ٤٨٠ ، ٦٤٠ ، ٦٨٨) ، وقد لوحظ منذ عهد بعيد أن سلوك الأطفال يزداد صعوبة كما يزداد تشبثهم بالأم بعد عودتهم إلى البيت بعد فترة انفصال بالمستشفى . ويبدو أن استجابة الراشد لمثل هذا السلوك يتوقف عليها الكثير ، وإذا كانت الأدلة من دراسات الحيوان لها بعض النفع فإنه يبدو أن زيادة الأمومة في هذا الوقت – بعد اجتماع الشمل مرة أخرى قد يسهل عودة العلاقة إلى أحوالها الطبيعية .

### اضطرابات السلوك Conduct disorders :

أما زملة الأعراض الثانية التي سيتم فحصها على ضوء ما استجد من بيانات فهي تلك الخاصة باضطرابات السلوك أو السلوك المضاد للمجتمع . وقد وضح من أعمال سابقة (٥٤٢) أن مثل هذه الإضطرابات ترتبط بشدة بالخلافات الأسرية والشقاق وعدم الوفاق بين الزوجين حتى لو لم يحدث تفكك فعلى للعلاقة أو انفصال نهائي بينهما . ففي حين ارتبط طلاق الوالدين بالجناح ، فإن وفاة أحد الوالدين لم يكن لها نفس العلاقة بالجناح ، وهكذا كان المتغير الأساسي هو اضطراب العلاقات المتبادلة بين الأشخاص وليس الإنفصال عن الأشخاص في حد ذاته .

وخلال السنوات الأخيرة تأيدت لنا النتائج السابقة من خلال مزيد من

الدراسات ، فقد أظهرت الدراسات مؤخراً (٥٦٦ ، ٧٠٦) صلة سببية واضحة بين المنازعات الزوجية واضطرابات السلوك لدى الأطفال . كما وجد باور Power (٤٦٨) أن من بين الفتيان الذين قدموا للمحاكمة نتيجة قيامهم بسلوك جانح كان هؤلاء الذين ينتمون إلى أسر يسودها الشقاق والنزاع الحاد والمشكلات المزمنة أكثر احتمالاً للعودة للإجرام بمقارنتهم بالذين ينتمون إلى أسر تفككت بالطلاق أو أسر تعاني من بعض المشكلات غير الخطيرة . كذلك أظهرت الدراسات الطولية (٣٥٦) أن معظم اضطرابات السلوك للأطفال الذين تم ابعادهم عند أسرهم ووضعهم تحت رعاية السلطات المحلية كانت سابقة على واقعة الإبعاد عن الأسرة وليست لاحقة لها . وقد يكون الإنفصال عن الأسرة قد أضاف إلى الضغوط الواقعة على هؤلاء الأطفال لكنه لم يكن السبب الأساسي وراء مشكلات هؤلاء الأطفال . كذلك وجدت هيثرنجتون Hetherington وزملاؤها (٢٨٨) أن مشكلات الأطفال تزداد خلال فترات عدم التوازن الأسري واعادة تنظيم الحياة التي تحدث في أعقاب الطلاق ولكن مع ذلك قد يحدث التحسن فيما بعد حيث كان سلوك الأطفال أقل اضطراباً بعد مضي عامين من حدوث الطلاق بين الوالدين وذلك بمقارنتهم بأطفال ظلوا في رعاية أسرهم التي يستمر فيها الصراع بين الوالدين بشكل مزمن .

ويبدو الأمر واضحاً تماماً ، فالخلافات والشقاق الأسري وعدم الوفاق هي أكثر العوامل ضرراً فيما يتعلق باضطرابات السلوك لدى الأبناء . وبالطبع فما زالت الإجابة على التساؤل الخاص بلماذا وكيف أن اضطراب العلاقات المتبادلة بين الأشخاص يؤدي إلى اضطراب المسلك غير معروفة . كذلك ينبغي التأكيد على أن الخلافات الأسرية هي أحد عدة عوامل كثيرة ينشأ عنها الجناح (٥٦٩ ، ٧٠٦) كما ينبغي اضافة أن الدراسات التي أجريت منذ عام ١٩٧٢ تشير إلى أنه لاينبغي أن نخلص من ذلك إلى أن الطلاق ينهي بالضرورة الخلافات بين الزوجين أو ينشأ عنه حل سهل لمشكلات الأطفال (٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٣٦٩ ، ٦٩٣) فقد يكون

الطلاق أحيانا هو الخطوة المناسبة حين يستحيل حل مشكلات زوجية مزمنة بطريق آخر، لكنه يشكل عملية يطول مداها وتتطلب توافقات عديدة ، لذا فإن فترة الإنتقال في أعقاب حدوث الطلاق عادة ما تكون فترة ضغوط وشدة لكل من الوالدين والأطفال وفيها تسوء مشكلات السلوك قبل أن تبدأ في التحسن فيما بعد .

## التأخر العقلي Intellectual Retardation :

هو الزملة الثالثة من الأعراض التي يتم مناقشتها على ضوء ما استجد من أدلة في موضوع «الحرمان من الأم »وقد أظهر العرض السابق أن الخبرات اللغوية والإدراكية تلعب الدور البيئي الحاسم في نمو الذكاء وأن الرعاية الأمومية على المستوى الشخصي لا تتعلق كثيراً بالنمو المعرفي رغم أهميتها بالنسبة لجوانب أخرى من جوانب النمو .

ويمكن تقييم دور كل من الأمومه والعلاقات المتبادلة في النمو المعرفي عن طريق فحص النمو العقلي للأطفال الذين نشأوا في بيئة ينحرف فيها كلا المتغيرين عن الطبيعي ، وفي هذا الشأن فإن دراسات باربرا تيزارد Barbra Tizard (٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٧٧) على الأطفال الذين نشأوا منذ المهد حتى سن الثانية بالمؤسسات وجدت أن ذكاء الأطفال كان في حدود الذكاء العادي إذ كان متوسط ذكائهم على مقياس وكسلر (كاملا) للأطفال هو ٩٩ بمقارنته بمتوسط ذكاء أطفال عاديين نشأوا في ظل أسرهم والذي بلغ ١١٠ هذا رغم أن أطفال المؤسسات كان قد تناوب على رعايتهم ما بين خمسين إلى ثمانين بديل للأم بالإضافه إلى عدم استمرار العلاقات ، وقد كان لذلك آثاره السيئة على النمو النفسي الإجتماعي لكنه لم يحدث تأخرا ملحوظا في نموهم العقلي وتتفق نتائج ديكسون Dixon (١٥٣) مع النتائج السابقة فقد قامت بدراسة أطفال نشأت بالمؤسسات منذ العام الأول من حياتها ، وقد بدا عليهم عدد من المشكلات الإجتماعية ما بين السنة الخامسة

والثامنة من أعمارهم لكنهم كانوا عاديين من حيث مستوى ذكائهم ، فقد بلغ متوسط ذكائهم على مقياس وكسلر (كاملا) ١٠٨ درجة بمقارنته بمتوسط ذكاء مجموعة أطفال ثم تبنيها وبلغ ١٠٦ درجة و ١١٦ درجة كمتوسط الذكاء في المجتمع العام للأطفال .

والواضح أن الأطفال الذين ينشأون في بيئة تنعدم فيها الأمومة على المستوى الفردي الشخصي ولكن تتوافر فيها الخبرات الملائمة في مجالات أخري يمكن أن يصل أداؤهم العقلي إلى المستوى العادي تقريبا ، والدلالات هنا أن إستمرار العلاقات الأسرية لا يلعب دورا رئيسيا في النمو العقلي مثلما يفعل في النمو الإجتماعي . فالنمو العقلي ، والنمو الإجتماعي لكل منهما جذور مختلفة نوعا ما .

ومن الناحية الأخرى فهناك ما يؤيد الرأي بأن الخبرات الحسية واللغويه تؤثر فعلا في النمو العقلي حيث تتوافر الأدلة من نتائج الدراسات التجريبية سواء التجريب الطبيعي أم المعملي . وقد أوضح دينيس Dennis (١٤٦) كيف أن الإنتقال من الرعاية السيئة بإحدى المؤسسات الإيوائية في لبنان إلي رعاية أسر بالتبني إرتبط بزيادة الذكاء لدي الأطفال . كما أظهرت الدراسات (٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤، ٢٧٥) حدوث ارتفاع ملحوظ في مستوي الأداء العقلي لدي غير المحظوظين من الأطفال السود حين تم تعريضهم لبرامج تعليم تعويض مكثف . كذلك وجد (٥٨٣) أن الأطفال السود الذين قام بتربيتهم أبوان بالتبني من البيض كان متوسط ذكائهم أعلى بخمسة عشرة درجة عن متوسط ذكاء الأطفال السود الذين نشأوا في رعاية اسرهم الحقيقيه . كما وجد أيضا أن زيادة التنبيهات الملائمة في الجو الأسري ترتبط بارتفاع درجات ذكاء الأطفال في سن الثالثة (٦٢ ، ٦٣) كما وجد أيضا أن زيادة إهتمام الأم يرتبط بتغيرات في معامل نمو الأطفال (١٠٤) وأن سلوك الوالدين تجاه أطفالهم يرتبط بمستوى ذكاء الأطفال في الطفوله المتأخرة (٣٨٥) كما كانت هناك علاقة إرتباط دالة (وإن كانت متواضعة) بين الخبرات المتاحة لأطفال المؤسسات وقدرتهم على فهم اللغة (٦٧٤) .

وقد يكون من الخطأ أن نبالغ في أهمية أي من النتائج السابقة ، فكل العلاقات التي سجلتها الدراسات كانت متواضعة القيمة كما أن كثيرا منها لم تكن دالة إحصائيًا (١٨٩) بل أن بعض هذه النتائج يعكس تأثير الأطفال على الوالدين وليس العكس (٦٣) كما أن إعادة هذه الدراسات كثيرا ما تسفر عن نتائج متضاربة (١٠٦) ومع ذلك فالأدلة قوية على أن خبرات التعلم داخل وخارج البيت تؤثر على النمو المعرفي للطفل ، ونحن لا نعرف بالضبط أية ميكانزمات ينطوي عليها ذلك ولكن من الواضح أن كم التنبيهات في حد ذاته ليس هو العامل المؤثر ، فكثير من البيئات سيئة الحظ تعج بالضجيج والصراخ وأصوات المذياع في أعلى درجاتها ، ولكن ما يبدو لنا حاسما هو نوعية التنبيهات ومعنى الخبرات الإيجابية المتاحة .

## انعدام المشاعر السيكوباتي Affectionless Psychopathy

وهي الزملة الرابعة من زملات الاعراض التي تم فحصها في اطار مفهوم «الحرمان من الأم» . وقد قل التعرض لها بالبحث في خلال السنوات الأخيرة (١٩٧٢-١٩٨١) لذا فليس هناك جديد يمكن أن نضيفه لما سبق عرضه في الفصول السابقة فيما يتعلق بهذه الزملة ولكن من الناحية الأخري فقد حدث تقدما هائلا في معارفنا المتعلقة بنمو العلاقات الإجتماعية واضطرابات تكوين الروابط الوجدانية الذي يعتقد أنه وراء ما يطلق عليه بانعدام المشاعر السيكوباتي لذا سوف نتناول نمو العلاقات الإجتماعية بالتفصيل فيما يلي :

## نمو العلاقات الإجتماعية :

في نظريته عن التعلق الوجداني يرى بولبي (٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩) أن عملية تكوين رابطة تعلق بالأم فى بداية الحياة هى أساس ضروري سابق لإقامة العلاقات الإجتماعية فيما بعد . ويتاح الآن أدلة وافية تؤكد أن الرضع من الأطفال عادة ما تنمو لديهم علاقات تعلق بشخص معين في الفترة ما بين ستة شهور إلى نهاية

العام الأول من حياتها . كذلك أصبح لدينا المعرفة بالعوامل التي يرجح أن تعمل على إنماء رابطة التعلق (٥٥٨.٧) إذ يزداد سعي الطفل في حالات القلق والخوف والمرض والإجهاد (٣٩٣.٥٧) وتتكون علاقات التعلق عادة مع الشخص الذي يكون مصدرا للطمأنينة والإرتياح في مثل هذه المواقف ، غير أن كيفية الأستجابة لها أهمية واضحة . فالتعلق من الأرجح أن يتكون مع هؤلاء الذين يتفاعلون بشكل إيجابي مع الطفل . كما يتجاوبون مع ما يصدر عنه من إشارات.ونفس هذه الخصائص الوالدية تهيىء لإقامة علاقات تعلق آمنة (٤٦) وكما أكدت انزورث Ainsworth (٧) فيبدو أن حساسية التجاوب هي الصفة الرئيسية لأي نوع من التفاعل من شأنه أن يوجد روابط تعلق آمنة بالآخرين ، والآراء العلمية السابقة مقبولة من معظم الباحثين غير أنه ما زالت هناك خمسة نقاط يثار حولها كثير من الجدل في الوقت الراهن وهي : مفهوم حساسية التجاوب ، ثم مفهوم بولبي لوحدوية العلاقة Monotropy ، والتمييز بين أشكال سلوك التعلق ، وتكوين الروابط في بداية الحياة والعلاقات الإجتماعية اللاحقة ، ثم العملية التي تنمو من خلالها الروابط .

## حساسية التجاوب :

يعكس مفهوم حساسية التجاوب تحولا هاما من مفهوم الوالدية علي أنها القيام بأشياء معينه للطفل إلي الوالدية كعملية من التفاعل المتبادل ، أي حوار إيجابي بين الوالد (يقصد الأب أو الأم) والطفل (٣٧٣) وقد قام بعض الدارسين بدراسة أنماط وايقاع التفاعل المباشر وجها لوجه بين الأم والوليد في فترة المهد ، كذلك تم دراسة أنماط الإتصال الباكرة بين الأم والوليد (الإشارات الصادرة عن كل منهما) (٦٥٢) كما تم فحص تطور الرعاية الأمومية خلال السنوات الخمس الأولى من حياة الصغير (١٧٠) كذلك أظهرت دراسات أخرى كيفية تجاوب الأمهات للأطفال المبتسرين ومدي إختلاف ذلك عن تجاوبهن للأطفال العاديين . فالرضيع المبتسر غالبا ما يكون

أقل تجاوبا ونشاطا وحركة إيجابية ونتيجة ذلك كانت الأمهات أكثر إيجابية وتجاوبا وإستجابة كما كن أكثر مبادرة بالتفاعل مع الوليد المبتسر . كذلك أوضحت نتائج أخرى (١٠٤) أن هناك تفاعلا ذو إتجاهين بين الوليد وأمه يؤثر فيه كل منهما الآخر كما يتأثر به وهذه العلاقة المتبادلة يتغير توازنها وخصائصها بتقدم نمو الطفل .

وهناك إتفاق عام علي أن الوالدية تنطوي علي التبادل والحساسية لإشارات الرضيع وعلامات التنبيه الصادرة عنه . غير أن دراسة هذه العملية وكيفية تتابعها أمر صعب للغاية . وقد وجد (٩ ، ٣٢) أن الإستجابة الفورية لبكاء الرضيع كانت لها فاعلية في تقليل بكاء الطفل سواء علي الفور أم فيما بعد . غير أن تفسير هذه النتائج تكتنفه الصعوبات (٢٢٥) كما أن نتائج دراسات أخرى تبدو مختلفة تماماً عن النتائج السابقة حيث وجد أن سرعة الإستجابة لبكاء الطفل من الأرجح أن تزيد من بكائه فيما بعد (١٨١ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩) كما كانت الإرتباطات ضعيفة بين مقاييس التجاوب في فترة المهد وفي مرحلة الرضاعة فيما بعد (١٧٠) كذلك فبكاء الأطفال له أنواع مختلفة (٦٩٦) وقد يكون العامل الهام في كل ذلك هو قدرة الوالدين على التمييز بين أنواع البكاء ثم الإستجابة لها .

والواضح أننا ما زال أمامنا طريقاً طويلاً نقطعه قبل أن يكون لدينا أدوات القياس الملائمة والمفاهيم المحددة لما نقصده بحساسية التجاوب التي قد لاتنطوي فقط على التمييز فحسب بين الإشارات وعلامات التنبيه الصادرة عن الصغير بل أيضا علي القيام بالإستجابات المتمايزة وفقا لكل من هذه الإشارات ، والقدرة على الإستمتاع بالتفاعل المتبادل مع الصغير ، والمبادرة بهذا التفاعل .

## وحدوية العلاقة :

أظهرت جميع الدراسات أن الأطفال تقيم علاقات تعلق متعددة ومع ذلك فما زال الجدل قائما حول ما إذا كانت هذه العلاقات المتعددة لها نفس الأهمية ونفس المعنى . ويرى بولبي (٥٧) أن هناك ميلاً فطريًا لدى الطفل لأن يتعلق على نحو خاص بشخص واحد وأن علاقات التعلق الرئيسية هذه تختلف في خصائصها عن علاقات التعلق الثانوية . وهذا الرأي ينطوي ضمنا علي فرضيتين مختلفتين إحداهما تجد تأييدا علميا من الأدلة المتاحة والأخري لاتجد تأييدا يذكر .

والفرضية الأولى هي أن علاقات التعلق المتعددة ليس لها نفس القوة كما لا يمكن أن تحل علاقة محل علاقة أخري ، وهو ما أيدته عدد من الدراسات التي أظهرت أن هناك تدرج هرمي ثابت للعلاقات المتعددة بالآخرين ، وهذه العلاقات يظل بعضها أكثر قوة عن البعض الآخر (٥٨٩.٥) بل وحتى في المؤسسات الإيوائية يميل الأطفال لأن يكون لهم راشد مفضل ، علاقته لها أولوية التفضيل (٦٥٣) أما الفرضية الثانية القائلة بأن العلاقة الرئيسية الأولى تختلف خصائصها عن كل العلاقات الثانوية الأخرى ، فلم يكن هناك ما يؤيد ذلك . ويمكن التحقق من ذلك بطريقتين مختلفتين أولا : يمكن تحديد ما إذا كانت وظيفة أو آثار كل العلاقات تتشابه في خصائصها وإن إختلفت في شدتها ، وهو ما أيدته الأدلة . فالتعلق يمكن أن نلاحظه من خلال الإحتجاج والمحنة النفسية التي تحدث عند غياب ممثل التعلق ، كذلك يظهر التعلق من خلال خفض القلق وزيادة سلوك الإستكشاف في المواقف الغريبة في حالة وجود ممثل التعلق مع الطفل ، كما يبدو التعلق أيضا من خلال سلوك التتبع والألتصاق والسعي للبقاء من قرب ممثل التعلق . وكل الخصائص التي ذكرناها كانت تميز أيضا العلاقات بالإخوة (٢٧٨) وبالرفاق (٥٩٣.٣٣٦) وبالآباء (١١٣ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ . ٦٢٨) والقائمين بالرعاية في دور الإقامة الداخلية (١٤) بل وبالأشياء الجماد غير الحية (٢٦٢ ، ٤٠٨ ، ٤٥٧) بالإضافة إلى كونها خصائص تميز العلاقة بالأمهات (٥ ، ١٠ ، ١٢٠ ،

١٢٣ ، ٣٩١ ، ٤٢٨ ، ٦٤٣ ، ٦٨٢) كذلك من الضروري التأكد على أن مثل إستجابات التعلق السابقة تحدث نحو الأشخاص الآخرين حتى حين يكون للطفل علاقة ثابتة مستقرة بأمه ، لكنها لا تحدث تجاه الغرباء

أما الطريقة الثانية التي تم التجقق من مدي صدق الفرضية السابق ذكرها فقد تم تحديد ما أذا كانت الفروق بين شدة التعلق بالشخص الذي يأتي في قمة التدرج الهرمي لعلاقات التعلق والشخص الذي يليه في التدرج أكبر من تلك الفروق التي توجد في شدة التعلق بالشخص الثاني والشخص الثالث في تدرج العلاقات .

ولم يتم التحقق من ذلك في معظم الحالات (٦٥٣) ويمكن أن نخلص إلى أن علاقات التعلق المتعددة تميل لأن يكون لها وظائف متشابهة إلي حد كبير برغم تدرجها من حيث الشدة ، وهذا بالطبع لا يعني أن جميع العلاقات تتشابه في وظائفها وخصائصها ، وسنناقش الأدلة المؤيدة لذلك فيما بعد غير أن ما يراه بولبي ويؤكده هو أن علاقة الطفل بأمه تختلف في نوعها عن العلاقات الأخرى وبصفة خاصة من حيث خصائص التعلق ، أما الأدلة الأمبريقية فتؤكد أن الأمر ليس كذلك .

## سلوك التعلق :

في الكتابات الأولى عن التعلق كان هناك فرضا ضمنيا بأن التعلق مفهوم بسيط موحد غير أن الواضح لنا الآن أنه ليس كذلك (١٠٨ ، ٥٢٢ ، ٦٤٢) فالتعلق ليس سمة للشخصية وإنما هو مركب ينطوي على عدد من المظاهر المختلفة . وينبغي أن نوضح أولا : أن هناك إختلافا بين سلوك التعلق وبين روابط التعلق المستقرة . فالأطفال تبدي ميلا عامًا لإقامة علاقات تعلق بالآخرين (٥٠٩) ولكن مفهوم الروابط ينطوي على إنتقائية لعلاقة التعلق (١١٢) تستمر لمدى طويل حتى في الفترات التي لا يكون هناك إتصال بالشخص الذي قد تكونت معه هذه الرابطة .

وقد اتضحت أهمية هذا التمييز من تجارب هارلو على قردة الريزوس .فالصغار التي نشأت في عزلة إجتماعية كانت شديدة الإلتصاق بنماذج من الجماد ، كما كانت تندفع بكل قوتها تجاه هذه النماذج حين تخاف أو يهددها شيء ما حتى لو كان هذا الشيء مجرد لفحة هواء مفاجئة (٢٥٠ ، ٢٦٢) ومثل هذا السلوك علامة علي التعلق ، غير أن الدراسات التتبعية أظهرت أن هذه العلاقات الباكرة مع الأشياء غير الحية لم تؤدي إلى علاقات إجتماعية طبيعية للحيوان فيما بعد كما يحدث في حالة التعلق بأحد الوالدين أو الأشقاء أو الرفاق (٢٥٦ ، ٥٣٧) وتتضح أوجه الإختلاف بين سلوك التعلق لدي الإنسان وبين الروابط الوجدانية فيما وجده تيزارد وريز Tizard & Reese (٦٧٧) لدى أطفال المؤسسات . فقد كان أطفال الرابعة أكثر تشبثا والتصاقا بالراشدين وتتبعا لهم بمقارنتهم بأطفال في سن العمر الزمني نشأت في أسر عادية . ورغم أن أطفال المؤسسة كانوا أعلى في سلوك التعلق إلا أنهم كانوا أقل إنتقاءً لعلاقات تعلقهم وأكثر سطحية وأقل عمقا .

وهذه النتائج قد تعني أن العمليات التي تدخل في سلوك التعلق تختلف تماما عن تلك المسئولة في تكوين الروابط ، أو أن طبيعة إستجابة الموضوع الذي تعلق به الصغير تؤثر في نوعية الرابطة التي تقوم بينهما ومن هنا تختلف وظيفتها فيما يتعلق بالنمو اللاحق .

ثانيًا ينبغي إيضاح الإختلاف بين الرابطة الآمنة والرابطة غير الآمنة (٦٤٢) فأحد أهم خصائص الروابط الوجدانية هو أنها تتيح للأطفال الشعور بالأمن في مواقف الشدة والمواقف الغريبة عليهم . والهدف الظاهر من الرابطة هو أن تتيح للطفل الطمأنينة في علاقاته بحيث يتوقف عن التشبث والتتبع لمثل التعلق . وعلي ذلك وجد أن أطفال الأمهات اللائي يتسمن بحساسية تجاوبهن لأطفالهن كانوا أكثر إيجابية في تحيتهم لأمهاتهم عند رؤيتهم لهن بعد فترة إنفصال ، كما كانوا أكثر تتبعا لهن أكثر من أطفال الأمهات غير المتجاوبات . لكنهم مع ذلك كانوا أقل

بكاءً عند حدوث الإنفصال وهو ما يوحي بعلاقة أكثر أمنا . كذلك وجد أن الأطفال الذين لهم علاقات آمنه بأحد الوالدين من الأرجح أن تكون علاقتهم بالوالد الاخر آمنة أيضا غير أن علاقات الأطفال بوالديها تتنوع تنوعا كبيرا بما يتيح لنا أن نشير إلي أن الأمن هو خاصية نوعية مميزة لهذه العلاقة إلى حد بعيد (٣٥٢) كذلك وجد أن صغار الريزوس الذين ظهرت عليهم أقسى درجات الإضطراب الإنفعالي بعد الإنفصال عن أمهاتها كانوا أولئك الذين عانوا من الرفض من قبل أمهاتهم والتي اتسمت علاقاتهم بالأم بكثير من التوتر (٢٩٥) .

ويبقي لنا تساؤل يتعلق بما إذا كان مفهوم التعلق يغطي جميع أشكال التفاعل الإيجابي لصغار الأطفال . والأدلة المتاحة لا تؤيد ذلك ، إذ يمكن أن نميز بين التعلق وجميع أشكال التفاعل الإيجابي الأخرى في حالة القلق بصفة خاصة ، ففي حين أن القلق من شأنه أن يكف جميع أشكال اللعب الإجتماعي ، نجده يزيد من شدة التعلق وعلى ذلك وجد لام Lamb (٣٥١) أنه حين كان الطفل بصحبة والداه فإن دخول شخص غريب في الموقف أدى إلى زيادة سلوك التعلق مع كف أشكال التفاعل عن طريق اللعب . وقد يفضل الأطفال اللعب مع أقرانهم غير أنهم عادة ما يتوجهون إلى أحد الوالدين عند حاجتهم للطمأنينة . ونفس الأمر يحدث لدي قردة الريزوس (٤٥٨) كذلك ففي المواقف غير المألوفة للأطفال يقوم الصغار بتتبع أمهاتهم حين تتركن الحجرة لكنهم لايتتبعون شخصا غريبا يخرج من باب آخر بنفس الحجرة في نفس لحظة خروج الأم (١٢٠) ويمثل كل من التتبع والسعي للبقاء بالقرب من شخص ما خاصية مميزة لسلوك التعلق تزداد في أوقات الشدة . وهذه الإستجابة الفارقة للتعلق لا تترتب علي كون الوالدين أكفأ في بث الطمأنينة في أوقات الشدة ، فقد وجد هارلو (٥٢١) أن صغار الريزوس كانت تلتصق بشدة بأمهاتها الصناعية (نموذج للأم مصنوع من قماش لين) حين كان يتم عقابهم عن طريق لفحة من الهواء تصدر عنها حين إقتراب الصغير منها ، كما وجد أيضا أن صغار القردة كانت تلتصق بأمهاتها الحقيقية التي كانت تسيء معاملتها بشدة .

ويبدو أن القلق يزيد من التعلق بغض النظر عن الإستجابة الصادرة من الموضوع الذي يتعلق به الطفل . وتنقص البيانات فيما يتعلق ببني الإنسان غير أن نفس الأمر يبدو أنة ينطبق أيضا على صغار الأطفال (٥٧) .

ورغم تداخل اللعب والتعلق معا إلى حد كبير إلا أن لكل منهما خصائص مختلفة (٢٦٦ ، ٢٦٧) فطريقة تفاعل الأطفال حين يلعبون معا أو حتى حين يلعبون مع شخص غريب تختلف عن طريقة تفاعلهم مع والديهم فالتشبث واحتضان الصغار لبعضها البعض أمران يندر ملاحظتهما في الأطفال حين يلعبون مع أقرانهم ، ولكن في الظروف غير العادية التي ينشأ فيها الأطفال معا في غياب الوالدين فإن ذلك يحدث (٢٠٣) ونفس الشيء يحدث في تفاعل صغار القردة مع رفاقها (٢٥٣ ، ٢٥٩) فإذا لم يكن هناك والدين (أو من في حكمهما) فإن العلاقة بالرفاق قد تصبح بديلا لإقامة علاقات التعلق ، ولكن في مثل هذه الظروف يصبح تحقيق النمو الإجتماعي السليم فيما بعد أمر أكثر صعوبة (٥٣٤ ، ٥٣٧) .

وتشير دراسات لام Lamb (٣٥٥) أن تفاعل الطفل بالأب يختلف في بعض جوانبه عن تفاعله بالأم ، فالآباء عادة ما ينفقون وقتا قليلا على شئون رعاية الطفل غير أنهم يتفاعلون معه بقدر أكبر من التنبيهات وأنماط اللعب غير المعتادة والتي يفضلها معظم الصغار . وهناك نتائج مشابهة إلى حد ما من الدراسات على صغار الريزوس (٦٥٨) .

وتشير النتائج في مجملها إلى أن أية علاقة قد تنطوي على تفاعل له جوانب اللعب وجوانب التعلق ، ولكن التفاعل الخاص بالتعلق يميز علاقات الصغار بالوالدين أما التفاعل عن طريق اللعب فيميز إلى حد كبير علاقات الأطفال بأقرانهم غير أن هناك تداخلاً كبيراً ، وما الفصل بين نوعي التفاعل إلا لمجرد التحديد النظري ، إلا أن مدى ارتباطهما وإلى أي حد يمكن اعتبار الروابط الباكرة ضرورية لنمو التفاعل الاجتماعي من خلال اللعب فما زال هذا أمر غير مؤكد .

## عملية تكوين روابط التعلق :

تعتبر عملية نمو الروابط مجالا رابعا يثار فيه جدل علمي واسع (٨٨ ، ١٢١، ٢٢٢ ، ٤٨٤ ، ٥٥٨) وقد جذب هذا الموضوع اهتمام كثير من المنظرين بحيث أصبح لدينا عدد من التفسيرات غير المتجانسة لسلوك التعلق (٤٨٤) وبعض هذه التفسيرات-برغم ما لها من أهمية تاريخية – لايستدعي كثيرا من اهتمامنا نظرا لوجود كم هائل من البيانات التي تنفي فرضياتها النظرية . وهكذا فإن تنظير لورنز Lorenz (٣٧٩) الأساسي فيما يتعلق بظاهرة البصم قد تم تعديله بشكل كبير على ضوء ما استجد من بيانات بحثية . كذلك لايتفق رأي أنّا فرويد (٢٠٢) حول العلاقة بالموضوع وكيف أنها تتطور وتنمو وفقا لعملية الرضاعة مع ما قد توافر من بيانات تؤكد عدم أهمية عملية الإرضاع أو شئون الرعاية الروتينية كذلك لايتفق أيضا رأي دولارد وميلر (١٥٦) بأن التعلق ينشأ نتيجة التدعيم الثانوي مع الأدلة المتاحة . أما نموذج شنايرلا Schneirla (٥٩٢) فليس هناك ما يؤيده كذلك فإن مفهوم سكوت Scott (٥٩٧) الذي يؤكد أن التعلق ينمو بفعل الإنفصال يتعارض تماماً مع جميع النتائج البحثية .

وقد أكد بولبي (٥٧) وانـزروث (٧) في نموذجهما التنظيري على أن الصغار تولد ولديها استعداد بيولوچي لأن تسلك بطرق تنمي التقارب المكاني والإتصال والتلامس مع ممثل الأم . ووفقا لرأيهم فإن التعلق ينمو ويتطور وفقا للتجاوب واستجابة ممثل التعلق لهذا السلوك خلال فترة حساسة في السنوات الأولى من الحياة . وهكذا – بالنسبة لهما – فإن التعلق يعتبر ظاهـرة نوعية خاصة تختلف في خصائصها عن مفهوم الإعتمادية . وعلى النقيض مما سبق يرى چيفرتز Gewirtz (٢١٩ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣) أن التعلق يحدث لأن كثافة العلاقات بموضوع بارز تزيد من احتمال حدوث ارتباط شرطي .

ويتفق المنظرون حول عدة قضايا جوهرية أولها أن عملية تكوين الروابط تنطوي بالضرورة على تفاعل متبادل بين الصغير والأم يلعب فيه كل منهما دوراً

هامًا (٥٧ ، ٨٨ ، ٢٢٤) وثانيها أن عوامل النضج وعوامل البيئة محددان هامان للوقت الذي يحدث فيه التعلق (٨٧ ، ٨٨ ، ٥٨٧) وعلى ذلك فإن نمو التعلق الإنتقائي يفترض بالضرورة مسبقًا أن يكون الطفل قد استطاع أن يميز بين الأشخاص وأن يكون لديه مجموعة من الإشارات والاستجابات الإجتماعية ، ورغم أن ذلك يعتبر شرطا ضروريًا لحدوث التعلق إلا أنه ليس شرطًا كافيًا ذلك لأن تكوين رابطة التعلق لايحدث إلا بعد انقضاء عدة أسابيع أو أشهر بل وقد يتأخر أكثر من ذلك حين ينقص البيئة فرص التفاعل الإجتماعي . أما ثالث القضايا التي يتفق حولها المنظرون فهي أن الروابط الإنتقائية تنمو نتيجة لأحد أشكال التعلم الإجتماعي ، علاوة على أن التدعيم يلعب دورا واضحا في تحديد نمط ونوعية التفاعل الإجتماعي (٢٩٨) .

ويدور الجدل مركزًا على المدى الذي يمكن به اعتبار عملية تكوين الروابط مختلفة في خصائصها تمامًا عن الأشكال الأخرى للتعلم الإجتماعي وعلى طبيعة وأهمية الإستعداد الفطري لتكوين هذه الروابط . وهنا نجد أمامنا خمسة ملاحظات تتطلب التفسير وجميعها تمثل مشكلات أمام النظريات جميعها . أولاً : أن التعلق يتيح للطفل قاعدة للأمن أي أن وجود ممثل التعلق من الأرجح أن يجعل الطفل يتحرك بعيدا عنه ليستكشف البيئة (١٢٣ ، ٤٢٨ ، ٤٩٥) ويشرح نموذج بولبي / انـزورث هذه الظاهرة ولكن لا يتضح لنا من تفسيرهم لماذا يمكن أن تفي أشياء غير حية ( كالأم الصناعية مثلا ) بمثل هذا الغرض أما نظريات التعلم الإجتماعي على اختلافها فتعلل ذلك بعدة احتمالات لا تنبثق مباشرة عن أسسها النظرية .

ثانيًا : هناك أدلة مؤكدة تشير إلى أن التعلق يحدث في ظروف سوء المعاملة والعقاب والقسوة (٢٥٨ ، ٣٤٧) وتفترض النظريات إلا يثولوجية – وقد ثبت صحة هذه الإفتراضات – أن الشدة والظروف الضاغطة تزيد من سلوك التعلق ، غير أن تأكيد بولبي (٥٧) ولام (٣٥٢) على أهمية دور الإستجابة الوالدية الملائمة لا يمكن موائمته بسهولة مع النتائج السابقة ، كذلك من الصعب أن نرى كيف يمكن أن

يفسر نموذج جيفرتز Gewirtz القائم على التدعيم تلك الملاحظة السابقة .

ثالثًا ، هناك مسألة أن التعلق يحدث مع أشياء من الجماد لا حياة فيها (٤٩، ٢٦٢، ٤٠٨، ٤٥٦، ٤٥٧) وهنا تبدو نتائج الدراسات على القردة ونتائج الدراسات على الإنسان متعارضة إلى حد ما . فالقردة التي تم عزلها اجتماعيا استطاعت أن تقيم علاقات تعلق ببدائل صناعية للأمهات ، لكن أطفال المؤسسات الذين يبدون عجزًا في تكوين روابط التعلق لايفعلون نفس الشيء . ويبدو لنا أن أطفال المؤسسات من الأقل احتمالا أن يقيموا علاقات تعلق بأشياء مثل الدمي أو الأغطية الناعمة في حالة مقارنتهم بأطفال الأسر العادية. ووفقا لتنظير بولبي/ انزورث في هذا الشأن فمن السهل أن نرى كيف أن الأطفال التي أقامت علاقات تعلق قوية يمكن أن تعمم هذه العلاقات إلى الأشياء الجماد الأخرى ومع ذلك فإذا كان هناك استعداد فطري قوي لتكوين علاقات تعلق - وهو ما يؤكده تنظير بولبي/ انزورث - فلماذا لا يتعلق أطفال المؤسسات بأشياء جامدة إذا انعدمت فرصة تكوين الروابط مع أشخاص ؟ وبالطبع قد يتم تفسير ذلك بأن الأشياء غير الحية إنما تكتسب خواصها كممثل للتعلق من خلال ارتباطها بالأم (وفقا لمصطلحات نظرية التعلم الإجتماعي) أو لمالها من صلة رمزية بالأم (وفقا للمصطلحات السيكودينامية) وهو مايفسر حدوث تعلق الأطفال بالأشياء في الأسرة العادية وعدم حدوثه لدى أطفال المؤسسات ، ومع ذلك فإن هذا التفسير لا يتفق والأدلة المتعلقة بالحيوان كما لايوضح حقيقة أن كثيرًا من الأطفال العاديين لايتعلقون بأشياء من الجماد . كذلك فالأطفال الذاتويين Autistic (الذين تنعدم لديهم العلاقات بالأبوين) يبدون تعلقًا بأشياء من الجماد عادة ليست لينة في ملمسها (٤٠١) وقد يكون الأمر أن الميكانزمات الداخلية في هذه الحالات المتنوعة تختلف عن بعضها البعض ، ولكن حتى الآن فإن النقاط السابق ذكرها لاتجد تفسيرًا كافيًا وفقًا لأي نظرية من النظريات ، رابعًا ، ينبغي التوقف لتفسير ما وجدته الدراسات من نتائج تؤكد أن القلق يكف اللعب لكنه يزيد من شدة التعلق .

وهو بالضبط ما افترضته نظرية بولبي/ انزورث ويمكن تفسير هذه الظاهرة أيضاً في الأشخاص العاديين وفقا لمفاهيم نظريات التعلم الإجتماعي نظرا لإختلاف الإستجابات الصادرة عن الأطفال في كل موقف من الموقفين السابقين (اللعب ، التعلق) ، ولكن مع ذلك لا يتضح لنا وفقا لمفاهيم التدعيم لماذا ينطبق نفس تأثير التعلق على الأشياء غير الحية .

خامساً : هناك أدلة تؤكد أن كل أشكال علاقات التعلق ليست متكافئة فيما يترتب عليها من آثار ، وهنا ينبغي أن نفسر لماذا لا يمكن أن يؤدي تعلق صغار القردة بالأمهات الصناعية إلى علاقات اجتماعية سوية فيما بعد كما يحدث في حالة التعلق بأحد الوالدين أو الرفاق . وقد تم التمييز بين خصائص التعلق الآمن والتعلق غير الآمن وما يترتب على كل منهما من نتائج . وفي كلتا الحالتين فإن طبيعة استجابة موضوع التعلق Attachment Object للطفل تعتبر أمراً جوهرياً . ويقدم لنا التعلم الإجتماعي بعض الشروح المقبولة في اطارة الخط التنظيري الرئيسي ولكن النتائج لاتؤيد الرأي الذي يؤكد على ميكانيكية عملية البصم .

ويمكن القول بأن ليس هناك من النظريات ما يمكن أن يفسر تماماً جميع الظواهر ، فالحسم النظري النهائي ليس ممكنا حتى الآن . وحدوث التعلق في كثير من أنواع الحيوان يشير بشكل مؤكد إلى وجود نوع من الإستعداد البيولچي وفقا لآراء الإيثولوچيين . كذلك فإن معظم الآراء تشير إلى أن التعلم الإجتماعي يلعب دورا في عملية تكوين روابط التعلق وتحديد خصائص علاقة الوالدين بالطفل. ومع ذلك فإن عدداً من التساؤلات الجوهرية ما زال بحاجة إلى إجابة مُرضية .

## الروابط الباكرة والعلاقات الإجتماعية فيما بعد :

والقضية الأخيرة موضع الجدل فهي تلك المتعلقة بما يترتب على تكوين الروابط الباكرة من آثار على العلاقات الإجتماعية فيما بعد . وقد كان الإعتقاد

القائم هو أن الروابط الإنتقائية التي تحدث في السنوات الأولى من الحياة تضع أساس النمو الإجتماعي اللاحق (٥٧ ، ٥٥٢ ، ٦٣٨) غير أن الأدلة حول هذا الموضوع مازالت قليلة جدا ولكن هناك أدلة جيدة تؤكد أن الروابط الإجتماعية تظل تلعب دوراً هاماً طوال الحياة (٥٩) علاوة على أن العلاقات الإجتماعية في الرشد تشترك خصائصها في جوانب كثيرة مع خصائص علاقات التعلق الأولى . وعلى ذلك فإن حدوث الإكتئاب في الرشد غالبا ما يسبقه ضغوط حياتية شديدة تنطوي على فقد لعلاقة ذات أهمية خاصة إما بالوفاة أو الفراق أو الهجر أو الزجر (٧٦ ، ٤٦٠) .

كذلك فإن أي علاقة حميمة موثوق بها قد تكون عاملا واقيا حين تحل بالمرء الشدائد الحادة والضغوط الشديدة ( ١٧٤ ، ٤٤٠) ورغم ذلك فما يزال غير مؤكد أمامنا هو ما إذا كانت علاقات التعلق في بداية الحياة مُسبق ضروري هام للعلاقات في الرشد ، وما إذا كانت هناك استمرارية للنمو بينهما ، وهو ما يتم مناقشته في الفصل الثامن .

## ٦ - الآثار الاجتماعية الإنفعالية

## لدور الحضانة النهارية

نتيجة لكم متزايد من الدراسات منذ عام ١٩٧٢ (الطبعة الأولى من الكتاب الحالي) إلى عام ١٩٨١ أصبح من الضروري مراجعة موضوع إلحاق الأطفال بدور الحضانة النهارية وما يترتب على ذلك من آثار . وقبل عرض وتلخيص النتائج الأمبريقية ، قد يكون من المجدي أن يتم تلخيص الأسباب الرئيسية وراء قلق الكثيرين من أن إلحاق الصغار بدور الحضانة النهارية قد يترتب عليه آثارا سيئة على نموهم الإنفعالي الإجتماعي .

وينشأ الإنشغال حول دور الحضانة النهارية من الخوف أن يؤدي طول انفصال الطفل عن والدية يوميا وتوزيع رعايته على عدد كبير من الراشدين إلى الإضرار بعملية تكوين الروابط أو إلى أن تصحب الروابط التي قد تكونت فعلا أقل أمنا وفاعلية في القيام بوظيفتها كمصدر للطمأنينة والأمن . وقد يكون وراء هذه المخاوف ما أكدته الأدلة العلمية من أن تنشئة الأطفال بالمؤسسات - وهي عملية تنطوي على تعدد القائمين بالرعاية ودوام تغييرهم - تؤدي إلى العجز الإجتماعي واضطراب العلاقات المتبادلة بالآخرين (١٥٣ ، ٦٧٥ ، ٧٢٥) ولكن بالطبع هناك فارق عظيم بين رعاية المؤسسات حيث لا يكون هناك أي تورط والدي من أي نوع وبين دور الحضانة النهارية حيث تظل الأم هي الشخص الرئيسي الذي يشارك بكل ايجابية في رعاية الطفل والتفاعل معه . ولهذه الأسباب لا يمكن أن نقيم وزنا كبيرا للنتائج الخاصة بأطفال المؤسسات كأساس نقيس عليه أو نبني عليه تقييمنا للآثار المحتملة للرعاية الجماعية بدور الحضانة النهارية . ولكن قد يكون هناك بعض الصلة بصفة خاصة إذا كانت هذه الدور النهارية للحضانة ينعدم فيها

الإستقرار والإستمرارية حيث زادت خطورة معاناة الأطفال في مثل هذه الدور من المشكلات الإجتماعية (٤٢٥ ، ٤٢٧) ولكن مدى قوة هذا الرأي تقل كثيراً إذا ما أخذنا في اعتبارنا أن دور الحضانة التي تنعدم فيها الإستمرارية والإستقرار تسوء نوعيتها في جوانب أخرى كثيرة . ورغم أن النتائج غير متسقة أو قاطعة فإن بضع دراسات أمبريقية تشير نتائجها إلى أن الرعاية الجماعية التي تهيؤها دور الحضانة النهارية لا تؤدي إلى زيادة القلق أو انعدام الأمن أو العدوان لدى بعض الأطفال . أما الذين يرون أن دور الحضانة لصغار الأطفال يترتب عليها آثارا سيئة فعادة لايأخذون في إعتبارهم الأدلة المناقضة لرأيهم والتي تبين أن إلحاق الأطفال بهذه الدور لايضير بتوافقات الأطفال مؤكدين أن معظم هذه الأدلة لاتنطبق إلا على الأطفال الذين تزيد أعمارهم عن ثلاثة سنوات (٥١٠) .

وخطوط الجدل السابق تقوم أساساً على افتراض أن الخبرات الإجتماعية خلال السنوات الثلاث الأولى من العمر يمكن أن يكون لها تأثير هام على النمو النفسي الإجتماعي، وأن هناك جانباً للحضانة النهارية يمكن أن يشكل ظروفاً غير مواتية للنمو الاجتماعي لصغار الأطفال . غير أنه لايكفي أن يستنتج مسبقاً أن دور الحضانة النهارية ومراكز العناية بالأطفال Child - Minding Centres قد تكون لها تأثيراً ضارا على الأطفال التي ما زالت تدرج بأول خطوات لها Toddlers إذ أن الأمر بحاجة لفحص ما إذا كانت البيانات.الأمبريقية تؤيد رأي من لهم مآخذ على هذه الدور ، وإذا كان الأمر كذلك فأي جوانب للرعاية في هذه الدور يؤدي غالبا أو أحيانا إلى الآثار السيئة التي يفترض وجودها .

والموضوعات السابقة سيتم فحصها أولا بمناقشة النتائج الإجمالية المتعلقة بالآثار النفسية الإجتماعية المرتبطة بإلحاق صغار الأطفال بدور الحضانة النهارية ثم ثانيًا بفحص الميكانزمات والمتغيرات والعوامل المخففة .

التعلــــق :

تدور المخاوف المتعلقة بدور الحضانة النهارية بصفة مبدئية حول فكرة أن إلحاق الطفل بها إما أن يعوق نمو علاقات التعلق الأساسية أو أن يجعل هذه العلاقات تقوم بين الطفل ومشرفي هذه الدور بدلا من قيامها بين الطفل ووالديه (ومن هنا يقع الضرر على التماسك الأسري) أو أن يترتب عليه علاقات تعلق غير آمن ، وقد أكدت النتائج الامبريقية عدم صحة الإعتقادين الأول والثاني فالأطفال الذين يلحقون بدور الحضانة يقيمون روابط انفعالية بنفس الطريقة وفي نفس المدة الزمنية التي تظهر فيها هذه الروابط لدى الأطفال الذين يظلون في رعاية أسرهم بمنازلهم وهذه الروابط الأساسية عادة ما تكون مع الوالدين وليس مع مشرفي هذه الدور (٩٢ ، ١٨٤ ، ٣٢٨ ، ٥٣٥ ، ٤٩٨ ، ١٩٦ ، ١٢٩ ، ٤٨٨) ويمكن أن نضع ثقة كبيرة في النتائج السابقة نظرا لاتساقها الشديد عبر طرق متعددة لقياس التعلق . وعلى ذلك يبدي الأطفال محنة انفعالية حادة عند انفصالهم عن أمهاتهم أكثر مما يبدون من اضطراب عند انفصالهم عن مشرفي دور الحضانة كذلك يتجه الأطفال إلى أمهاتهم بحثا عن الطمأنينة عند الإنزعاج ، كما أنهم أكثر تجاوباً لأمهاتهم عند اجتماع شملهم بعد الإنفصال ، وقد أظهرت نتائج كيجان Kagan (٣٢٨) أن تطور مسار قلق الإنفصال كان متماثلا إلى حد كبير لدى كل من أطفال ملحقة بالحضانة النهارية وأخرى مقيمة طوال الوقت بمنازلها وهذه النتائج لا تنطبق فحسب على الأطفال الذين يلحقون بالحضانة النهارية لأول مرة في سن الثانية أو الثالثة – حين يفترض أن تكون رابطة التعلق بين الطفل ووالديه قد أصبحت قائمة – لكنها تنطبق أيضا على الأطفال الذين يترددون على هذه الدور منذ عامهم الأول حين تكون علاقات التعلق بسبيلها إلى التكوين – وقد أيدت ذلك نتائج فوكس Fox (١٩٦) على أطفال ألحقوا بالكيبوتز منذ اليوم الرابع من ميلادهم، ونتائج كومنجز Cummings (١٢٩) على أطفال ترددوا على الحضانة النهارية بمتوسط عمري قدره عشرة شهور ونصف، ونتائج كجيان وزملائه (٣٢٨)

حيث ألحق الأطفال بدور الحضانة ما بين ثلاثة إلي خمسة شهور من أعمارهم . والتحفظ الوحيد على استخلاص أن أطفال الحضانة النهارية يقيمون عادة علاقات تعلقهم الرئيسية بوالديهم وليس بمشرفي دور الحضانة هو أن معظم الدراسات التي تمت في هذا الموضوع كانت نتائجها قائمة على بيانات أطفال من أسر مستقرة غير محرومة وفي دور حضانة تعتبر أعلى من المستوى العادي لمثل هذه الدور.

أما التساؤل الخاص بما إذا كانت دور الحضانة يمكن أن تؤدي إلى قيام رابطة تعلق غير أمن فقد آثارته نتائج بليهار Blehar (٤٥) التي قامت بمقارنة أطفال تلزم إطار أسرها وأخرى تتردد على دور الحضانة . وقد وجد أن مجموعة الأطفال الملحقة بدورر الحضانة كانت أكثر بكاء وتجنباً للغرباء، في الموقف التجريبي المعروف بموقف الشخص الغريب ، كما ظهر عليهم أشكالاً مختلفة من السلوك الفمي وكانوا أكثر مقاومة وتجنباً لأمهاتهم عند عودة الأمهات بعد فترة الإنفصال . وأطفال هذه الدراسة ألحقت بدور الحضانة في سن الثانية أو الثالث من أعمارها كما أنها ظلت في اطارها الأسري أثناء الفترة التي تتكون فيها روابط التعلق الإنتقائية . وما يؤخذ علي هذه الدراسة هو أنها ضمت عددا كبير من أطفال تأتي الأول في ترتيبها الميلادي ، وقد سبق أن تبين أن الطفل الأول كثيرا ما يكون أكثر اضطرابا في مواقف الإنفصال ( ١٦٩ ) كذلك - وهو الأكثر أهمية - فإن دراسات أخرى قد حصلت على نتائج مخالفة تماما لنتائج تلك الدراسة ، إذ قام عدد من الباحثين ( ٤٢٩ ) بدراسة مماثلة لدراسة بليهار السابقة مستخدمين نفس تصميم البحث على اطفال في حوالى الثالثة من أعمارهم ألحقوا بدور الحضانة لأول مرة وقد وجدت فروق قليلة بين هؤلاء الأطفال وأطفال آخرين يقيمون بمنازلهم طوال الوقت لكن هذه الفروق كانت عكس ما وجدته دراسة بليهار تؤكد أن أطفال الحضانة كانوا أقل انزعاجا واضطرابا في الموقف التجريبي المعروف بموقف الشخص الغريب لانزورث Strange person situation كذلك

وجد دارسون آخرون من (١١٩ ، ٤٦٥) أن الأطفال الذين ألحقوا بالحضانة في عمر يناهز الثالثة لم يكونوا أكثر قلقًا أو أقل أمنًا من هؤلاء الذين يبقون تحت رعاية أسرهم طوال اليوم ، كما كان الأمر كذلك بالنسبة لمن ألحقوا بالحضانة في السنة الأولى من حياتهم بمقارنتهم بمن لم يتم إلحاقهم .

والواضح أن نتائج معظم الدراسات لم تأت مؤيدة لنتائج دراسة بليهار التي وجدت فروقًا في أشكال السلوك السلبي إلى جانب الأطفال التي ألحقت بدور الحضانة النهارية ومن الضروري أن نفسر لماذا اختلفت نتائجها عن نتائج الدراسات الأخرى والذي يحتمل أن تكون نتائجها انعكاسًا لقصور ما في منهجية وتصميم الدراسة ، أو أن هذه النتائج تعكس فقط آثارًا مؤقتة قصيرة المدى بينما كانت نتائج الدارسين الآخرين تبين الآثار على المدى الطويل ، وهذا التفسير الأخير تؤيده بعض النتائج حيث وجد أن تجنب الطفل لمثل تعلقه الرئيسي عند إلتئام شملهما بعد الإنفصال تناقص تدريجيًا كلما طالت مدة استمرار الطفل بدار الحضانة كذلك كان الأمر فيما يتعلق بسوء التوافق الإجتماعي الإنفعالي (٤٤) .

ومن المحتمل أن تكون الفروق التي تم الحصول عليها في استجابات كل من أطفال دورالحضانة وأطفال المنازل انعكاسًا لأنماط تفاعل الوالدين بالطفل السابقة على خبرة إلحاقه بدار الحضانة وليست نتيجة للخبرة في حد ذاتها . كما ينبغي ايضاح أن ما من دراسة واحدة من الدراسات التي أشرنا إليها قامت بقياس سلوك الأطفال قبل إلحاقهم بدور الحضانة والإستثناء الوحيد هو دراسة (٥١٧) وجدت أن أطفال دورالحضانة كانوا أكثر قلقًا وأقل أمنا أسبوع قبل إلحاقهم بدور الحضانة غير أنهم ازدادوا ودًا وصداقة كما قلت مظاهر معاناتهم الإنفعالية بتقدم الوقت بحيث تلاشت الفروق بينهم وبين المجموعة التي لم يتم إلحاقها بدور الحضانة بعد انقضاء ثلاثة شهور . والنتائج التي أظهرت فروقًا قبل إلتحاق الأطفال بدور الحضانة تبدو غريبة كما لم يتضح لنا منها ما إذا كانت تمثل فروقًا

في خصائص الأسر التي تلحق أطفالها بدور الحضانة النهارية أم أنها تعكس قلق التوقع لخبرة جديدة . وهذه الدراسة مثلها مثل معظم الدراسات تشوبهانقاط غموض تتعلق بمدى امكانية مقارنة مجموعتي الدراسة .

وإذا ما نظرنا إلى نتائج الدراسات المتاحة في مجملها نجد أنها تشير بالنسبة لأطفال الثالثة من العمر إلى أن اضطراب رابطة التعلق ليست بكل تأكيد نتيجة متوقعة لإلتحاق الطفل بدار للحضانة النهارية .

وعموماً فالأدلة في هذا الموضوع ليست قاطعة ولكن يبدو لنا منها أنه رغم أن معظم الأطفال قد لا تبدي اضطرابا وقلقا ظاهرا نتيجة الحاقهم بدور الحضانة إلا أنه من المحتمل أن يحدث لبعض الأطفال آثار سيئة غير ظاهرة . ولكن الأمر بحاجة إلى مزيد من الدراسات .

## التوافق الإجتماعي - الإنفعالي والسلوك :

كانت النتائج التي تم مناقشتها تتعلق بعلاقات التعلق ، وهي ما يشكل جانبا معينا فقط من جوانب النمو النفسي الإجتماعي ، ومن الضروري الآن أن نفحص المحصلات الأخرى لدور الحضانة والخاصة بالجوانب الأخرى للنمو النفسي الإجتماعي مع أخذ عمر الطفل في الاعتبار .

وقد قام شفارتز Schwartz (٥٩٤) بدراسة الحالات الوجدانية والتوتر والتفاعل الإجتماعي لأطفال إلتحقت بدار جديدة للحضانة النهارية وهم في الثالثة والنصف من أعمارهم . وقد تم تسجيل تفاعلهم الإجتماعي ودرجة توترهم وحالاتهم الوجدانية في اليوم الأول للإلتحاق ثم في الأسبوع الخامس منه ، وعند مقارنة مجموعة الأطفال التي كانت لها خبرة سابقة للإلتحاق بدورحضانة أخرى في أعمار مبكرة بمجموعة أخرى لم يسبق لها أية خبرة بدور الحضانة لم تكن الفروق دالة بين المجموعتين في المتغيرات النفسية الإجتماعية التي سبق تحديدها ، غير أن مجموعة الأطفال التي سبق لها الإلتحاق بدار للحضانة في عمر مبكر

كانت أقل توتراً وأكثر ايجابية في حالاتها الوجدانية وبصفة خاصة في أعقاب بداية الإلتحاق مباشرة وهذه النتائج يصعب تفسيرها لأن المجموعة التي سبق لها أن التحقت بدار حضانة سابقة ألحقت بالمركز الجديد كمجموعة من الرفاق يعرف أفرادها بعضهم البعض جيدا . وحين قام المدرسون والمشرفون على الدار بتقدير سلوك المجموعتين بعد انقضاء مدة أربعة شهور على الإلتحاق (٥٩٥) كان الأطفال الذين سبق لهم خبرة بدور الحضانة في عمر مبكرة منذ مرحلة الرضاعة أقل تعاونًا مع الكبار ، وأكثر عدوانا بدنيا ولفظيا مع كل من الكبار والرفاق وأكثر ميلا لعدم تحمل الإحباط وان كانوا أكثر نشاطا وإيجابية من أطفال المجموعة الأخرى . وإذا قمنا بفحص نتائج الدراستين معًا يمكن أن نخلص إلى أن الإلحاق المبكر للطفل بدور الحضانة قد نتج عنه فروق في أسلوب التفاعل الإجتماعي – لم تصل إلى درجة اعتبارها سوء توافق كما أنها قد ترجع إلى خصائص للأسرة وليس للإلتحاق بالحضانة كما أن وجود رفاق يألفها الطفل قد جعل بدء الإلتحاق بدار الحضانة خبرة أقل شدة وتوتراً وأكثر ألفة بالنسبة للطفل .

كذلك تم مقارنة أطفال في الثانية من عمرها ملتحقة بإحدي دور الحضانة وفقا لما إذا كانت لهم خبرة سابقة بدور الحضانة لمدة أقل من ستة شهور أو لمدة تزيد علي ثلاث عشرة شهراً ، وقد وجد أن امتداد خبرة الإلتحاق بهذه الدور ارتبطت بعلاقات أفضل مع الرفاق وإن كان هناك ميلا لدى هؤلاء الأطفال (لم يصل إلى مستوى الدلالة) نحو عدم القدرة على تحمل الإحباط ، والعدوان ، ومستوىً أعلى من النشاط (٣٩٨) .

وقد ظهرت دراسات أخرى أن معظم – وليس كل – الرضع وصغار الأطفال يمكنهم التكيف بسرعة معقولة مع بيئة الحضانة النهارية ، وأن الخبرات المبكرة بهذه الدور قد تؤدي إلى فروق طفيفة في السلوك الإجتماعي للأطفال لاتعطي أية مؤشرات لزيادة (أو نقص) سوء التوافق أو الإضطرابات النفسية الإجتماعية . وعلى كل فكثير من التغييرات التي تحدث خلال مرحلة ما قبل المدرسة في أنماط التفاعل الإجتماعي تبدو كوظيفة للنضج وخبرات التفاعل بالأقران أكثر من كونها

محصلة لأي من دار الحضانة أو البيت في حد ذاتهما . فقد وجد (٤٨٥) أن التفاعل الإجتماعي للأطفال يزداد بتزايد أعمارهم وبغض النظر عن خبرات الحضانة أوالروضة ، كما أن أشكال التفاعل السلبي بالمعلمين تزداد ما بين الثالثة والخامسة من العمر ، وهي أعلى قليلا (بشكل هامشي) لدى الأطفال الذين كانت لهم خبرات مبكرة سابقة بالإلتحاق بدور الحضانة النهاريا .

والدراسة الوحيدة التي فحصت الآثار بعيدة المدى للإلتحاق بدور الحضانة هي تلك التي قام بها مور Moore (٤٢٧) حيث قارن الأطفال الذين ظلوا تحت رعاية أمهاتهم بالبيوت طوال الوقت وهم مجموعة أطلق غليها «رعاية أمومية مطلقة» بأطفال سبق أن مروا بأحد أشكال الرعاية البديلة بدور الحضانة النهارية بداية من سن الثالثة ، وهي مجموعة أطلق عليها «رعاية أمومية منتشرة» وقد تم الحصول على البيانات بطريق المقابلات الشخصية والإستبيانات التي تم تطبيقهما عند نقطتين زمنيتين من أعمار الأطفال مرة عند بلوغهم السادسة إلى السابعة من أعمارهم والأخرى عند بلوغهم الخامسة عشرة . وقد وجد بالنسبة للذكور أن الرعاية الأمومية المطلقة ترتب عليها مسايرة دقيقة حساسة لمعايير الكبار دون الأقران في حين ارتبطت الرعاية الأمومية المنتشرة بعدم المسايرة الجريئة والعدوانية لمعايير الوالدين مع اهتمامات اجتماعية ايجابية تجاه جماعة الأقران . أما بالنسبة للإناث فكانت الفروق بين المجموعتين أقل وضوحًا واتساقًا . وينبغي الإضافة أن النتائج السابقة تشير إلى تباينات في جوانب شخصية الأبناء تقع كلها في اطار الطبيعي ولا تصل إلى مستوى سوء التوافق .

والأدلة السابق ذكرها ومناقشتها بالإضافة إلى أخرى عديدة (١٨٨ ، ٣٢٨ ، ٥٣٥) سبق الإشارة اليها في مواضع متفرقة تؤكد أن دور الحضانة النهارية قد تجعل الأطفال أكثر تأكيدا لذواتهم وأكثر توجهًا ايجابيا نحو جماعة الرفاق إلا أنها لا تؤدى إلى زيادة أو إلى نقص الإضطرابات النفسية الإجتماعية ، وإن كان ذلك يتوقف على نوعية واستقرار الرعاية البديلة المتاحة في هذه الدور ونمطها العام .

## خصائص الرعاية النهارية :

تتخذ الرعاية النهارية أشكالاً متنوعة لكنها تختلف جميعها عن الرعاية المقدمة للطفل في إطار أسرته في عدة أبعاد رئيسية هي : تعدد القائمين على رعاية الطفل ، استمرارية الرعاية ، تربية الطفل كعضو في جماعة عمرية معينة ، وخبرة بيئة جديدة على الطفل .

### تفاعل الطفل والقائم بالرعاية :

تم فحص أنماط تفاعل الطفل بالراشد الذي يقوم على رعايته في أنماط مختلفة للرعاية النهارية البديلة ، فقد قام روبنشتاين Rubenstein (٥٣٦) وزملاؤه بملاحظة أنماط التفاعل مع أطفال تقوم أمهاتهم برعايتهم بصفة مطلقة في البيوت وأطفال أخرى يقوم على رعايتهم بعض بدائل للأم كالأقارب ، أو جليسات الأطفال . وقد وجد أن الأمهات يهيئن تنبيهات أكثر وبيئة أكثر تجاوبًا مع الطفل بمقارنتهن بالبدائل التي تقوم على رعاية الأطفال .

كذلك قام دارسون آخرون (٥٣٥) بمقارنة التفاعل بين الطفل ومن يقوم برعايته في مجموعة من صغار الأطفال تبلغ ثمانية عشرة شهراً من أعمارها ملحقة بدور الحضانة النهارية ومجموعة أخرى يتم رعايتها في بيوتها . وقد كان التفاعل في كلا البيئتين متشابهًا إلى حد كبير ولكن كانت هناك بعض أوجه الإختلاف ؛ فعلى سبيل المثال كان القائمون بالرعاية في دور الحضانة النهارية أكثر ملاطفة للأطفال ، يحملونهم لمدد أطول كما يتدخلون أحيانًا لمساعدتهم على بدء اللعب معهم بالدمي . ومن الناحية الأخرى كانت الأمهات أكثر توجيهًا لفظيًا ، وأكثر تقييداً لسلوك أطفالهن حين يقومون بالاستكشاف أو اللعب ، كما كان التفاعل الإيجابي المتبادل كالإبتسام والعناق وتبادل اللعب أكثر حدوثًا في دور الحضانة عنه في المنازل ، كما كان أطفال المنازل أكثر بكاءً وكانت أمهاتهم أكثر زجرًا لهم . كما ازداد تفاعل أطفال الحضانة بالأقران وإن كان ينبغي ملاحظة أن

الأطفال في بيوتها لم يكن لديها أقران يمكنهم اللعب معهم . وحين تم مقارنة الحالات التي ترافر لها أقران تلعب معها بصفة منتظمة بأطفال الحضانة من نفس الترتيب الميلادي كان التفاعل الاجتماعي لدى المجموعتين متشابه تقريباً في كلا البيئتين . كما اتضح أيضاً أن وجود رفاق من شأنه أن يؤثر على تفاعل الطفل بالقائم بالرعاية حيث قل كثيراً تأنيب وزجر الأمهات لأطفالهن حين كان هناك رفاق لعب في زيارة لهم .ويبدو لنا مما سبق أن السياق الاجتماعي من الأرجح أن يؤثر على التفاعل بين الطفل ومن يقوم على رعايته . ومنزل الأسرة يقوم بعدة وظائف ، فهو مكان إقامة للوالدين والأطفال هذا بينما يتم تصميم دور الحضانة النهارية بهدف رعاية الأطفال ويترتب على ذلك أن تمارس الأمهات ضبطاً أعلى على سلوك أطفالهن أكثر مما تفعله مشرفات هذه الدور / لأن المنزل عادة ما يحتوي على أشياء كثيرة لاتتناسب لعب الطفل ؛ وقد يكون الأمر أيضاً أن الأم عليها كثيراً من المطالب نظراً لطبيعة خصوصية البيئة الأسرية وعزلتها . وقد تتعارض أحياناً مطالب الطفل مع الحاجة للقيام بأعباء المنزل والأسرة ، وكذلك مع حاجة الأم للإتصال والتواصل مع آخرين من الكبار (٣٥د) ووجود رفيق لعب للطفل قد يقلل من شدة الضغط الواقع على القائم بالرعاية . كذلك يتأثر كم ونوعية التفاعل بين الطفل والراشد في دور الحضانة النهارية بالنسبة الموجودة بين عدد من الراشدين وعدد الأطفال . كما أن مشرفي هذه الدور لاتقع عليهم مهام أخرى إلى جانب رعاية الأطفال – كما هو الحال مع الأمهات – غير أن هذه الميزة قد تنقلب إلى العكس حين يزداد عدد الأطفال بالنسبة لكل قائم بالرعاية بحيث لاتكون هناك أية فرصة لقيام تفاعل أو لعب على المستوى الفردي مع كل طفل على حدة وحيث قد يقضي الصغار يومهم في بيئة مكتظة تتعرض للتغيير المستمر وعدم استقرار القائمين بالرعاية فيها وينعدم فيها الإهتمام والحب .

## وحدوية الأم أم تعدد الأمهات :

تختلف الرعاية في دور الحضانة النهارية للأطفال عن رعايتهم ببيوتهم في

عدد الراشدين الذين يقومون بذلك . وعادة ما نصف التنشئة التقليدية في البيت بأنها وحدوية الأمومة إذا ما كانت الرعاية يقدمها شخص واحد فقط . هذا مع أن هذا التعبير قد يكون أحيانًا مضللاً لأن الآباء كثيرًا ما يشاركون بدور إيجابي في رعاية الطفل واللعب معه (٣٤٩) هذا إلى جانب أن الجد أو الجدة والأشقاء والشقيقات بل والجيران كثيرًا ما يكون لهم دورًا هامًا . ورغم ذلك فإن دور الحضانة النهارية تنطوي على تشتت رعاية الطفل بين أكثر من شخص إذا قورنت بجو الأسرة .

وتأخذ الرعاية المتعددة للطفل عدة أشكال تتراوح بين نمط الكيبوتز الإسرائيلي (١٩٦) حيث يتم تقديم الرعاية في بيئة مخصصة لذلك - إلى ترتيبات أقل تحديد وشكلية مثل الرعاية المشتركة كما هو الحال في المرتفعات الشرقية بأفريقيا (٣٦٣) إلي اجراءات وترتيبات متعددة لدور الحضانة كما هو الحال في المجتمعات الغربية . ويظل التساؤل مفتوحًا حول الآثار المترتبة على قيام عدد كبير من مختلف الأشخاص على رعاية الأطفال وبصفة خاصة وجود قائمة بأشخاص يتناوبون على العناية بالأطفال . وقد وجد أن الظروف السابقة ترتبط باضطراب النمو النفسي للأطفال إذا كانت هي النمط الوحيد المتاح للرعاية كما هو الحال في دور الإقامة الداخلية والمؤسسات (١٥٣ ، ٦٧٥) غير أن ظروف الرعاية النهارية تختلف تمامًا في أن الإستقرار والثبات يهيئهما عادة علاقة الطفل بوالديه اللذين عادة ما يتقاسمون رعايته بصفة دائمة مع مشرفي هذه الدور . والقضية إذن هي : ما هي الآثار المترتبة على استقرار أو عدم استقرار الرعاية على المستوى الفردي بدور الحضانة النهارية حين يكون هناك ثبات واستقرار لرعاية والديه في البيت ؟ وحتى الآن لاتوجد إلا بضع دراسات تناولت فحص هذا الموضوع .

وقد قام كرمنجز Cummings (١٢٩) بمقارنة سلوك التعلق لصغار تراوحت أعمارها ما بين اثني عشرة إلى اثنين وعشرين شهرًا وذلك في علاقته

باستقرار وثبات القائم بالرعاية (المشرفين الذين طالت مدة عملهم بالدار) مقابل عدم ثبات القائم بالرعاية (المشرفين الذين يعملون بالدار منذ مدة قصيرة) حيث وجد أن الصغار كانت تفضل القائم بالرعاية الثابت الذي استمر معهم لمدة طويلة على ذلك الذي يتكرر تغييره بين الحين والحين وذلك في حالة الظروف العادية غير أن الفروق في سلوك التعلق لم تكن دالة في كلتا الحالتين حين تعرضت الأطفال لمواقف تجريبية ضاغطة . وقد أظهرت النتائج أن الأطفال تنمو لديهم علاقة تعلق متوسطة القوة بالقائمين على رعايتها بدور الحضانة بصفة ثابتة غير أن تعلقهم بأمهاتهم كان أقوى . وكذلك فإن تعلقهم بالمشرفين الثابتين في هذه الدور كان أقوى من تعلقهم بغير الثابتين الذين لايألفونهم . وبينما تؤكد النتائج السابقة إلى أن تعلق الأطفال يزداد بزيادة ألفتهم بالقائم على رعايتهم بدارالحضانة إلا أنها لاتتناول المقارنة بين دور الحضانة من حيث تواجد أم عدم تواجد رعاية فردية مستقرة بكل طفل على حدة .

وقد تمت المقارنة السابقة في دراسة (٧١٨) تم توزيع الأطفال فيها توزيعًا شبه عشوائي على دارين متطابقتين للحضانة فيما عدا أن الأولى كان بها عشرون طفلاً وخمسة مشرفين بواقع أربعة أطفال لكل قائم بالرعاية ، مع استقرار رعاية كل منهم لنفس العدد من الأطفال في حين أن الثانية كان بها عشرون طفلاً توزع شئون رعايتهم – دون تحديد – على خمسة من المشرفين . وقد كان معظم أطفال الدراسة ينتمون إلى أسر فقيرة من السود ، كما تراوحت أعمارهم ما بين عام واحد إلى عامين . وبمقارنة أطفال المجموعتين في سلوك التعلق وسلوكهم عند عودتهم لأمهاتهم وأشكال التفاعل الاجتماعي وأنماط الإتصال لم توجد أية فروق ترجيحية لأي مجموعة من المجموعتين في المتغيرات السابقة ، والدراسة كما يتضح قد فشلت في أن تقيم دليلاً مرجحًا للرعاية على المستوى الفردي مقابل الرعاية المنتشرة بين عدد من القائمين عليها .

وقد سبق ذكر دراسات (٤٢٥ ، ٤٢٧) أظهرت كيف أن تكرار التغيير وعدم

الاستقرار في الرعاية المتاحة يؤدي إلى عدم الأمن والتوتر الإنفعالي للأطفال . ولكن ليس من المؤكد إلى أي مدى يمكن اعتبار هذه الآثار السلبية ناتجة عن الرعاية النهارية في حد ذاتها وإلى أي مدى يمكن أن تكون ناتجة عن مشكلات أسرية في بيئة الطفل الأولى . كذلك لايتضح لنا إلى أي مدى يمكن اعتبار عدم أمن الطفل نتيجة لتعدد القائمين على رعايته وإلى أي مدى يمكن اعتباره مترتبًا على تغيير أساسي في اجراءات تقديم الرعاية له .

والواضح تمامًا أن ما هو متاح لنا من بيانات لايكفي لتقييم حاسم يكفل البت بآراء ثابتة في هذه القضية الجوهرية . وقد يفيد في هذا الصدد أن ننظر إلى خصائص مراكز الحضانة النهارية التي أجريت فيها الدراسات التي سجلت نتائج نتائج سلبية تتعلق بسلوك الأطفال . ففي دراسة بليهار Blehar (٤٥) كانت نسبة عدد القائمين بالرعاية إلى عدد الأطفال هي ١ : ٦ ، ١ : ٨ ولم يذكر شيء حول ما إذا كانت رعاية الأطفال تتخذ نمطًا فرديًا بين المشرفة وعدد معين من الأطفال . أما في دراسة شفارتز وزملائه Schwartz (٥٩٥) على أطفال رياض الأطفال فقد كانت نسبة معلمي الروضة إلى الأطفال هي ١ : ٧ ، أما دراسة مور Moore (٤٢٧) فقد طبقت على عدد من مراكز الحضانة النهارية ، غير أن الآثار السلبية لم تظهر إلا على الأطفال الذين كانت لهم خبرة باكرة بنوع من الرعاية يتغير فيها كل من السياق البيئي والقائمون عليها بشكل متكرر ومستمر ، ويمكن من ذلك أن نخلص إلى بعض الملاحظات هي : أولاً أن تأثير تعدد القائمين على رعاية الطفل وعدم فردية الرعاية فى المؤسسات حيث ينعدم وجود قائم بالرعاية أساسي ثابت يختلف ولاشك عن تأثير تعدد القائمين على رعاية الطفل حين يكون ذلك مكملاً للتنشئة العادية للطفل في ظل والديه وأسرته الخاصة . فالحالة الأولى التي تتسم بعدم الاستقرار كما تنعدم فيها استمرارية قائم بالرعاية يترتب عليها كثير من الضرر ، في حين أن الحالة الثانية التي تتعدد فيها الرعاية كجانب مكمل للوالدية لاتؤدي إلى نفس النتائج، ثانيًا ، رغم أن تفرد الرعاية بمراكز

الرعاية النهارية قد ينمي رابطة تعلق بين الطفل والقائم على رعايته بحيث تكون هذه الرابطة مصدراً للأمن في مواقف الشدة فإنه لايمكن أن نقرر مدى ذلك الإختلاف الذي قد يرجع إلى نوعية علاقة الطفل بأسرته ومدى أمن علاقته بها . ثالثًا ، من المحتمل أن تكون اجراءات الحضانة النهارية وتعدد التغييرات بها أمراً يثير لدى كثير من الأطفال الإنزعاج وعدم الإستقرار ذلك لأن الإلتحاق بتلك الدور ينطوي على كل من ضرورة التكيف ببيئة جديدة وفقد مؤقت لممثلي التعلق الأساسيين.

وهناك مسألة أخرى في هذا الصدد تتعلق بما إذا كان هناك مزايا لتعدد ممثلي الأمومة لأن هذا التعدد قد يتيح للطفل أن يُكَوّن علاقات تعلق متعددة ومن هنا مدى واسع لمصادر الأمن والطمأنينة عنه إذا كان الإعتماد فقط على علاقة واحدة كمصدر للأمن . ومرة أخرى فإن البيانات التي تحسم هذا الموضوع ما زالت قاصرة . ولكن نتائج الكيبوتزية (١٩٦) وتلك الخاصة بعينات من شرق أفريقيا (٣٦٣ ، ٤٨٨) تشير إلى أن هذين النمطين من أنماط تعدد الرعاية الأمومية يؤديان فعلاً إلى قيام علاقات تعلق وظيفية متعددة هذا رغم أن علاقة التعلق بالقائم بالرعاية البديلة عادة ما تكون أقل قوة عن علاقة التعلق بممثل الرعاية الأساسي .

## الأمهات العاملات وغير العاملات :

هناك قضية أخرى تتعلق بالفروق بين الأمهات العاملات وغير العاملات ، وهي تنطوي على تساؤلات عديدة مختلفة تتعلق بالفروق بين الأسر التي تستعين بدور الحضانة في رعاية أطفالها وتلك التي لاتلجأ لذلك ، ومدى تأثير عمل الأم خارج المنزل على تقديرها لذاتها ومدى رضاها وصحتها النفسية ، وتأثير إلحاق الأطفال بهذه الدور على تفاعل الوالدين بالطفل كما تدور بعض التساؤلات حول مدى تأثير عمل الأب والأم على نمو الطفل .

وقد قامت هوفمان Hoffman (٣٠٢ ، ٣٠٣) بعرض مستفيض للدراسات لتقييم دور عمل الأم ، ويمكن تلخيص ما جاء فيه من نتائج كما يلي أولاً ، هناك اختلافات واضحة بين الأسر التي تلحق أطفالها بدور الحضانة النهارية والأسر التي لاتفعل ذلك . وهذه الإختلافات هي اختلافات اجتماعية وأخرى عرقية (٧٢٠) كما أن بعضها يتعلق بالظروف الزواجية ؛ فعلى سبيل المثال وجد كوهين Cohen (١١٤) أن الأمهات العاملات من الأرجح ألا يكون لهن أزواج مقيمين معهن ، علاوة على أن الأمهات العاملات تختلف اتجهاتهن نحو الأطفال عن غير العاملات، وهو ما يؤثر على استجابة الرضيع للحضانة النهارية ، فقد قرر هوك Hock (٢٢٩) أن الأمهات العاملات هن أكثر اهتماماً بمستقبلهن المهني ، وقد يَكُنَّ أقل ادراكاً وتقديراً لمدى معاناة أطفالهن من خبرات الإنفصال ، وهن أقل قلقاً فيما يتعلق بالإنفصال عن أطفالهن وأقل توجساً من القائمين على رعاية الطفل بدور الحضانة النهارية .

وبالطبع فإن مثل هذه النتائج قد تعني أيضاً أن عدم قلق وتوجس الأمهات قد يجعل من الأسهل على الصغار أن تتكيف إيجابياً بدور الحضانة ، أو قد تعني أن الأمهات العاملات أقل ادراكاً لما يشير إلى عدم الأمن أو مؤشرات الخطر إذا ظهرت . ومن هنا وجد ميلاً لدى العاملات من الأمهات إلى أن يكنَّ أقل تبادلاً لأشكال الإهتمام بالإيجابية مع أطفالهن بمقارنتهن بغير العاملات (١١٤) .

ثانياً أظهرت عدة دراسات أنه حين تعمل الأم خارج البيت فإن الأباء من الأرجح أن يقوموا بدور إيجابي في الحياة الأسرية (هذا رغم أن هذا الدور يتوقف على اتجاه الأزواج نحو عمل الزوجة بعد الإنجاب) (٣٥٤) هذا إلى جانب أن الأطفال تضطلع بكثير من المهام داخل المنزل ، ومن المرجح أن يشارك شخص خارجي في رعاية الأطفال (٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٣٠٢ ، ٧٢٠) .

ثالثاً ، وجد أن القيام بعمل مدفوع الأجر خارج المنزل له آثار طيبة على شعور الأمهات بالرضا ، فقد أظهرت معظم الدراسات أن الأمهات العاملات

يرتفع تقديرهن لذواتهن ، كما يزددن رضا عن أدوارهن وذلك بمقارنتهن بغير العاملات (٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٤٣٤ ، ٤٨٣) غير أن النتائج المتعلقة بالفروق في جوانب الصحة النفسية للعاملات وغير العاملات من الأمهات تتعارض إلى حد كبير حيث لم تسجل بعض الدراسات فروقًا بين المجموعتين في حين أكدت دراسات أخرى أن عمل الأم يقوم كعامل يقي المرأة العاملة من الإكتئاب (٧٦ ، ٥٢٣) كما وجد أن كثير (وليس كل) من ربات البيوت من الأمهات لايرضين كثيرًا عن أوضاعهن (٢١٧ ، ٤٤٢) كذلك وجد يارو Yarrow (٧٣٦) أن تنشئة الأطفال تمثل مشكلة كبيرة أمام النساء اللاتي يرغبن في العمل ومع ذلك يبقين بالبيوت وفاءً لشعورهن بالواجب . ويبدو أن ما يفعله بقاء الأم بالمنزل أو خروجها للعمل بصحتها النفسية هو ما يؤثر تمامًا على الطفل (٣٠٢) وقد يكون الأمر الأكثر أهمية في كل ذلك هو أن يكون للطفل أم راضية سعيدة وليس أم تبقى بالمنزل طوال اليوم (٥٥٧) أما ما إذا كان عمل الأم أمر طيب أم غير طيب بالنسبة للأسرة فإن ذلك يتوقف كثيرًا على ما إذا كانت المرأة تريد أن تعمل ، وما إذا كان هذا العمل مُرضيًا لها وليس عملاً مُرهقًا يؤدي إلى التوتر والصراع . وتفضل أمهات صغار الأطفال أن يعملن بعض الوقت ، إذ قد يصيبهن التوتر والإرهاق إذا ما كان العمل طوال الوقت هو البديل المتاح أمامهن .

رابعًا : هناك أدلة متفرقة تشير إلى أن الأمهات العاملات قد يختلفن عن ربات البيوت في أسلوب تفاعلهن مع أطفالهن سواء كان ذلك نتيجة لإختلافات أو فروق موجودة سلفًا أم نتيجة لغيابهن عن أطفالهن معظم اليوم (٣٣ ، ١١٤ ، ٧٢٠) وليس من الواضح إذا كانت الرعاية النهارية للطفل بإحدى دور الحضانة تقلل بالضرورة من كثافة تفاعل الوالدين بالطفل أم أنها تعني أن الوالدين من الأرجح أن يكرسا معًا أو يكرس أحدهما وقتًا للعب والتفاعل المكثف مع الطفل ، أو قد تعني أن الإنشغال بالعمل خارج المنزل قد يقلل من اهتمام الأم بالأطفال والبيانات العلمية اللازمة للتحديد القاطع بين هذه الآراء البديلة ليست متاحة حتى

الآن ، وهناك حاجة ماسة لأن نفحص كل من عمل الأم والحضانة النهارية وفقًا لوقع كل منهما على النظام البيئي الذي تنمو الأطفال في اطاره (٣٢) .

## العوامل التي تعدل من استجابات الأطفال للحضانة النهارية :

في النهاية ينبغي أن نناقش العوامل التي يمكن أن تُعَدّل من استجابات الأطفال لخبرة إلحاقهم بالحضانة النهارية . والنتائج البحثية القليلة المتاحة حتى الآن تشير إلى عدة متغيرات تتدخل في تعديل استجابة الطفل لدار الحضانة وهي تضم عمر الطفل وجنسه وترتيبه الميلادي وخصائصه المزاجية ، وخبراته السابقة ، وعلاقاته بوالديه .

والمتوقع أن تختلف استجابات الأطفال للحضانة النهارية وفقًا لسن الطفل عند حدوث هذه الخبرة . والمثير للدهشة أن يكون هناك عدد قليل من الدراسات في هذا الموضوع ، ومع ذلك فالمعروف أن استجابات الأطفال تجاه الرفاق تتغير بتقدم العمر الزمني (٣٢٨) وأن التفاعل مع الأقران والسلوك الإجتماعي المتبادل يزداد حدوثه بين الأطفال في بداية تعلمها المشي عنه لدى صغار الرضّع ، وهو يصبح أكثر شيوعًا بين الأطفال ما بين سن الثانية والخامسة عنه بين الأطفال الذين ما زالوا يدرجون بأولى خطواتهم . وقد أظهرت عدد من الدراسات مدى أهمية الرفاق في التأثير على لعب الأطفال وعلى تفاعلهم مع الكبار وعلى استجاباتهم للإنفصال (٥٣٥ ، ٥٣٦) كذلك تشير الأدلة العلمية الخاصة بعلاقة العمر الزمني بالاحتجاج عقب الإنفصال إلى أن الحضانة النهارية قد تكون خبرة أشد وقعًا على صغار الأطفال تحت سن سنتان ونصف السنة إلى ثلاث سنوات عنها لدى أطفال ما قبل المدرسة (٣ - ٥ سنوات ) غير أن الأمر بحاجة إلى مزيد من الأدلة الأمبريقية .

كذلك أظهرت عديد من الدراسات أن تأثير الحضانة النهارية يصبح أكثر وضوحًا وتنوعًا في حالة الذكور بمقارنتهم بالإناث (٧٢ ، ١١٩ ، ٤٢٧ ، ٤٢٩ ،

٤٦٥) والفروق بين الجنسين في الإستجابة للحضانة النهارية ليست متسقة تماماً بما يتيح استخلاص استنتاجات قوية . فمثلاً وجد (١١٩) أن الذكور من الأطفال الملتحقين بدور الحضانة النهارية كانوا أكثر استقلالاً وأكثر تفاعلاً بالذكور من الراشدين غير المألوفين لهم ، وفي دراسة أخرى (٤٢٩) وجد أن الذكور من أطفال الحضانة النهارية كانوا أيضًا أكثر استقلالاً في وجود أمهاتهم معهم كما كانوا أكثر تجاوبًا لعودتها لهم بعد حدوث الإنفصال . ووجد أيضًا أن الذكور كانوا أكثر بكاءً ومقاومة وتجنبًا للأشياء والمواقف الغريبة عليهم بمقارنتهم بالإناث (٤٦٥) ورغم أن الفروق بين الجنسين في الإستجابة للحضانة النهارية ليست قاطعة ولكن من المحتمل أن يثبت صحة هذه الفروق بشكل قاطع وخاصة إذا ما أخذنا في الإعتبار الأدلة القوية القائمة على وجود فروق بين الجنسين في الإستجابة لمواقف الشدة Stressful Situations .

وقد وجد أيضًا أن الأطفال الأول في ترتيبها الميلادي كانت أكثر قلقًا إذا ما قورنت بالأطفال التي يأتي ترتيبها تاليًا للمركز الأول وذلك في مواقف تجريبية للإنفصال . (١٩٦) وهذا الموضوع لم يتم فحصه بشكل آخر غير أن هناك كم هائل من الأدلة العلمية يبين أن الوالدين يتفاعلان مع الطفل الأول بطرق تختلف تمامًا عن تفاعلهما بمن يتلونه في الترتيب من أطفالهما ، ومن هنا يبدو لنا أن الترتيب الميلادي قد يؤثر على استجابة الأطفال للحضانة النهارية ، ولكن الموضوع بحاجة لمزيدة من الدراسة .

ورغم تزايد الأدلة العلمية التي تبين مدى أهمية الفروق في الخصائص المزاجية في علاقتها بجوانب النمو النفسي والإجتماعي المختلفة وبالإستجابة لمواقف الشدة والضغوط (١٧١ ، ٥٥٠) إلا أن هناك القليل مما نعرفه بخصوص مدى أهمية تلك الفروق في حالة الإلتحاق بدور الحضانة النهارية . وقد يكون ما وجده كيجان وزملاؤه Kagan (٣٢٨) له أهمية حيث وجدت فروقًا واضحة بين استجابات الرضّع من الصينيين والرضّع من البيض للإنفصال ، ومرة أخرى فإن هذا المتغير يتطلب مزيداً من البحث .

والمتوقع أن تؤثر كل من خبرات الإنفصال السابقة - سواء الطيبة أم غير الطيبة - وتفاعل الأطفال بالأقران على استجاباتهم لدور الحضانة النهارية . وهناك بعض النتائج التي يمكن تفسيرها على أن الأمر قد يكون كذلك (٥٩٤ ، ٦٤٠) لكن المتاح لنا من البيانات لايسمح بأكثر من مجرد افتراضات ترجيحية .

وفي النهاية ينبغي أن ننظر إلى خصائص الأسرة وطبيعة علاقات الطفل بوالديه كمتغيرات هامة تعدل من استجابات الطفل للحضانة النهارية . وتشير فكرة التعلق غير الآمن ضمنًا إلى أن نوعية الرابطة القائمة بين الطفل وممثل التعلق الرئيسي تؤثر في استجاباته لخبرات الإنفصال ، ومن هنا يمكن أن نستنتج أن الأطفال الذين لهم روابط تعلق غير آمنة قد يكونون أكثر حساسية للآثار السيئة التي قد تترتب على الإلتحاق بدار الحضانة النهارية ، وهناك أدلة مؤيدة لذلك من الدراسات على الحيوان (٢٩٥) تؤكد أن صغار القردة التي مرت بأقصى درجة من المحنة الإنفعالية عقب الإنفصال كانت تلك التي كانت علاقاتها بأمهاتها قبل حدوث الإنفصال تتسم بالتوتر . كما يبدو أن صغار الإنسان الذين ينتمون إلى أسر يسودها النزاع وتكثر بها المشكلات من الأرجح أن يعانوا من الإضطراب في أعقاب تكرار خبرات الإنفصال (٤٨١ ، ٤٨٢) (كتكرار دخول المستشفى مثلاً) غير أن كلا الموقفين السابقين بعيدان كل البعد عن موقف الحضانة النهارية بحيث يكون من غير الحكمة أن نقفز إلى تعميم قد يكون مضللاً والأفضل أن نخلص إلى أن مثل النتائج السابقة تشير إلى مدى جدوى فحص هذا الموضوع .

ومن العرض السابق يتبين لنا أنه ما زال أمامنا بعض الوقت قبل أن نكون في وضع يسمح بوضع قرارات تتعلق بالسياسة التي تحدد نوع دور الحضانة النهارية الأكثر مواءمة للأطفال وفي أية ظروف . ونحن نعلم الآن أن الحضانة النهارية الجيدة لاينشأ عنها خللاً في الروابط الوجدانية القائمة بين الطفل وذويه ، كذلك يظل الطفل رغم التحاقه - بدار الحضانة - يفضل والديه على أي بديل آخر يقوم برعايته كذلك فإن الرعاية النهارية بالنسبة لصغار الرضّع لايترتب عليها عادة

أية اضطرابات انفعالية خطيرة . ومن الناحية الأخرى هناك اشارة إلى أن الحضانة النهارية قد تؤثر بعض الشيء في أشكال السلوك الاجتماعي للأطفال بطرق قد تكون طيبة أو ضارة . كما أن هناك بعض المؤشرات إلى أن هذا التأثير قد يحدث بفعل الخصائص المميزة لدار الحضانة ونوعية الرعاية بها ، كما أن متغيرات مثل سن الطفل وجنسه ، وعمل الأم ومعنى دار الحضانة بالنسبة للوالدين كلها تتدخل في تعديل ما للحضانة النهارية من تأثير . وما نحن بحاجة إليه الآن هو الدراسات التي تذهب إلى أبعد من مجرد المقارنة بين الرعاية المقدمة من دار الحضانة وتلك المتاحة بالبيت وذلك لكي يمكن أن نحدد أي جوانب الرعاية وفي أي ظروف يمكن أن تنشأ أية آثار .

## ٧ - الآثار بعيدة المدى للخبرات الباكرة

### الفتـرات الحرجـة :

في فصل سابق تم مناقشة الرأي القائل بأن السنوات الباكرة من الحياة لها أهمية طاغية على النمو وما يرتبط بذلك من فكرة الفترات الحرجة Critical Periods أو الحساسة . وكلا الفكرتين ما زال يُثار حولهما كثير من الجدل (١٠٣ ، ٤٥٠) كما ينبغي مناقشتهما بشكل مستفيض على ضوء ما استجد من أدلة (٥٦٣) .

وقد ارتبطت الفكرة الأساسية للفترات الحرجة بظاهرة البصم في الطيور وأصبحت تحمل معنىً معينًا تشير إلى التثبيت النمائي Developmental Fixity وإلى تحديد وتضييق الفترة الزمنية للنمو ، وإلى درجة عالية من الخاصية النوعية ، وإلى الآثار الدائمة غير القابلة للتغيير أو المحو Irreversible وقد ثبت الآن أن الرأي القائل بأن هناك فترات حرجة في مسار النمو ثابتة ومطلقة يحتمل كثير من الإستثناءات ، بل تعوزه كثير من الشواهد المؤيدة له (حتى في حالة البصم) (٢٣ ، ٢٩١ ، ٦٢٣) بحيث أصبح لاينبغي الأخذ به فيما يتعلق بالنمو النفسي الإجتماعي للإنسان ، وعلى نقيض ذلك فإن المفهوم الأوسع المتعلق بالفترات الحساسة لايشير لأكثر من وجود فترة زمنية تزداد فيها قابلية الكائن للإستجابة لأنواع معينة من المثيرات (٤٥٠) وهي فكرة لها صدق واضح كما أن الجدل المثار حولها يركز حول تفاصيلها فقط وليس حول الفكرة العامة في حد ذاتها .

ولن نناقش الفكرة العامة للفترات الحساسة أبعد من ذلك ، وإنما سنركز اهتمامنا على فحص الرأي القائل بأن المهد وسنوات بداية الحياة لها أهمية

قصوى ذات طابع خاص في نمو الشخصية . وقد طرح ألان وآن كلارك Allan & Ann Clarke (١٠٣) كثيراً من الأدلة العلمية جيدة التوثيق والتي تتعارض تماماً مع الرأي السابق ، كما قاما بالتأكيد على أن النمو في كليته وجميع مراحله له أهمية كبرى بما في ذلك فترة المهد والسنوات الباكرة ، مع إبراز أن هذه المرحلة الباكرة لاتزيد في أهميتها أو تقل عن أهمية مرحلة الطفولة الوسطى أو المتأخرة ، غير أن رأي كلارك وكلارك السابق لقي هجوماً شديداً (٤٧٢) وانتقد لمبالغته في السطحية عند تركيزه على الطابع التحصيني للخبرات الباكرة بدلاً من الفرض النمائي القائل بأن ما يحدث في الطفولة الباكرة له أهمية قصوى ليس لأن خبرات هذه المرحلة هي خبرات حرجة بيولوجيا وإنما لأنها قد تؤثر فيما بعد على قابلية الإصابة Vulnerability عن طريق إما تقليل أو زيادة الحساسية لمواقف الشدة اللاّحقة (٦٣٧) والموضوع ككل لهو شديد الإتساع غير أن معظم الآراء النظرية فيه وكذلك أغلبية النتائج الأمبريقية تركز فقط على جانبين من جوانب النمو هما الجانب المعرفي ، والتنشئة الإجتماعية .

ويدور النقاش المؤيد لفكرة الطبيعة الحرجة للسنوات الأولى من بداية الحياة في كلتا الحالتين مركزاً على النقاط التالية (أ) أن كثيراً من الإضطرابات تضرب بجذورها في السنوات المبكرة من الطفولة (ب) أن التدخل العلاجي في الطفولة اللاحقة كان عادة غير ناجح في حالة الإضطرابات الدائمة (جـ) أن معاملات الإرتباط بين أي من نسبة الذكاء أو مقاييس الشخصية في الطفولة وما هي عليه في الرشد تزداد قوتها في النصف الأول من الطفولة ثم لايطرأ عليها تغييراً يذكر في النصف الثاني . والبراهين الثلاثة السابقة ليست كافية (٥٤٦) ففي المقام الأول ، لايمكن دراسة الفترات الحرجة إلا حين تحدث تغييرات بيئية رئيسية ، غير أن المساويء النفسية الإجتماعية غالبًا ما تكون دائمة ومستمرة وبالتالي فإن استمرار النمو سيتأثر حتمًا باستمرار ودوام الحرمان والقصور أما في المقام الثاني فإن عقد المقارنات بين آثار التغيير البيئي عند سن الثانية بعد انقضاء عامين

من الحرمان ثم عند سن الثانية عشرة بعد انقضاء عشرة سنوات من الحرمان هو أمر لايجوز أبداً اجرائه ولايمكن أن تقدم لنا مثل هذه المقارنات اختباراً سليماً لإثبات صحة الفرض المتعلقة بالفترات الحرجة . أما في المقام الثالث فإن معظم التدخل العلاجي في الطفولة اللاّحقة لاينطوي إلا على الكلام عن التكيف بمثل هذه المساويء وجوانب الحرمان ونادراً ما ينطوي على إحداث تغيير كامل للبيئة . ولن نفيد كثيراً بالتوقف عند هذا الجدل والأفضل بدلاً من ذلك أن نركز على فحص الدراسات التي قامت بدراسة التغيير البيئي في أعمار مختلفة .

## النمو اللغوي ونمو الذكاء :

يتعلق التساؤل الأول الخاص بالنمو اللغوي والمعرفي بما إذا كان التحسن البيئي الذي يحدث فقط في الطفولة الوسطى أو المتأخرة يؤدي إلى زيادة الفائدة بالنسبة لكل منهما . والأدلة المؤيدة لصحة ذلك أدلة لاشك فيها بأية حال وتظهر بشكل واضح في تحسن الذكاء العادي لأطفال كانت في ظروف حرمان شديد ثم انقاذهم منها فقط عند السادسة أو السابعة من أعمارهم (١٣٨ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤) فقد ارتفع معامل الذكاء من أربعين درجة عند سن السابعة إلى مائة درجة عند بلوغ الأطفال الرابعة عشرة ؛ وذلك في دراسات على توائم . وهو نفس ما وجد دينيس Dennis (١٤٦) إذ تزايد معامل ذكاء أطفال لبنانيين ثلاثون درجة عندما تم نقلهم من مؤسسة سيئة إلى أخرى جيدة حين كانوا في السادسة من أعمارهم . أما كيرتس Curtiss (١٣١) فقد قرر في دراسة لاحدى الحالات وجدت في ظروف سيئة للغاية دامت لمدة ثلاثة عشرة عاماً أن التحسن فيما بعد عند تغيير هذه الظروف كان ملحوظاً . فحين تم العثور عليها كانت الفتاة «جيني» ، لاتستطيع ضبط التبول ، ولاتمشي إلا بصعوبة بالغة كما كانت عاجزة تماماً عن الكلام ، وكان ذكاؤها العقلي غير اللفظي أقل بخمس سنوات عن الذكاء العادي ، وبعد مضي أربعة سنوات بعد التحسن البيئي كانت الفتاة ما زالت تعاني من مشكلات شديدة غير أنه أمكنها الكلام في جمل قصيرة ووصل عمرها العقلي إلى

إحدى عشرة عامًا . كذلك أظهرت دراسات أخرى (٢٦٣ ، ٣٠٩) أن استمرار التعليم المدرسي في المراهقة المتأخرة أدى إلى تحسن في معامل الذكاء . والواضح أن التحسن البيئي في الطفولة الوسطى يمكن أن يؤدي إلى زيادة جوهرية في معامل الذكاء .

أما التساؤل الثاني فهو ما إذا كانت الخبرات غير المواتية في بداية الحياة يمكن أن تؤدي إلى قصور لغوي أو معرفي دائم حتى لو كانت الخبرات في الطفولة الوسطى أو المتأخرة إيجابية وطيبة . وبالطبع فإن الكثير يتوقف على كل من مدى شدة استمرار خبرات الحرمان الباكرة ، كما يتوقف أيضًا على نوعية الخبرات اللاحقة . وعلاوة على ذلك فكما يتضح لنا من الإجابة على التساؤل الأول أن الضرر الشديد للحرمان الباكر يمكن إزالة آثاره إلى حد كبير إذا كان التغيير الحادث في البيئة تغيير كبيرًا وإذا كانت الخبرات اللاحقة طيبة بدرجة كافية . وهناك أدلة علمية كثيرة تشير إلى أن استمرار الآثار السيئة إنما يتوقف بشكل كبير على استمرار الخبرات السيئة (١٠٣ ، ٣٢٨) ورغم كل شيء فإن قضية ما إذا كانت الصدمات التي حدثت في الطفولة الباكرة فقط يمكن أن يترتب عليها آثارًا بعيدة المدى هي قضية لايمكن التغاضي عنها . فآثار الحرمان المبكر يمكن أن تقلل منها إذا ما كانت الخبرات اللاحقة طيبة ولكن هل يمكن محو هذه الآثار تمامًا ؟ ومن الوهلة الأولى يبدو الأمر مثيرًا للدهشة أن تكون هناك ندرة في البيانات الأمبريقية لهذه النقطة الجوهرية ، ولكن يبدو أن السبب الرئيسي وراء نقص البيانات في هذا الموضوع هو أنه من النادر أن يكون الحرمان شديدًا في مرحلة المهد والرضاعة ثم تكون البيئة بعد ذلك طيبة خلال بقية سنوات الطفولة .

وقد تكون الدراسات المتعلقة بالتبني في عمر متأخرة نوعًا ما هي الأمثلة المتاحة لفحص هذه الظاهرة . وهنا تتفق النتائج في تأكيد أن معاملات الذكاء للأطفال التي تم تبينها في عمر متأخر كانت أقل قليلاً من تلك الخاصة بنظرائهم ممن تم تبنيهم في مرحلة الرضاعة (السنتان الأول من الحياة) (١٤٦ ، ٢٣٥ ،

٦٧٥) ومن الصعب أن نستبعد في تلك الدراسات التحيز الموجود نتيجة للجوانب الإنتقائية التي تنطوي عليها عملية التبني ولكن مع ذلك فإن الدلالات تشير إلى أن التبني في وقت لاحق قد لايمحو ما حدث من أضرار ترتبت على الحرمان وجوانب القصور البيئي الباكرة .

وفي دراسة أكثر تشدداً من حيث منهجها (٧٢١) تم متابعة أطفال أيتام كوريين تبنتهم أسر أمريكية في متوسط عمري قدره ثمانية عشرة شهراً ، وقد كان متوسط معامل ذكائهم خلال المدرسة الأساسية أعلى من مائة درجة أما تحصيلهم الدراسي فكان في حدود المتوسط وهو أكثر مما كان متوقعاً لهم لو أنهم ظلوا في خلفياتهم الأصلية السيئة . والنتائج تشير إلى درجة كبيرة من إمكان استعادة القدرات العقلية ، غير أن الأطفال الذين عانوا من سوء تغذية شديد كانت معاملات ذكائهم أدنى بعشرة درجات عن درجات أطفال المجموعة التي كانت جيدة التغذية كذلك كان متوسط تحصيلهم الدراسي أدنى بقدر انحراف معياري واحد عن ذلك الخاص بأطفال المجموعة الثانية . والإشارة هنا إلى أن الآثار المترتبة على سوء التغذية الباكرة لم يكن محوها تماماً . أما النتائج المتعلقة بمدى استمرار الآثار النفسية الإجتماعية المترتبة على الحرمان فكانت أقل وضوحاً ذلك لأن المقارنة داخل المجموعات في هذا البعد لم تكن ممكنة علاوة على أنه ينبغي الأخذ في الإعتبار أن الخبرات السيئة في مرحلة الرضاعة لم تستمر إلا بمعدل قدره شهور فقط وكان أقصى مدى لإستمرارها هو أربعة وعشرون شهراً .

والواضح تماماً أن الأدلة الحاسمة على مدى استمرار ودوام آثار الخبرات السيئة في السنوات الأولى من الحياة ما زالت غير كافية ، ولكن يمكن أن نخلص بشكل غير نهائي إلى أنه رغم إمكان التعديل أو التخفيف من الآثار الضارة المترتبة على الحرمان الباكر إذا ما كانت الخبرات اللاحقة طيبة ومواتية للنمو إلا أنه مع ذلك قد يظل هناك بقايا لذلك الحرمان الباكر .

أما التساؤل الثالث فيسير عكس اتجاه التساؤل السابق وهو : هل يمكن أن يكون للخبرات الطيبة في بداية الحياة - وقع مفيد دائم وواقي حتى حين تكون الخبرات سيئة خلال الطفولة الوسطى والمتأخرة ؟ ومن البداية ينبغي استبعاد التطرف في الرأي القائل بأن الخبرات الطيبة خلال السنوات الأولى من الطفولة من شأنها أن تقي الأطفال من الآثار السيئة التي قد ترتب على خبرات ضارة لاحقة . فقد أظهرت عدة دراسات أن الزيادة في معاملات الذكاء نتيجة برامج التعليم التعويضي في الطفولة المبكرة قد تتلاشى تدريجياً ثم تختفي خلال أربع أو خمس سنوات إن لم يكن قبل ذلك إذا استمرت الظروف السيئة قائمة (٧٠ ، ٣٠٤ ، ٥٦٩) كما تبين أن الأطفال الذين ينتمون إلي أسر تقع في أدنى درجات السلم الإجتماعي عادة ما يقل ذكاؤهم في سنوات الطفولة الوسطى (١٩١) .

ومع كل ، فالنتائج السابقة لاتعني بالضرورة أنه لاتوجد آثار طيبة دائمة ، ففي دراسة تتبعية لأطفال من السود تنخفض المستويات الإقتصادية لأسرهم وجد أن التحاقهم ببعض البرامج التجريبية ما قبل المدرسة كان له بعض الآثار الطيبة الدائمة (١٣٢) غير أن مثل هذه النتائج لاتعني أن الخبرات الباكرة كان لها آثار مستقلة عن نوعية الخبرات اللاحقة فيما بعد ، وإنما قد يكون الأمر أن برامج التعليم التعويضي ما قبل المدرسة قد أدت إلى حدوث تغيير في اتجاهات الأطفال نحو العمل المدرسي وهو ما كان له فوائد دائمة مستمرة لأن من شأنه أيضاً أن يغير من استجابة المعلمين للأطفال .

أما التساؤل الرابع فهو خاص بما إذا كان التأثير البيئي على النمو العقلي له وقع أكبر في مرحلة المهد والرضاعة عنه في مراحل الطفولة اللاحقة . وكما لاحظنا من قبل فقد وجدت الدراسات أن الأطفال الذين تم تبنيهم في وقت متأخر من الطفولة من الأرجح أن يكون ذكاؤهم أدنى من هؤلاء الذين تم تبنيهم في وقت باكر من طفولتهم ولكن مثل هذه النتائج لا تبين فروقاً في مدى التأثير البيئي

– وفقًا للأعمار الزمنية – على النمو العقلي للأسباب التالية : أولاً أن مدى استمرار الحرمان في كلا الموقفين لايتيح المقارنة ، ذلك لأن الأطفال الذين تم تبنيهم في وقت لاحق كانت قد عانت من الحرمان والقصور البيئي لوقت أطول مما يعني أن بطء زيادة معامل الذكاء يمكن أن ترجع إلى هذه الحقيقة ذاتها ، ثانيًا أن كم وخصائص التفاعل بين الوالدين والطفل في الطفولة الوسطى تختلف تمامًا عنها في سنوات ما قبل المدرسة ، وقد يكون الأمر أن بطء الزيادة في النمو العقلي لدى الأطفال الذين تأخر تبنيهم إلى الطفولة الوسطى إنما ترجع إلى قصر المدة الزمنية التي اتيح لهم فيها التفاعل مع الوالدين بالتبني .

وقد تناولت بعض الدراسات فحص هذه المسألة من مدخل آخر ، فقد وجد أن برامج التعليم التعويضي في السنوات الخمس الأولي من الحياة ترتبط بزيادة مباشرة في الذكاء (٧٠ ، ٣٠٤) فهل تستمر نفس الزيادة بنفس معدلها في السنوات الوسطى من الطفولة ؟ ومن الصعب الإجابة على هذا السؤال في المجتمعات الصناعية المتقدمة لأن جميع الأطفال يلحقون بلا استثناء بالمدارس ، أما هؤلاء الذين لايلحقون بمدارس التعليم العام فلابد وأن يكونوا معاقين بطريقة أو بأخرى . ومن الناحية الأخرى هناك من الدول النامية ما لايكون الأمر فيها على هذا النحو وبالتالي أمكن التوصل إلى بعض النتائج في هذه النقطة بالذات . فقد تم دراسة تأثير الإلتحاق بالمدارس والظروف البيئية العامة على نمو القدرات العقلية لأطفال ما بين الخامسة والسادسة من أعمارها تعيش في قرى الأحراش والمستوطنات الفقيرة في بيرو (٦٥٤) وقد ارتبط الإنتظام بالمدارس بتقدم واضح للمهارات المعرفية والمهام العقلية ، وحيث أن عدم الإلتحاق بالمدارس كان يمثل انعدامًا أو قصورًا للفرص البيئية المتاحة لذا فإن دلالات النتائج السابقة توحي بأن الإلتحاق بالمدارس كظرف بيئي جيد ومواتٍ قد حسَّنَ من الأداء العقلي للأطفال . وهذه الخلاصة السابقة ليست مؤكدة تمامًا ذلك لأن بيانات الدراسة السابقة كان قد تم جمعها عند نقطة زمنية معينة وهي ليست بيانات طولية تم جمعها عند نقاط

زمنية مختلفة . ومع ذلك فالأدلة كانت قوية على أن الإلتحاق بالمدارس كان له آثار طيبة على الأداء العقلي . وتشير بيانات أخرى استمدت من عينات من المراهقين والراشدين بالمكسيك إلى صحة الإستنتاج السابق (٦٠٤) كذلك فالنتائج من الدراسات المحدودة التي تمت في المجتمعات الغربية تبدو مؤيدة لما سبق فقد وجد انخفاض في معامل الذكاء قدره خمس درجات لدى جيل لم يلتحق بالمدارس من صغار الهولنديين نتيجة للحرب العالمية الثانية (١٤٢) كذلك أظهرت الدراسات بالسويد (٣٠٩ ، ٣٦٣) أن استمرار التعليم المدرسي خلال سنوات المراهقة المتأخرة يرتبط بزيادة في الذكاء تتراوح ما بين خمسة إلى سبعة درجات . ورغم أن نتائج الدراسات المختلفة التي قمنا بعرضها لاتتيح اجراء مقارنة كمية لتأثير التعليم المدرسي في المراحل المبكرة والمراحل المتأخرة من الطفولة ، إلا أنه من الواضح أن له آثاراً إيجابية طيبة على الأداء المعرفي بداية بما قبل المدرسة إلى نهاية المراهقة .

أما التساؤل الأخير الذي نود أن نفحصه في علاقته بالسنوات الأولى من الحياة وبالنمو المعرفي فهو ما إذا كانت هناك فترة حساسة لتعلم اللغة كأن نقول مثلاً أن اكتساب اللغة ينبغي أن يحدث خلال الإثني عشرة عاماً الأولى من الحياة إذا كان للنمو اللغوي أن يسير سيراً طبيعياً (٣٦٥) وهذا الرأي يستند على ما ظهر من نتائج تؤكد أن الشفاء من الإصابات المخية التي تؤدي إلى فقد النطق يسهل حدوثه على نحو أفضل في الأطفال عنه في الكبار . كذلك يستند هذا الرأي على الإعتقاد بأن السيطرة المخية Brain Dominance بالنسبة للغة لاتصبح كاملة إلا في وقت البلوغ تقريباً . وتشير الدراسات مؤخراً إلى أن الفروق العمرية فيما يتعلق بالشفاء من فقد النطق كان مبالغ فيها بسبب اختلاف الإصابات المخية التي تحدث في فترات عمرية مختلفة (٣١٩) ومع ذلك يظل الأمر مؤكداً أن الإصابات التي تحدث لأحد فصي المخ من الأرجح ألا تؤدي إلى فقد دائم للكلام إذا حدثت في الطفولة المبكرة ، وإنما تؤدي إلى تأخر الكلام وليس فقده فقداً كاملاً .

ويوضح لنا ما استجد من بيانات (٦٠٣ ، ٦٤٦) أن الآراء المتعلقة بالأداء الوظيفي للمخ والتي كانت سائدة في الستينات لم تكن صحيحة تمامًا . ومع ذلك فالواضح لنا حتى الآن أن هناك سهولة في تبادل وظائف الكلام بين فصي المخ أثناء الطفولة المبكرة والوسطى ، وأن ذلك يرتبط بفروق عمرية هامة – سواء من الناحية النمائية أم الإكلينكية – في ما تحدثه الإصابات المخية من آثار على المهارات اللغوية .

وتقل الأدلة العلمية المباشرة حول المدى الذي يمكن أن يحدث به النمو اللغوي الطبيعي إذا ما تأخر أول تعلم للغة بعد السن المعتادة لحدوث ذلك التعلم . والمشكلة في ذلك أن الحالات التي تأخر اكتسابها المهارات اللغوية إلى وقت متأخر من الطفولة كانت تعاني إما من قصور بيئي شديد أو من إصابة في المخ أو من كلاهما . ومع ذلك فالمعروف أن الأطفال الذاتويين Autistic يمكنهم بكل تأكيد تعلم اللغة المنطوقة لأول مرة بعد بلوغهم الخامسة من أعمارهم رغم أنهم نادرًا ما يمكنهم تحقيق المهارات اللغوية العادية الأخرى (٥٤٠) أما الأطفال الذين تعرضوا لحرمان نفسي اجتماعي شديد فإنهم لايمكنهم تعلم اللغة بعد بلوغهم خمس سنوات فحسب بل يمكنهم التقدم بحيث يمكنهم تحقيق مستوى عادي من الكفاءة اللغوية (١٣٨ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤) ولكن ما إذا كان ذلك من الممكن أن يحدث بعد سن الثامنة عشرة فهو أمر مشكوك فيه ، وقد أظهرت الدراسة على حالة الفتاة جيني السابقة الإشارة إليها (١٣١) والتي تم انقاذها وهي في الثالثة عشرة من عمرها من ظروف غاية في السوء . أن اكتساب اللغة يمكن أن يحدث حتى في عمر متأخر كعمر الثالثة عشرة . ورغم أن الأمر ما زال أبكر مما يجعلنا نتأكد من أن المهارات اللغوية العادية يمكن اكتسابها كاملة حتى حين يتأخر تعلمها كثيرًا عن الوقت المعتاد الذي يحدث فيه ، إلا أن تتبع حالة جيني حتى الآن يشير إلى أن ذلك أمر غير محتمل الحدوث .

ومن المضامين الأخرى (رغم أن ذلك ليس ضروريًا) التي نستخلصها من

فرضية الفترات الحساسة لتعلم اللغة هو أن تعلم اللغة الثانية يشبه كثيراً تعلم اللغة الأولى إذا ما حدث قبل سن البلوغ . وقد تصدت لهذا الموضوع احدى الدراسات (٦٢٧) التي فحصت كيفية الإكتساب الطبيعي للغة الهولندية لدى أفراد من مختلف الأعمار لغتهم الأولى هي الإنجليزية ، وقد وجد أن الأطفال ما بين السادسة والعاشرة كانوا أكثر طلاقة في اللغة الهولندية كلغة ثانية ، في حين كان الأطفال ما بين الثالثة والخامسة من عمرهم أسوأ حالاً عن كل من المجموعة السابقة وعن مجموعة أخرى مكونة من مراهقين وراشدين وقد وجدت الدراسة فروقًا فردية واضحة وفقًا للأعمار الزمنية - والنتائج في هذه الدراسة تحتمل كثير من التفسيرات إلا أنها تتسق مع الفكرة التقليدية المتعلقة بالفترات الحساسة لتعلم اللغة وربما يمكن أن نخلص إلى أن السنوات الخمس الأولى من بداية الحياة تختلف بعض الشيء نظراً لوجود صعوبات أساسية تتعلق بترسيخ تعلم اللغة الأولى مع تعلم لغة ثانية في نفس الوقت ؛ كذلك يبدو لنا الأمر مؤكداً أن اكتساب اللغة الثانية بطلاقة كاملة من الأرجح أن يتم في الطفولة والمراهقة عنه في الرشد .

وإذا نظرنا إلى ما طرحناه من نتائج تتعلق بالتساؤلات الخمسة التي أثرناها نجد أن هذه التساؤلات ما زالت مفتوحة لم يبت فيها بإجابة مؤكدة ، ولكن الواضح تمامًا أن النمو العقلي للأطفال تزداد حساسيته للتغييرات البيئية في كل من الطفولة المبكرة والطفولة اللآحقة ، أما ما إذا كانت السنوات الأولى من الطفولة لها التأثير الأكبر فإن ذلك يظل أمرٌ غير مؤكد ، ولكن حتى لو أن لها قدراً من التأثير فهو تأثير نسبي وليس تميز نوعي يرجع إلى تحديد الفترات الحرجة من النمو في السنوات الخمس الأولى من الحياة .

## نمو العلاقات الإجتماعية :

تنطبق كثير من التساؤلات السابق طرحها على مجال نمو العلاقات الإجتماعية ، وفي كثير من الحالات تتشابه الإجابات عليها إلى حد كبير . فهناك

أدلة علمية جيدة من الدراسات على الأطفال الذين تأخر تبنيهم في طفولتهم تؤكد أن التغيير أو التحسن البيئي الذي يتأخر حدوثه إلى الطفولة الوسطى والمتأخرة يؤدي مع ذلك إلى تحسن ملحوظ في كل من النمو والسلوك الإجتماعي (٣٢٦ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٦٧٥) وهو ما ظهر في نتائج دراستنا (المؤلف) لأطفال من أسر شديدة الإضطراب أُلحِقت بعد ذلك ببيئات أسرية متناغمة . (٥٤٢ ، ٥٥٣) هذا بالإضافة إلى مجموعة عريضة من الدراسات التي تؤكد أن تأثير البيئة في المراهقة (٥٥٦) بل والرشد تترتب عليه آثار هامة في السلوك الإجتماعي والعلاقات الإجتماعية . وفي وقتنا هذا ليس هناك من يعتقد أن الشخصية تصبح ثابتة غير قابلة للتعديل أو التغيير في نهاية سنوات ما قبل المدرسة .

والواضح أيضاً ، من الجانب الآخر لنفس القضية ، أن الأسرة الجيدة في السنوات الأولى من الحياة لاتمنع حدوث الضرر من الشدائد النفسية الإجتماعية Psycho-Social Stresses فيما بعد . وهو ما تؤكده العلاقة الواضحة القائمة بين الفقد بالوفاة أو أي أشكال أخرى للفقد وبين حدوث الإكتئاب (٧٦) فالأداء النفسي الإجتماعي الوظيفي ، والنمو النفسي الإجتماعي يمكن أن يتأثر كل منهما بالتغييرات البيئية في أي مرحلة من مراحل الحياة .

ولا معنى للتساؤل حول ما إذا كانت آثار التغييرات البيئية على السلوك أكثر وقعاً في السنوات المبكرة من الحياة عنها في الطفولة اللاحقة . فكثير من هذه الآثار يتوقف على نوع الظروف السيئة ، وعلى نوع المحصلة النفسية الإجتماعية التي نقوم بدراستها . وليس هناك مدعاة لمناقشة الآثار النفسية الإجتماعية لأشكال الحرمان المختلفة دون تحديد لعمر الطفل ومستوى نضجه الإجتماعي . وهكذا فإن الإستجابات السيئة لدخول الطفل المستشفى يتكرر حدوثها في الفترة العمرية ما بين ستة شهور إلى أربعة سنوات (٥٥٤) كذلك فإن استجابات الأسى الشديد في أعقاب الفقد بالوفاة تقل شيوعاً في الطفولة المبكرة ويزداد تكرارها في بداية المراهقة (٥٣٨) .

وتتأثر استجابة الأطفال لحدوث الطلاق بين الوالدين بالعمر الزمني للطفل وقت حدوث ذلك (٦٩٣) والواضح أيضًا أن حساسية الأطفال للأحداث ونوع استجاباتهم تختلف باختلاف مستوى النمو هذا رغم أن البيانات الكافية لتوثيق تفاصيل ذلك ما زالت ناقصة فيما يتعلق بكثير من أنواع الأحداث الضاغطة والشدائد .

وتلقى النتائج السابقة اتفاقًا عامًا ولا جدل هناك حولها . ولكن مع ذلك تبقى هناك عدة تساؤلات رئيسية تتعلق بالآثار بعيدة المدى للخبرات الباكرة على نمو العلاقات الإجتماعية فيما بعد . وأول هذه التساؤلات هو ما إذا كان ينبغي أن يمر الطفل بخبرات معينة خلال مرحلتي الرضاعة وما قبل المدرسة ضمانًا لتقدم النمو الإجتماعي السليم . ولعل أبرز موضوع يمكن فيه فحص هذا التساؤل القائم على فكرة الفترات الحرجة هو علاقات التعلق الإنتقائية التي وجد أنها تنمو ما بين ثلاثة إلى خمسة عشر شهرًا من عمر الطفل إذا سارت الأمور سيرًا طبيعيًا (والأخذ في الإعتبار الفروق الفردية) (٥٥٨) غير أن بولبي (٥٧) ذهب إلى أبعد من ذلك حين أكد أن أولى هذه الروابط ينبغي أن تنمو خلال العامين الأول من حياة الصغير – أو نحو ذلك – إذا كان لعلاقاته الإجتماعية أن تكون طبيعية فيما بعد ، والواضح مدى أهمية هذه الفرضية سواء من الناحية النظرية أم التطبيقية .

ولسوء الحظ ما زالت الأدلة المؤيدة لصحة الفرضية السابقة ضعيفة ، ولكن أفضل البيانات المتوافرة لدينا هي تلك الخاصة بتيزارد وهودجيز Tizard Hodges (٦٧٥) في دراسة لأطفال تم تبنيها في وقت متأخر من الطفولة . وفي هذه الدراسة كان اختبار صحة فرضية الفترات الحرجة على أساس أن هؤلاء الأطفال لم يقيموا أية علاقات تعلق انتقائية خلال مرحلة الرضاعة ، إذ كانوا يتم رعايتهم بدار للإيواء توالي عليهم فيها ما بين خمسين إلى ثمانين قائم بالرعاية من مختلف الأشخاص خلال مرحلة ما قبل المدرسة وعلى هذا النحو فهي بيئة من الأرجح أن تعيق نمو أية روابط تعلق على المستوى الشخصي وفي سن الثانية من أعمارهم كان هؤلاء الأطفال كثيري التشبث بالراشدين ، تنتشر علاقاتهم بين

مختلف الأشخاص بلا تمييز خاص وذلك بمقارنتهم بأطفال نشأت في بيئات أسرية عادية (٦٧٧ ، ٦٨٠) . وفي سن الرابعة كانوا أكثر إلتصاقًا وتشبثًا بالكبار غير أنه لم يبدو عليهم أية مظاهر لسلوك تعلق عميق ، علاوة على أنهم كانوا ودودين مع الغرباء يسعون إلى جذب الإنتباه . وفي سن الثامنة فإن أقل من نصف عدد الأطفال الذين ظلوا بالمؤسسة قيل أنهم يتعلقون بشكل وثيق بأمهات المؤسسة لكنهم كانوا أكثر سعيًا للحب والمودة عن بقية الأطفال الآخرين (٦٧٣ ، ٦٧٥) وفي المدرسة كان هؤلاء الأطفال أكثر سعيًا لجذب الإنتباه ، وأكثر عدم استقرار كما أنهم كانوا غير مطيعين قليلي الشعبية بين أقرانهم . وكل الأدلة السابقة تشير إلى أن عدد قليل جدًا من هؤلاء الأطفال قد أقام علاقة تعلق انتقائية في السنوات الأولى من الحياة .

والسؤال الآن هو ما الذي حدث لنمو العلاقات الاجتماعية لدى أطفال تلك المؤسسة الذين تم تبنيهم عقب انقضاء السنوات الأولى من حياتهم بالمؤسسة ثم عاشوا حياة أسرية عادية بدأت فقط بعد بلوغهم الرابعة من العمر ؟ وفي هذا الصدد هناك نتيجتان تتعلقان تعلقًا مباشرًا بالسؤال السابق ، الأولى هي أن الأطفال الذين تم تبنيهم بعد سن الرابعة أقاموا علاقات تعلق عميقة بوالديهم بالتبني ، ولأن ذلك حدث لأطفال لم تكن لهم أية روابط تعلق بأي شخص حين كانوا بالمؤسسة ، إذن يمكن أن نخلص إلى أنه من الممكن للروابط الأولى الأساسية أن تنمو حتى في عمر متأخر كالرابعة أو السادسة . وهنا يكون الأمر إما أن فرضية الفترات الحرجة غير صحيحة ، أو أن الفترة الحرجة لنمو رابطة التعلق الأساسية تمتد إلى عمر زمني أبعد من ذلك الذي يفترض نموها خلاله .

أما النتيجة الثانية ، فعلى رغم أن الأطفال الذين تم تبنيهم في عمر متأخر قد أقاموا رابطة تعلق بوالديهم بالتبني ، إلا أنهم كانت لديهم بالمدرسة نفس المشكلات الإجتماعية التي ظهرت على الأطفال الذين ظلوا بالمؤسسة . ويبدو أنه رغم إمكان إقامة علاقات تعلق لأول مرة بعد إنقضاء السنوات الباكرة من الطفولة إلا أن النمو الإجتماعي السوي قد يتوقف على تلك الروابط التي

تم اقامتها في السنوات الأولى من الطفولة ، ولأن هؤلاء الأطفال كانوا في الثامنة من أعمارهم عند متابعتهم لآخر مرة لذا لا يمكن لنا أن نقطع بما إذا كان الأمر كذلك . ومع ذلك فالأدلة في هذه النقطة بالذات تتفق مع فرضية أن هناك فترة حساسة للتنشئة ونمو العلاقات الاجتماعية هذا رغم أنه قد لاتكون هناك فترة حرجة بصفة قاطعة لنمو الروابط الوجدانية الأولى .

ولمزيد من الأدلة المتعلقة بفرضية الفترات الحرجة كان ينبغى أن نتجه إلى الدراسات التى تمت على الحيوانات العليا الأدنى من الإنسان والتى أظهرت بشكل مقنع أن القردة التي تربت في عزلة اجتماعية خلال الستة أشهر إلى السنة الأولى من حياتها ( وهو ما يعادل عدة سنوات في نمو الإنسان ) قد فشلت تماماً في إقامة علاقات اجتماعية سوية في الرشد كما ظهر عليها انحرافات عديدة في كل من السلوك الجنسي وسلوك الوالديه فيما بعد (٢٥٦ ، ٥٣٧) وقد استمرت جوانب الشذوذ الإجتماعي حتى الرشد ولا توجد إلا أدلة ضئيلة جداً تشير إلى احتمال حدوث شفاء اجتماعي تلقائي . والبيانات على هذا النحو تؤكد وجود فترات حرجة للتنشئة الإجتماعية السوية وبصفة خاصة أن العزلة الإجتماعية لم يكن لها نفس الآثار الضارة حين حدثت لصغار البالغين من القردة Juvenile (١٣٦) وبمجرد أن تقوم العلاقات الإجتماعية العميقة ويتم التطبيع في بداية الحياة فمن الأرجح ألا تتفكك هذه الروابط بفعل خبرات العزلة فيما بعد . ومع ذلك كان من الضرورى لإختبار مدى صحة فرضية الفترات الحرجة لنمو العلاقات الإجتماعية أن نفعل أكثر من ذلك بأن نحاول أن نشفى جوانب القصور الإجتماعي إذ أن استمرار لا سواء السلوك الإجتماعى إلى مدى طويل قد يكون وظيفة لانعدام الخبرات الإجتماعية الملائمة بعد انقضاء السنوات الباكرة من العمر . وقد قام نوفاك Novak (٤٣٨) بفحص هذا التوقع الممكن عن طريق محاولة اعادة تأهيل القردة التى تربت في عزلة تامة وذلك بعد مضى اثنى عشرة شهراً من انهاء حالة العزلة ، وقد قام بسلسلة من اجراءات علاجية ضمت تعريض هذه القردة «لمعالجين» من صغار القردة لمدة ثمانية شهور (٤٣٩) ثم تنشئتها جماعيًا مع

قردة نشأت نشأة عادية مع أمهاتها (٤٣٨) وقد أظهرت الإختبارات التي أجريت عند بلوغ القردة الثالثة من أعمارها أن مجموعة القردة التي أعيد تأهيلها اجتماعيا بعد العزلة اكتسبت كثير من المهارات الإجتماعية الملائمة بل لم تختلف كثيراً عن مجموعة ضابطة أخرى في كثير من المقارنات التي أجريت بين المجموعتين ، ولكن من الناحية الأخرى ظلت هناك أوجه اختلاف قائمة وبالطبع فإن تقدم الشفاء من الآثار السيئة للعزلة قد يحدث بزيادة الخبرات الإجتماعي ولكن النمط العام للنتائج والذي ظهر لنا حتى الآن يشبه كثيرا ذلك النمط الذي اتضح لنا من الدراسة على أطفال المؤسسات الذين تم تبنيهم في وقت متأخر من طفولتهم ألا وهو حدوث تقدم شفائي كبير لكنه ليس كاملا . ومع كل فلا يمكن القطع بذلك نهائيا وإن كانت الدلالات تشير إلى أنه قد يكون هناك فترة حساسة في بداية الطفولة لنمو علاقات التعلق الأساسية ، وفي ظل الظروف الإجتماعية المواتية فإن هذه العلاقات أو الروابط الأساسية قد تنمو لأول مرة بعد انقضاء تلك الفترة الحساسة ، كما يمكن تحقيق درجة معقولة من الشفاء الإجتماعي ولكن يظل المقبول لنا ( وأن لم يثبت بأدلة قاطعة ) أن التطبيع الإجتماعى السوي لا يحتمل حدوثه كاملا إذا لم يتم اقامة روابط تعلق في المرحلة الباكرة من الطفولة .

وفى الواقع أن البيانات المتاحة عما نفترضة من صلة سببية بين اقامة روابط التعلق وسلامة النمو الإجتماعي اللاحق تعتبر ضئيلة جداً ، ولكن في السنوات القليلة الماضية ( يكتب المؤلف في عام ١٩٨١) كانت هناك بضع دراسات بدأت تتبعاً طولياً لمسار نمو العلاقات الإجتماعية في السنوات الأولى من الحياة (١٧٣ ، ٣٧٥ ، ٤١٠ ، ٦٩٧) وتشير النتائج المبدئية إلى وجود علاقات ارتباط جوهرية بين مدى أمن روابط التعلق في السنتين الأولتين وجوانب العلاقات بالاقران في السنة الثالثة . والنتائج لا تبين ما إذا كانت هذه العلاقات الإرتباطية تمثل علاقات سببية ولكنها تشير إلى نوع من الإستمرار بين روابط التعلق الباكرة وبين العلاقات الإجتماعية اللاحقة بالأقران .

كذلك يثار تساؤل أخر يتعلق بالنمو النفسى الاجتماعي وهو ما إذا كانت الضغوط أو الشدائد الحادة والمؤقتة Acute and transient stresses في الطفولة المبكرة يمكن أن يكون لها آثار دائمة على النمو النفسي ، وقد أثير هذا الإحتمال لما وجدته دراسة مسحية كبرى (١٦١) من نتائج تتعلق بدخول الطفل المستشفى ( دون صحبة أحد والديه ) إذ لم يكن هناك آثار بعيدة المدى لإدخال الطفل المستشفى مرة واحدة لمدة تقل عن أسبوع ، ولكن الآثار السيئة لهذه الخبرة لم تظهر إلا في حالة تعدد مرات انفصال الطفل عن ذويه لتكرار دخوله المستشفى وهو ما يبدو أنه يشير إلى أن الضغوط والشدائد المؤقتة في السنوات الأولى من الحياة قد يترتب عليه آثار قد تمتد إلى الطفولة الوسطى والمراهقة . ولكن ينبغى الحرص قبل أن نقطع بذلك ، ففي المقام الأول هناك كثير من الأطفال يلحقون بالمستشفيات لأسباب اجتماعية (٧٣٣) والإرتباط القائم بين تكرار دخول الطفل المستشفى والآثار السلبية اللاحقة قد يعكس آثارا سيئة لظروف اجتماعية سيئة أكثر مما يعكس ظروف تتعلق بالمستشفى في حد ذاتها أو بخبرة الإنفصال على المدى القصير، وهو ما يمكن أن يفسر جزء من الارتباط القائم بين تكرار دخول الطفل المستشفى في الطفولة المبكرة والاضرابات فيما بعد ، ولكن دراسات أخرى وجدت أن العلاقة تظل قائمة بين المتغيرين حتى بعد عزل تأثير الظروف الأسرية السيئة .



وليس من المؤكد لنا أية ميكانزمات نفسية تعمل في حالة الآثار بعيدة المدى المترتبة على ظروف ضاغطة حادة كخبرة دخول الطفل المستشفى ، فليس من الواضح مثلا لماذا تزيد احتمال الإصابة النفسية فيما بعد بتكرار مرات دخول الصغير المستشفى في حين أن مجرد حدوث ذلك مرة واحدة لا تترتب عليه نفس الآثار . والأمر لا يمكن أن نرجعه إلى مجرد تراكم تأثير خبرتين قاسيتين منفصلتين ، ولكن يبدو أن الخبرة الأولى من شأنها أن تزيد من حساسية الطفل بحيث يصبح من الأكثر احتمالا أن يقاسي في المرة الثانية . كذلك لا ينبغي أن

نعتقد أن مجرد دخول الصغير المستشفى ( انفصال على مدى قصير ) لمدة قصيرة يعمل كخبرة ضاغطة حادة ، فمن بين النتائج الهامة لدراسات الحيوان فيما يتعلق بخبرات الإنفصال هو أن اضطراب صغار القردة في اعقاب الإنفصال إنما يحدث نتيجة لزيادة اضطراب وتوتر علاقة الأم بالصغير ، فالانفصال يمثل واقعة معجلة ( بتشديد الجيم ) بحدوث الإضطراب غير أن المشكلات القائمة والمستمرة في علاقة الصغير بأمه هى في الواقع السبب الرئيسى وراء اضطراب سلوك الصغير فيما بعد (٢٧٣) وربما كان ذلك هو ما يحدث في حالة دخول الأطفال المستشفيات - كخبرة انفصال مؤقت - غير أن هذا الموضوع بحاجة لمزيد من الدراسة وحتي يحدث ذلك فإنا يمكن أن نخلص إلى أن الظروف الضاغطة المنفصلة عن بعضها البعض في بداية الحياة نادراً ما تؤدي إلى اضطراب بعيد المدى ، ولكن تعدد الظروف الضاغة وتكرار حدوثها يمكن أن يؤدي إلى ذلك ، وهذه الأضرار من الأرجح أن تحدث حين تكون هناك ظروف ضاغطة شديدة تمر بالطفل في ظل خلفية أسرية سيئة بشكل مزمن .

أما التساؤل الثانى الذي تناقشه فهو ما إذا كانت ظروف الشدة في السنوات الأولى من الحياة يمكن أن تؤدي إلى اضطرابات نفسية اجتماعية بعد مضي سنوات عديدة لا من خلال تأثيرها المباشر وإنما لكونها تجعل الفرد أكثر قابلية للتأثر بالضغوط والشدائد اللاحقة . ويبدو لنا الرأى القائل بأن خبرة الفرد الأولى بحدث ضاغط قد تغير من استجاباته للأحداث الضاغطة والشدائد فيما بعد مقبول إلى حد بعيد ولكن الأدلة المؤيدة له ما زالت قليله ، إذ وجد أن الأحداث الضاغطة والشدائد الباكرة تزيد من الحساسية لما يحدث من شدائد فيما بعد (٤٨٠) كذلك يشير براون وهاريس Brown & Harris (٧٦) إلى نفس الظاهرة عند تفسيرهم للعلاقة بين الفقد الوالدي ( بالوفاة أو الإنفصال ) في الطفولة والإصابة بالإكتئاب في الرشد وتفسيرهما لذلك هو أن الفقد الوالدي في الطفولة يزيد من شدة حساسية الفرد لخبرات الفقد فيما بعد .

والفرض السابق له أهميته ووجاهته ولكن هناك كثيراً من القضايا المتعلقة به ينبغى حلها قبل أن نقبله تماماً . ففي المقام الأول كانت العلاقات الإحصائية التي تم الحصول عليها بين الفقد في الطفولة والإكتئاب في الرشد علاقات ضعيفة بل وغير متسقة (١٢٧) وقد تناول بولبي مناقشة هذا الموضوع باستفاضة (٥٩) واستناداً إلي حالات فردية اكلينيكية قام بعرض عدة اراء حول « لماذا تزداد حساسية بعض الأطفال في أعقاب حدوث فقد في الطفولة في حين لا يحدث نفس الشئ لأطفال آخرين » وهو يرى أن المسار الذي يتخذه الحداد عقب دوث فقد في الطفولة له أهمية كبرى ، كذلك يتأثر هذا المسار الذي يتخذه الحداد بنمط العلاقات الأسرية قبل حدوث الفقد وبعده ، وحتى الآن فإن الأدلة الامبريقية لإختبار صحة الإقتراضات السابقة ما زالت قليلة جدا (٢٥) أما في المقام الثاني فهناك تساؤل يتعلق بالحالات التى كانت فيها العلاقة واضحة بين حدوث فقد في الطفولة واكتئاب في الرشد ، ويدور هذا التساؤل حول ما إذا كانت هذه العلاقة قد وجدت بفعل ميكانزم وسيط يعتقد أنه يجعل واقعة الفقد المبكر تزيد من قابلية الإصابة من خبرات الفقد اللاحقة (٧٦) وهو تساؤل يظل مفتوحاً أمامنا بشكل لا يمكن القطع فيه برأى رغم كونه ظاهرياً قابل للتصديق .

وقد قامت الدراسات على الحيوان أيضاً بفحص احتمال أن الإنفصال المؤلم في بداية الحياة قد ينشأ عنه زيادة في القابلية للإستجابة بشكل سيئ لخبرات الإنفصال في الحياة فيما بعد (٤٢٢) والنتائج تحتمل أكثر من معنى ولكن يبدو مؤكدا أن ذلك قد يتحقق في بعض الحالات ، بمعنى أن زيادة القابلية للتأثر بالخبرات السيئة الملاحقة تحدث غالباً حين تزداد شدة الإستجابة لأول موقف انفصال مؤلم .

ومن الناحية الأخرى فإذا كان هناك رأى بأن الأحداث الضاغطة والشدائد في الطفولة تزيد من قابلية الإصابة النفسية فيما بعد ، فإن مثل هذه الأحداث والشدائد قد تقلل أيضاً من القابلية اللاحقة للمعاناة فمنذ أكثر من ربع قرن

استطاع ليفين وزملاؤه (٣٩٨) أن يقيموا الدليل على أن صغار الفئران الذين تم تعريضهم مبكراً لصدمات كهربية كانوا أكثر مقاومة لمواقف الشدة فيما بعد ، وقد أيدت هذه النتائج دراسات أخرى فيما بعد كما وجد أن هذه النتائج تنطبق على مجموعة عريضة من الخبرات السيئة في المراحل الأولى من الحياة (٣٠٨) وتفسير ذلك يبدو أنه يستند أساساً على التغييرات التي تحدث في الجهاز العصبي الغددي والتي تهيىء لحدوث استجابات أكثر تكيفًا للأحداث الضاغطة فيما بعد (٣٦٧ ، ٦٩٩) .

وبالطبع فإن المثيرات البغيضة التي تعرضت لها الفئران لأبعد ما تكون عن المحن الإجتماعية التى كنا نناقشها فيما يتعلق بصغار الإنسان ، ولكن هناك أدلة من دراسات أجريت على الإنسان تشير إلى أن الأحداث الضاغطة الحادة التي تصيب الراشدين يمكن أن يكون لها تأثير يزيد من صلابتهم ، وكذلك الأمر بالنسبة للأطفال إذ يبدو أن بعض أشكال خبرات الإنفصال يمكن أن تقي الأطفال من خبرات أخرى شديدة الواقع كتلك الخاصة بدخول المستشفى (٦٤٠) هذا وإن كان لبعضها الآخر تأثير عكسي (٦٨٨) وأغلب الظن أن ما يعنينا هو ما إذا كان الطفل يخرج من أول محنة يتعرض لها بنجاح مع تحسن ميكانزماته للمواجهة والتغلب على الشدائد ، أو تقوية تقديره لذاته ، أو زيادة فاعلية استجاباته الفسيولوجية في مواجهة الضغوط . فإذا كان الأمر كذلك فقد يصبح أكثر مقاومة للشدائد والأحداث الضاغطة ، أما إذا تركته أول محنة عاجزاً ، غير قادر على المواجهة الفعالة أو مصاباً بخلل فسيولوجي ، فقد يصبح حينئذ أكثر قابلية للإصابة والمعاناة أمام الضغط وظروف الشدة .

وتؤدي بنا نتائج الدراسات على الفئران التي وجدت أن التعرض لضغوط حادة مؤقتة في بداية الحياة ترتب عليه آثار فسيولوجية بعيدة المدى إلى تساؤل أخير ينبغى فحصه وهو ما إذا كانت الخبرات الإجتماعية السيئة في السنوات المبكرة من الحياة يمكن أن يكون لها آثار بعيدة المدى على السلوك نتيجة لحدوث

تغيير بنائي أو كيمائي بالمخ ، وهذا التوقع تؤيده ملاحظات عديدة من الدراسات التي تمت على أنواع مختلفة من الحيوان حيث وجد أن الحرمان البصرى في المراحل المبكرة يترتب عليه تغيير ملحوظ في مراكز الإبصار بالقشرة المخية (٥٠١) وأن القصور والإفتقار البيئي للتنبيهات في أوائل الحياة تنشأ عنه تغييرات في كل من كيمياء وأنسجه المخ (٥٢٤) ورغم أن الإقتراح السابق يظل يثير قدراً كبيراً من الإهتمام إلا أن الأدلة السابقة تشير إلى أن هذه الآثار إنما تعقب انعدام خبرات فيزيقية معينة وليس أي نوع من الضغوط أو الشدائد الإجتماعية أو القصور (١٠٩) ولا يمكن استبعاد فكرة أن الخبرات الإجتماعية يمكن أن تحدث تغييراً في تركيب المخ لكنها لا يرجح أن تكون هي الميكانزم الفعال في غالبية الحالات .

وهكذا فقد أحرزنا تقدماً هائلاً منذ تلك الآراء السابقة التي كانت تؤكد على أن خبرات الطفولة الأولى لها تأثير دائم يجعل الشخصية غير قابلة للتغيير بحيث يكون قد فات الأوان حين نحاول أن نصلح من الأخطاء ، ومع ذلك فما زال أمامنا شوطًا طويلاً نقطعه قبل أن نتمكن من تقييم الآثار بعيدة المدى للخبرات المبكرة تقييما كافيا . وقد ثبت لنا أن مرونة الإنسان Resilience وقدرته على استعادة توافقه السليم عقب الشدائد أكبر مما كنا نعتقد قبل ذلك ، ولا شك أن هناك استمرارية بين بداية الطفولة والرشد ، ولكن بقايا آثار الخبرات المبكرة على سلوك الراشد قد تكون طفيفة جدا بفعل كل من خبرات النضج التي تحدث أثناء الطفولة الوسطى والمتأخرة وبفعل الآثار الطيبة والسيئة التي تحدث طوال السنوات التي تعقب المرحلة الأولى من الطفولة . ورغم أن الواضح لنا أن الآثار بعيدة المدى للحرمـان المبكر تتوقف كثيراً على مدى استمرار ذلك الحرمان ، إلا أنه قد يكون سابقاً للأوان أن نخلص إلى أن خبرات الطفولة المبكرة ليست لها أهمية في حد ذاتها ، وهو أمر ما زال جديراً بالدراسة والفحص كما تقل فيه البيانات بشكل مثير للدهشة .

## ٨ - العوامل المؤثرة على الوالدية ومرونة التكيف في وجود الحرمان

منذ السبعينات وحتى الآن تحتل قضية تعاقب دورة الحرمان بين الأجيال مركز الصدارة إذ يتساءل الدارسون ما إذا كان الحرمان في جيل يؤدي إلى مشكلات في الجيل اللاحق .

والموضوع ضخم وواسع وقد قام راتر ومادج Rutter & Madge (٥٦٩) باستعراضه بشكل مستفيض وستقوم هنا بمناقشة أحد جوانبه ذات الأهمية وهى العلاقة بين خبرات طفولة الوالدين وسلوكهم الوالدي فيما تجاه أطفالهم ، وهو ما سنقدمه كجزء من موضوع أكثر اتساعاً يتعلق بالعوامل المؤثرة على السلوك الوالدي ، وقد ظل الإكلينيكيون لسنوات طويلة يحثون الأباء والأمهات على التعامل مع أطفالهم على هذا النحو أو ذاك ولكن الإهتمام لم يركز إلا حديثاً على القضية الخاصة بأى الخبرات تؤثر على سلوك الوالدين تجاه أطفالهم ، وعلى نمط رعايتهم الوالدية . وفي هذا الصدد تبرز لنا خمسة متغيرات رئيسية هى خبرات الطفولة الخاصة لكل من الوالدن ، والأحداث في الفترة اللاحقة للولادة ، وخصائص الطفل وصفاته ، والخبرة السابقة في تربية الأطفال ، وسياق البيئة الإجتماعية الأكثر اتساعاً .

### العوامل المؤثرة على الوالدية :

خبرات الطفولة وسلوك الوالدين :

ظهر من عديد من الدراسات المستقلة (٥٦٩) أن الأشخاص الذين نشأوا في أسر تعيسة أو مفككة من الأكثر احتمالا أن يكون لهم أطفالا غير شرعيين ، وأن

تكون زيجاتهم تعسة ، وأن تنتهي هذه الزيجات بالطلاق . وعلى ذلك وجد (٣١٦) في دراسة على عينة مكونة من ثلاثة آلاف سيدة بمدينة (أبردين) وضعت كل منهن طفلاً للمرة الأولى ، أن السيدات اللاتي كن أنفسهن نتيجة لعلاقة غير شرعية ، أو اللاتي انفصل والديهن بالطلاق . كان من الأرجح أن يكون أطفالهن أيضاً نتيجة لعلاقة غير شرعية . وهو نفس ما وجدته دراسة على المستوى القومى في بريطانيا (١٢٦) كما وجد ولكند Wolkind (٧٢٧) وزملاؤه أن النساء اللاتي سبق أن انفصلن عن أحد والديهن أو كلاهما في طفولتهن أكثر إحتمالا عن غيرهن لأن يحملن وهن ما زلن مراهقات وأن ينجبن طفلهن الأول سفاحاً وأن يعانين من مشكلات سيكياترية في بداية الرشد . وعلاوة على ما سبق أظهرت عدة دراسات مختلفة (٢٤٦ ، ٣٥٧ ، ٦٩٢) أن من كان زواج والديهم غير سعيد هم أكثر احتمالا عن غيرهم لأن يسوء توافقهم الزواجى أو تنتهى زيجاتهم بالطلاق . وفي دراستين تتبعيتين لأطفال بالتبنى وجد أن معدل انهيار الزواج لديهم كان أضعاف أضعاف معدله في المجتمع العام (٤١٢ ، ٤١٣) .

وقد وجدت دراسات أخرى متنوعة (٦٣٢) أن الآباء والأمهات الذين يقسون على أطفالهم بالضرب المبرح من الأرجح أن كانت لهم أنفسهم طفولة مضطربة يسودها الإهمال أو الرفض أو القسوة والعنف ، وهى نتيجة تكرر ظهورها في دراسات من مختلف البلدان بما في ذلك انجلترا (٢٢٦ ، ٥٩٩ ، ٦٢٥) وأيرلندا (٣٨٠) والولايات المتحدة الأمريكية (٤٥٢ ، ٦٤٥) وقد كانت العلاقة التى تكرر ظهورها في هذه الدراسات بين القسوة على الأطفال والطفولة المضطربة علاقة قوية فقد كان نصف عدد الآباء والأمهات ، بل وأحياناً ثلاثة أرباع عدد الذين عانوا كأطفال من تربية أسرية تعيسة يسيئون معاملة أطفالهم وتتسم علاقاتهم بهم بالرفض والقسوة أو العنف . ومع ذلك فقد كان من بين هؤلاء الآباء والأمهات أقلية لم يكن لها خلفية أسرية سيئة في طفولتها ، بل أن بعض هذه الحالات كان لها طفولة عادية . ومن الضرورى أن تضع في الإعتبار أن العلاقات التى نحصل

عليها في مثل هذه الدراسات تزداد قوة بصفة خاصة إذا كانت طبيعة الدراسة ومنهجها استرجاعي وليس مستقبلي ، بمعني أن معظم من يسيئون إلى أطفالهم بالضرب المبرح كانت لهم أسر تعيسة ينعدم فيها الدفء وتسودها القسوة أحياناً ، ولكن من المحتمل أيضاً أن يكون هناك نسبة ضئيلة من صغار هذه الأسر هم من يسيئون لأطفالهم عندما يكبرون . أما من حيث ما إذا كان كثير من هؤلاء الذين يسيئون لأطفالهم يعانون من إضطرابات الشخصية فإن الأمر يظل غير مؤكد في مدى العلاقة بين المتغيرين ، والواضح أن هناك حلقات وصل بين خبرات الطفولة وسلوك الوالدية فيما بعد ، رغم أن هذا الموضوع بحاجة لمزيد من الدراسة لتحديد مدى قوة هذه العلاقة والميكانزمات التى تنطوى عليها .

ولدينا دراسات ثلاث ينبغي أن نذكرها بصفة خاصة في هذا المجال . فقد كان فرومر وأوشي Frommer & Oshea أول من قاما بالربط بين خبرات طفولة الوالدين وأنماط رعايتهم لأطفالهم أثناء مرحلة الرضاعة . وقدوجدا أن النساء اللاتي نشأن في أسر مفككة كن أكثر احتمالا لأن يتركن صغارهن الرضع يبكون ليذهبن مثلاً لتناول الغذاء . كما أن معظم هؤلاء الأمهات حملن للمرة الثانية في نفس السنة التي كن قد وضعن أطفالهن فيها .

أما ولكند وزملاؤه Wolkind (٧٢٦) فقد قاموا بدراسة أحداث الطفولة السابقة لأنماط الوالدية كجانب من دراسة مستقبلية prospective للأمهات البريطانيات وأول طفل لهن وذلك في مدينة لندن بانجلترا . وقد تم الحصول على بيانات هذه الدراسة من خلال المقابلة الشخصية والملاحظة المباشرة لتفاعل الأمهات مع أطفالهن في البيوت باستخدام فنيات دقيقة للملاحظة الموضوعية المنظمة. وقد وجد أن الأمهات اللائي سبق أن عانين من انفصال أو طلاق الوالدين أو وفاة أحدهما أو كلاهما كنّ أقل حديثا مع أطفالهن وأقل التفاتا لهم بمقارنتهن بأمهات كانت أسرهم عادية سليمة كما أن تلك الأمهات قل أن يعتبرن الطفل بعد خمسة شهور من ميلاده شخص مستقل له حاجاته المتفردة . والواضح أن خبرات الأم في طفولتها ترتبط بسلوكها كأم فيما بعد .

وقد ركزت دراستي كوينتون وراتر Quinton & Rutter (٤٨١ . ٤٨٢) بصفة خاصة على طبيعة خبرات الطفولة التي يمكن أن تؤدي إلى اضطراب الوالدية فيما بعد . وقد تم مقارنة مجموعة الأسر التي وضعت اطفالها تحت رعاية السلطات المحلية للمرة الثانية نظراً لخطورة المشكلات التي تتعرض لها بمجموعة أسر من المجتمع العام شبه متجانسة معها في المستوى الإجتماعى الإقتصادى . وقد كانت الأسر التي وضعت أطفالها تحت رعاية السلطات المحلية أعلى بكثير من مجموعة المقارنة في متوسط المشكلات الإجتماعية النفسية واتساع مدى هذه المشكلات بحيث أصبح واضحاً أن هذه النتائج تنسحب فقط على مشكلات الوالدية حين تمثل جانباً من اضطرابات متعددة أسرية ، واجتماعية وسيكياترية . ومشكلات الوالدية من هذا النوع عادة ما تظهر مرتبطة بخلفية من المحن والأحداث الضاغطة الشديدة في الطفولة . وقد وجد مثلاً أن ٢٥ ٪ من الأمهات الاتي تركن أطفالهن لرعاية السلطات كن قد وُضعن أيضاً وهن صغيرات تحت رعاية مماثلة . هذا مقابل نسبة قدرها ٧٪ فقط من الأمهات في المجموعة الضابطة . كذلك فقد بلغت نسبة من قاسين من الإنفصال عن الوالدين نتيجة المنازعات أو الرفض ٤٠ ٪ ممن وضعن أطفالهن تحت رعاية السلطات مقابل نسبة ١٤ ٪ فقط في مجموعة المقارنة . وبالطبع ففي حالات كثيرة ارتبطت الخبرات السيئة في طفولة الأمهات باجرام أحد الوالدين أو كلاهما وباضطرابهم العقلي بحيث يمكن القول بأن حلقات الوصل بين الأجيال قد تكون وراثية أكثر من كونها متعلقة بالخبرة ، ومع ذلك فرغم أن العوامل الوراثية يمكن أن تكون قد لعبت دوراً في استمرار دورة الإساءة إلا أن مزيد من التحليل أظهر أن الفروق بين المجموعتين في كم الشدائد والضغوط في الطفولة ظلت جوهرية حتى حين لم تكن هناك انحرافات أو اضطرابات في الأجداد . ودلالات ذلك أن الخبرات ذات الطابع السيىء كانت هى المتغير الوسيط الحاسم . كذلك كان الواضح أن مشكلات الوالدية ضمن سياق من المشكلات الأسرية الخطيرة الأخرى - نادراً ما تظهر

في عدم وجود خبرات سيئة في الطفولة . ولكن من الناحية الأخرى كان المثير للدهشة أن المجموعة الضابطة كانت تشيع فيها أيضاً خبرات طفولة سيئة - وإن كانت أقل تكراراً بالمقارنة بالمجموعة الأخرى - ويترتب على ذلك أنه لا بد وأن يكون هناك أشخاص يمرون في طفولتهم بخبرات حرمان شديدة القسوة ومع ذلك يصبحون راشدين يتمتعون بدرجة معقولة من سلامة الأداء النفسي . وهذه القضية الهامة التي تتعلق بالمرونة وسهولة التكيف في مواجهة الشدائد والأحداث السيئة سيتم فحصها فيما بعد .

**أحداث فترة ما بعد الولادة :**

هناك بعض خبرات للحرمان يعتقد أنها تؤثر في سلوك الوالدية وهي تلك التي تتعلق بالأحداث أثناء الأيام القليلة التي تعقب الولادة . وقد ازداد اهتمام أطباء الأطفال في العقد الماضي بمدى أهمية فترة المهد علي نمو الروابط بين الأم والطفل وعلي سلوك الأم بشكل عام نحو طفلها (٣٣٨) وقد تركز الإهتمام بصفة خاصة على الإعتقاد بأن الآثار السيئة إنما هي نتيجة لفصل الأم عن وليدها عقب حدوث الولادة . وقد أظهر بعض الدارسين (٣٣٨ ، ٤٩٩) أن عدم الإلتصاق والتلامس البدني بين الأم ووليدها في الساعات الأولى عقب الولادة قد يكون له آثار سيئه على الرعايه الأمومية أثناء الشهور اللاحقة إذ يبدو أن التلامس والتلاصق بالإحتضان بين الأم والوليد يزيد من الإتصال المتبادل بينهما فيما بعد . ومثل هذه النتائج لها أهميتها وإن كانت بعض الآراء المتعلقة بمدي أهمية الساعات الأولى عقب الولادة في انماء علاقة التعلق بين الأم والوليد لا تدعمها الأدلة الأمبريقية . ويركز الجدل في هذا الموضوع على أربعة نقاط رئيسية هي : مدى استمرار تأثير ذلك التلاصق بالحمل أو بالاحتضان ، وأي جوانب الرعاية الوالدية يتأثر بذلك في أعقاب الولادة ووجود فترة حساسة ، والميكانزمات وراء ذلك. وقد وجد كلاوس وكينيل Klaus & Kennel (٣٣٨) تغييرا يستمر لمدة طويلة بعض الشئ في تفاعل الأم ووليدها وذلك في مجموعة من الأمهات من المستويات

الإجتماعية غير المحظوظة . وقد أكدا أن مجرد اضافة ساعات قليلة من الإلتصاق البدنى بين الأم ووليدها خلال الأيام القليلة التي تعقب الولادة كان له آثار طيبة علي السلوك الأمومي استمرت لعدة سنوات . ولكن نتائج الدراسات الأخرى في نفس الموضوع لم تأت مخالفة للنتائج السابقة فحسب بل أن زعمهما بوجود آثار تستمر لمدى طويل كان يستند على أسس غامضة لم توضحها الدراسة . وعلى ذلك فإن التغيير الحادث في سلوك الأم بعد سنة من ميلاد الطفل لم يتم ملاحظته إلا في موقف واحد فقط من مواقف سبعة كان يتم ملاحظة الأمهات فيها (٣٣١) كذلك عند مقارنة الأمهات اللائي تم الفصل بينهن وبين أطفالهن في فترة ما بعد الولادة مباشرة مع مجموعة أخرى لم يتم فصلها عن وليدها عقب الوضع وذلك في جوانب سلوكهن وتفاعلهن مع الصغار بعض مضي عام لم تكن الفروق بين المجموعتين فروقًا ذات أهمية اللهم إلا أن الأمهات اللائي كن قد تم الفصل بينهن وبين صغارهن بعد الولادة كن أقل لمساً لأطفالهن (٣٦٤) علاوة على ما وجدته دراسة أخرى (٧١١) أن تأثير انفصال الأم عن الوليد عقب الولادة مباشرة على سلوك الأم سرعان ما يزول . كذلك فإن مجموعة باحثي جامعة كولورادو لم تجد أن إطالة مدة التلامس البدني بين الأم والوليد لها أي تأثير على سلوك الأم فيما بعد (٦٦١) أو على سلوك الأب (٤٥١) . وتشير الأدلة في مجملها أن انفصال الأم عن الطفل في الفترة اللاحقة على الولادة مباشرة قد يكون له تأثير على سلوك الأم قد يستمر عدة شهور قليلة لكنه لا يستمر أطول من ذلك في العادة . وليس الواضح لنا وجود أية عوامل تزيد من امكان استمرار ذلك التأثير ولكن ينبغى أن نضع في اعتبارنا أن الآثار بعيدة المدي للفترة اللاحقة للولادة مباشرة سواء في الدراسات الإسترجاعية (١١٥) أم المستقبلية (٣٣٨) لم تظهر إلا في مجموعات الطبقات الدنيا والتي تشيع فيها مشكلات عديدة أخرى . وليس من المرجح أن يكون لأحداث عقب الولادة أية آثار بعيدة لا يمكن تحاشيها على علاقة الأم بالصغير ولكن حين تجتمع الصدمات الباكرة مع الظروف السيئة الدائمة فمن الأرجح أن هناك أضرار دائمة فيما بعد .

أما فيما يتعلق بأى جوانب الوالدية يتأثر بانفصال الأم عن وليدها عقب الولادة فإن كلاوس وكينيل Kkaus & Kennel يعتقدان أنه الخاص بتكون الروابط الوجدانية وعلاقات التعلق (٣٣٨) ولكن ذلك أمر تجانبه الدقة العلمية لأن دراساتهما لم تضم أي اجراءات قياس لتحديد قوة علاقات التعلق الإنتقائية القائمة بين الطفل والأم (٣٦٢ ، ٤٩٩ ) كذلك فرغم أن بعض الدارسين (١٤٠) قد وجدوا فروقاً في سلوك الوالدية وفقاً لمدي الإلتصاق البدني أو التلامس بين الأم والوليد في مجموعات الأمهات اللاتي يضعن طفلاً لأول مرة Primiparous إلا أن نفس الفروق لم تظهر بين هذه المجموعة ومجموعة أخرى من الأمهات اللاتي تكررت مرات ولادتهن Multiparous . ويبدو أن خبرات الفترة اللاحقة للولادة مباشرة قد يكون لها تأثير عام على الوالدية ، وليس تأثير نوعي خاص على عملية إقامة الروابط بين الأم والطفل . وعلى ذلك يكون من الأكثر دقة أن نفحص هذا التأثير وفقاً لنمط تفاعل الأم بالطفل ذلك لأن الفروق في أنماط التفاعل قد يكون لها دلالات فيما يتعلق بنوعية الوالدية ولكن مثل هذا التأمل النظري ينطوى على عدة فروض لم يتم التحقق منها حتى الآن .

وقد أشار البعض (٢٤٧) إلى أن الساعات التالية للولادة تمثل فترة حساسة لتكون الروابط الوجدانية بين الأم ووليدها ويسير كلاوس وكينيل Klaus & Kennel(٣٣٨) في نفس الإتجاه مستخدمين أمثلة مؤيدة من دراسات الحيوان تبين أن الأمهات في بعض الأنواع لا تتقبل صغارها إذا تم فصل هؤلاء الصغار عن الأمهات في الفترة اللاحقة للولادة مباشرة . ومثل هذا الإتجاه في التفسير به عديد من المغالطات . فكما سبق أن لاحظنا فإن أدوات القياس على الإنسان لا تحدد عملية إقامة الروابط . كما أن الإعتقاد في أن الساعات الأولى عقب الولادة تمثل فترة حساسة لا يتفق مع نتائج الدراسات التي أكدت أن الوالدين بالتبني يقيمون علاقات وثيقة بأطفالهم بالتبني رغم أنه لم يكن لهم مع هؤلاء الأطفال أي نوع من الإتصال أو التلامس عقب ميلادهم مباشرة (٦٧٣) وبالطبع فإن الأيام

القليلة التي تعقب ميلاد الطفل قد يكون لها أهميتها الخاصة بالنسبة للأم لأسباب نفسية اجتماعية (٤٩٩) أو لأسباب هرمونية (٥١٩) أو قد يكون الأمر أن روابط التعلق تنمو بشكل أسرع في أعقاب الولادة مباشرة ، ولكن الواضح أن كلا من الأمهات والآباء يمكن أن يقيموا علاقات تعلق قوية – بل هو ما يحدث فعلاً – بأطفالهم حتى في عدم وجود هذا الإتصال المباشر الوثيق بالطفل عقب ولادته مباشرة .

أما القضية الجدلية الأخيرة المتعلقة بأحداث ما بعدالولادة مباشرة فتتعلق بمدى تأثير انفصال الأم عن الصغير مباشرة بعد الولادة على سلوك الأم ، وما موقف بعض مستشفيات الولادة التي تحرم على الأمهات تلامس جلدها بجلد صغيرها Skin to Skin عقب مولده (٤٩٩ ، ٥٥٤) ويمكن قبول فكرة أن عملية نمو العلاقات بين الوالدين والطفل تتأثر بخبرات حديث العهد بالولادة لكنه من غير المقبول أن يكون التلامس أو التلاصق البدني بين الوليد وأمه في حد ذاته يمثل عاملاً حاسماً في نمو تلك العلاقة . ويبدو أن الضرر قد ينشأ عن التأثير الواقع على اتجاهات الأم ومشاعرها نتيجة منعها من الوصول إلى طفلها ( وليس مجرد أن تلمسه أو تحمله ) وعن المخاوف المترتبة على وضع الصغير في حجرة خاصة للرعايه وعن القيود التى تفرضها مثل هذه المستشفيات على التفاعل التلقائي بين الأم والطفل . وعلاوة على ذلك فإن العوامل السابقة لا يترتب عليها ما يضير بعلاقة الأم والوليد إلا حين يكون الفصل بين الأم ووليدها نتيجة ظروف خاصة كنقص وزن الوليد عن المعدل العادي لوزن الأطفال مما يتطلب رعاية خاصة (١١٥) والأمر لا يرجع على ما يبدو إلى كم الإلتصاق والتلامس بين الأم والوليد أو إنفصالهما وإنما إلى معنى ذلك الإنفصال بالنسبة للأم وما إذا كان يشكل جانباً من الخبرات والظروف السيئة التي قد تحيط بالأم والطفل وفترة ما بعد الولادة . ويمكن أن نخلص إلى أن كثيرا من الدلالات النظرية القائمة على دراسات تفاعل الأم بالوليد في الفترة اللاحقة على الولادة سابقة

لأوانها إن لم تكن خاطئة . كذلك فإن المزاعم باحتمال وجود آثار دائمة نتيجة لأحداث الساعات الأولى عقب الولادة وأشكال التفاعل بين الأم والوليد فيها لم تجد ما يؤيدها . ومن الناحية الأخرى فإن هذا المجال البحثي كانت له ولا شك أهمية في جذب الإهتمام إلى بعض المتغيرات التي قد تؤثر على نمو العلاقة بين الوالدين والطفل وفي إبراز حقيقة أن بعض الإجراءات بمستشفيات الولادة ( عزل الطفل عن الأم في حجرة منفصلة بعد الولادة مباشرة ) تحمل امكانية إحداث بعض الخلل في سلوك الوالدية . ومهما كانت التحفظات على بعض الآراء المتطرفة إلا أن هناك أسباباً كثيرة نستنتج منها أن الخبرات في الفترة اللاحقة للولادة قد يكون لها على الأقل بعض الآثار قصيرة المدى على الوالدية ، كما لا تنصح المستشفيات عموماً بمنع الإتصال باللمس أو الإحتضان بين الأم والوليد في فترة المهد .

**صفات الطفل :**

تعتبر صفات الطفل العامل الثالث المؤثر في الوالدية وفقا لما أكده الكثيرون (٢٨ ، ٢٩ . ٣٠ ، ٢٣٣ ، ٣٥٥) ويتاح لنا الآن كثير من الأدلة العلمية على أن كلام الراشد مع الطفل وحديثه معه يتأثر بالمهارات اللغوية الخاصة بالطفل الذي يتم التفاعل معه (٢١٢ ، ٤٦٩ ، ٦١٢ ، ٦٢٦ ، ٦٣٥ ) وقد أظهرت نتائج أوسوفسكي وأوكونيل Osofsky & O'connel (٤٤٩) أن التحكم التجريبي في درجة إعتمادية الأطفال ترتب عليه تغيير في سلوك الوالدين . كما وجد أيضاً أن صفات الوليد الجديد لها تأثير واضح على استجابة الوالدين (٧٨ ،٣٧ ، ٤٤٨) .

كذلك وجد أن جنس الطفل له تأثير كبير على السلوك الوالدي ، فالوالدين وبصفة خاصة الآباء يلعبون بشكل أكثر خشونة مع أبنائهم الذكور عما يفعلون مع بناتهم ، وهذه المعاملة الفارقة تبدو منذ العام الأول من الحياة ، كما يعاقب الوالدين أبناهم الذكور بشكل أكثر قسوة لكنهم يجدون من الصعب عليهم أحيانا

معاقبة بناتهم (٣٩٢) ومن الصعب تحديد إلى أي مدى يمكن أن ترجع هذه الفروق لما للوالدين من اعتقادات حول الذكور والإناث ، وإلي أي مدى يمكن أن ترجع إلى اختلافات في الخصائص السلوكية لكل من الذكور والإناث . وقد أظهرت إحدى الدراسات الجيدة (٦٢٤) كيف أن الآراء والإعتقادات المسبقة للوالدين تؤثر في سلوكهم تجاه أطفالهم . فقد تكونت عينة هذه الدراسة من اثنين وثلاثين سيدة وضعن مولودهن للمرة الأولى ، وطلب منهن اللعب مع أحد أربعة أطفال تم اطلاق أسماء مستعاره عليهم كذكور أو كإناث كما تم إلباسهم كذكور أو إناث بغض النظر عن جنسهم البيولوجي . وقد ارتبط سلوك السيدات تجاه الأطفال بما إذا كانت تتصور أن الطفل ذكرا أم أنثي أكثر مما ارتبط بجنس الطفل بيولوجيا أو بما إذا كانت قد وضعت في مولودا ذكراً أو أنثي . ومن الناحية الأخرى من المحتمل أن يكون التأثير على سلوك الوالدين نابع من الفروق بين الجنسين في سلوك المولود ذلك لأن المعاملة الوالدية الفارقة وفقاً لجنس الصغير قد سجلتها أيضاً الدراسات على القردة العليا . فالقردة التي تعرضت للعزل الشديدة تميل لأن تصبح أمهات رافضة غير مبالية بمولودها غير أن هذا السلوك كان أكثر وضوحاً تجاه الذكور من المواليد كما أن الأمهات من القردة كن أكثر استخداما لأساليب الإيذاء البدنى لصغارهن من الذكور ( ٥٣٧) .

**الخبرة السابقة بالأطفال :**

يأتي التأثير الرابع على الوالدية من الخبرة السابقة بالأطفال وقد اتفقت نتائج عديد من الدراسات ، استخدمت أكثر من منهج واحد ، علي أن الوالدين يستجيبون لمولودهم الأول بطريقة تختلف عن تلك التى يستجيبون بها لأطفالهم التالية له في الترتيب ( ١٠٧ ، ٢٩٠ ، ٣١٨ ، ٣٥٨ ، ٣٧٢ ، ٥٢٩ ، ٦٦٤ ) فالوالدين عادة ما تكون علاقتهم بطفلهم الأول على قدر كبير من التفاعل المكثف ، وهم يبدون تجاهه سلوكا اجتماعيا يتسم بمزيد من المحبة والتقبل والرعاية . كذلك فهم أكثر قلقا بشأنه وأكثر ضبطاً له . أما الأطفال التالية للأول فعادة ما يكون

الوالدين أكثر اتساقاً معهم وأقل قلقا بشأنهم وأقل عقاباً لهم لكنهم مع ذلك أقل اهتماماً بهم وأقل حوارا معهم . وهذه الإختلافات قد تعكس في جزء منها فروقا في صفات الأطفال أنفسهم ، إذ وجدت فروقاً في جوانب السلوك بين الأطفال الأول والأطفال التي تأتي في ترتيب تلي للأول (٦٩١) كما وجد فروقاً أيضاً في النواحي الفسيولوجية ( الهرمونات ) ولكن ليس من المرجح أن يكون ذلك هو كل ما في الأمر .

ويظهر تأثير الخبرة السابقة في الأمومة على السلوك تجاه الأطفال في الدراسات التى قامت بها جامعة ويسكنسين Wisconsin على قردة الريزوس التى تعرضت لعزلة إجتماعية مريرة في بداية حياتها . وحين بلغت الرشد بدا عليها كثير من أشكال السلوك الجنسي الشاذ كما صرن إما أمهات رافضات لصغارهن الأول أو غير مباليات بهم . ولكن هذه القردة نفسها تحسن سلوكهن تجاه صغارهن بعد انقضاء فترة على الولادة كما أصبحن أمهات أفضل حين أنجبن صغيرهن الثاني ومن توالي بعده من صغار (٢٦١) ويبدو أن الخبرات فيما بعد مع الصغار تتيح تحسنا للمساوئ التى نشأت عن العزلة الإجتماعية في بداية الحياة (٤٣٩ ، ٦٦٠) .

## السياق الإجتماعي :

تتأثر الوالدية أيضاً بكل من السياق الإجتماعي المباشر والبيئة الإجتماعية الأكثر اتساعاً ، فالوالدين يسلكان بطريقة مختلفة وفقاً للمكان الذى يقومان فيه بتربية أطفالهما ونوع المنزل الذي يقيمان فيه ، وقد وجد (٤٨٢) زيادة لمشكلات الوالدية في حالة وجود مشكلات أو صعوبات تتعلق بمكان الإقامة ، كما يتأثر تفاعل الوالدين بأطفالهم بمن يوجد من أشخاص أخرى في موقف التفاعل فمثلاً وجد (١٠٥) أن الأمهات يسلكن بطريقة مختلفة تجاه أطفالهن ( ما بين سنة من أعمارهم إلي سنتين ونصف ) وفقاً لما إذا كان الأب موجوداً معهن في نفس

المكان أم غير موجود . أما تأثير السياق الإجتماعي الأوسع على الوالدية فقد أبرزته دراسة راتر وكوينتون Rutter & Quintan (٥٧٢) على أسر من المجتمع العام لها أطفال في العاشرة من أعمارهم . وقد وجد أن المنازعات الزوجية والإكتئاب كانا أكثر شيوعاً بين نساء الطبقة العاملة في الأحياء المزدحمة داخل المدن ، هذا رغم أن الأمر يظل غير واضح فيما يتعلق «بلماذا» ، «وكيف» أن الحياة داخل المناطق المزدحمة بالمدن تثير ضغوطاً علي الأسرة وعلى الوالدية (٥٦٠) كذلك كانت صعوبة تربية الأطفال بالنسبة للنساء من ذوى المكانة الإجتماعية الدنيا أمر واضح في دراسات لندن التي أجراها براون Brown (٧٥) وزملاؤه . كما أن الدراسات عبر الثقافية ( ٥١٦ ، ٧٠١ ) قد أكدت أن الأمهات اللائي يبقين وحيدات بالمنازل مع أطفالهن طوال اليوم دون وجود شخص آخر يمكن أن يشارك في مهام رعاية الأطفال كن أكثر رفضاً لأطفالهن وأقل دفئا سواء من حيث سلوكهن أم اتجاهاتهن . ورغم أنه ينبغي توخي الحذر من استنتاج علاقات سببية من تلك المقارنات إلا أن هناك أساس جيد للإعتقاد بأن السياق البيئي العام المحيط بالوالدية له أهمية كبرى (٧١) وأن البيئة الإجتماعية الأكثر اتساعاً تؤثر فعلا علي سلوك الوالدية حتي رغم أن تفصيلات ذلك التأثير ما زالت غامضة أمامنا .

## المرونة وسهولة التكيف في وجود الحرمان والظروف السيئة :

القضية الأخيرة التي نناقشها في هذا الكتاب هى تلك المتعلقة بسهولة التكيف أو لماذا لا يستسلم بعض الأطفال أمام الحرمان والظروف السيئة . وقد أوضحت جميع الدراسات على الأطفال الذين يتعرضون لظروف بالغة الشدة أن هناك تنوعاً كبيراً في الإستجابة لهذه الظروف . بل وحتى في ظل أبشع الظروف الأسرية ، وأكثر الخبرات شدة ووقعاً نجد هناك أشخاص يخرجون من كل ذلك دون أن يصيبهم الأذى . كما يبدو نمو شخصياتهم مستقرا بل وسليما (٥٥٥) وهى ملحوظة قديمة قائمة ومؤكدة . ولكن في السنوات القليلة الماضية بدأنا نواجه التحدي ونتساءل لماذا يحدث ذلك ؟ كيف يختلف هؤلاء الأطفال الذين يرتفعون

فوق حد الظروف السيئة والحرمان ؟ وما هى العوامل الواقية لهم في ظروف الشدة . وما هى الظروف المخففة من وطأة الحرمان ؟ وحتى اللحظة الراهنة لا يتاح لنا إلا قليل من الإجابات لهذه التساؤلات ولكن فى الفترة الأخيرة ازداد الإهتمام بهذه المشكلة ، ومن المحتمل أن العقد القادم سيشهد تطوراً هائلاً فى هذا المجال من مجالات دراسة الحرمان ( يكتب المؤلف في بداية الثمانينات وقد شهدت السنوات الأخيرة كما هائلاً من الدراسات التي تفحص العوامل الواقية في مواجهة الشدائد والأحداث الضاغطة ) وسنفحص فيما يلى العوامل المخففة من تأثير خبرات الحرمان فيما يتعلق بجانب واحد فقط من جوانب هذا الموضوع وقد تم اختيار الشقاق الأسرى وعدم التناغم كجانب تتوافر فيه البيانات البحثية ، ويمكن فحص العوامل الواقية تحت ستة نقاط رئيسية هى تعدد الشدائد والأحداث الضاغطة ، تغيير الظروف المحيطة . عوامل تتعلق بالطفل نفسه . عوامل تتعلق بالأسرة ، مهارات المواجهة الفعالة والتغلب Coping Skill ، عوامل من خارج الأسرة .

تعدد الشدائد والأحداث الضاغطة :

كانت أول النتائج المثيرة فيما يتعلق بالعوامل المخففة من تأثير خبرات الحرمان هو أن الضغوط أو أحداث الشدة المنفصلة التي تحدث فرادي لا تحمل مخاطر سيكياترية تذكر . ففي دراسة على أسر عادية لها أطفال في العاشرة من أعمارهم (٥٧٤) وجد أن هناك ستة متغيرات أسرية ( بما فيها الخلافات الزوجية) ترتبط بقوة ودلالة عالية بالإضطراب النفسية للأطفال . ولكن حين تم فصل الأسر التي تمر بواحد فقط من هذه الظروف الضاغطة وجد أن أياً من هذه المتغيرات على حده - بعد عزله عن بقية المتغيرات الأخرى - لا علاقة له بالإضطرابات لدى الأطفال ، بمعنى أن خطورة الإصابة بالإضطرابات النفسية

لم تزداد بصورة واضحة لدي أطفال الأسر التي تعاني من أحد الظروف الضاغطة المزمنة بمقارنتهم بأطفال أسر تخلو ظروفها من أي من المتغيرات التي تزيد من إحتمال حدوث الإضطراب . ولكن خطورة الإصابة بإضطراب كانت أعلى كثيرا لدي الأسر التي إجتمع لديها متغيرين ضاغطين ثم إزدادت أضعاف أضعاف حين إجتمع للأسرة أربعة متغيرات ضاغطة .والواضح وجود تأثير تراكمي للشدائد والأحداث الضاغطة إذا مااجتمع عدد منها في الجو الأسري بشكل مزمن .

وهذا التأثير الضار -حين يؤدي وجود حدث شديد الوقع إلي زيادة الضرر الناشئ عن ضغوط أو شدائد أخرى - قد سبق ملاحظته في عدد من المواقف ، فمثلا وجد أن أطفال الأسر شديدة الحرمان كانوا أكثر عرضة للتأثر بشكل سلبي سيئ من تكرار خبرة دخول بالمستشفى(٤٨٠) وينطبق نفس الشئ على التفاعل بين تأثير العوامل البيولوجية والعوامل الإجتماعية ، إذ وجد في العقد الماضي (١٦٨) أن أثر نقص وزن الوليد عند الميلاد على الذكاء كان ملحوظا إلى أقصى درجة في الأطفال الذين اجتمعت لهم عدة ظروف اجتماعية سيئة ، وهو ما تم التحقق منه ففي دراسة أكثر حداثة (٥٧٧) وفي دراسات تتبعية للأطفال (٧٠٢ ، ٧٠٣) .

ومن الضروري أن نضع في الإعتبار أن هناك تأثيرًا متبادلا بحيث أن أي ظروف شدة أو ضغوط سواء بيولوجية أم إجتماعية من شأنها أن تزيد من احتمال حدوث أخرى ، وهكذا كان أطفال الأسر التي تشتد فيها جوانب الحرمان أكثر عرضة - دون غيرهم - لتكرار دخول المستشفيات (٤٨٠) كذلك فوجود مواقف ضاغطة مزمنة من شأنه أن يزيد من معدل توالي مواقف ضاغطة أخرى حادة متعددة .

## تغيير الظروف :

تتعلق هذه القضية بمدي التأثير الذي يحدثه تغيير الظروف الأسرية في

التخفيف من الآثار الضارة لجوانب الحرمان وبصفة خاصة في مجال الشقاق الأسري . بمعني إلى أي مدى يمكن أن يتحسن توافق الأطفال إذا ما قلت أو توقفت الظروف السيئة ؟ وقد سبق أن ناقشنا المزايا التي تتحقق من تغيير البيئة في الطفولة الوسطى وذلك عند عرضنا لفكرة الفترات الحرجة أو الحساسة في فصل سابق . وقد تم فحص هذا الموضوع بدراسة أطفال إنفصلت عن أسرها في الطفولة المبكرة نتيجة لمشكلات وخلافات أسرية (٥٤٢) وقد وجد داخل هذه المجموعة التي مر جميع أفرادها من الأطفال بأحداث ضاغطة شديدة الوقع في بداية طفولتهم أن هؤلاء الذين استمرت لهم الحياة في ظروف أسرية سيئة كان تكرار حدوث الإضطرابات النفسية بينهم أعلى بكثير بمقارنتهم بالمجموعة التي تحسنت ظروفها بزوال المنازعات الأسرية .

فتغيير الظروف الأسرية إلي الأفضل يصاحبه إنخفاض في خطورة حدوث إضطرابات سيكياترية وعموما إتضح بشكل مباشر في ملاحظة أن اضطرابات الأطفال يترقف زيادتها أو إنخفاضها عند إنفصال الوالدين بالطلاق على ما إذا كان الطلاق يحسن أم يزيد الظروف الأسرية سوءا (٢٨٧ ، ٦٩٣) .

**عوامل تتعلق بالطفل نفسه :**

تعتبر العوامل الهامة في تعديل إستجابة الطفل لظروف الحرمان هي جنس الطفل وخصائصه المزاجية ، وخلفيته الوراثية .

ومن المعروف جيدا أن الذكور أكثر قابلية للإصابة أمام المخاطر والضغوط العضوية بمقارنتهم بالإناث (٥٤١) وهذه الحساسية للمخاطر والقابلية للإصابة تنطبق أيضا في مجال الضغوط والشدائد النفسية الإجتماعية . وهو ما يظهر بشكل واضح فيم يتعلق بالخلافات الأسرية وعدم التوافق الزواجي حيث أكدت جميع الدراسات تقريبا إرتباطها بمشكلات السلوك لدي الأبناء الذكور بصفة خاصة . وقد ظهرت تلك الفروق بين الجنسين في دراسات واسعة في بريطانيا

على أطفال يعاني وآلداهم أو أحدهما من أحد الإضطرابات العقلية (٥٤١ ، ٧٢٨) كذلك إتضحت نفس الفروق في دراسة أمريكية على أطفال من المرضى (٤٦٤) وعلى أطفال إنفصل والداهم بالطلاق (٢٨٨) وتأيدت أيضا على أطفال من أسر عادية في المجتمع العام (٤٧) وفي دراسة طولية (٧٠٤) .

ولكن هذه الحساسية وقابلية الإصابة الخاصة بالذكور لاتنطبق على جميع أشكال الظروف السيئة والحرمان ، لذا لم تكن هذه الفروق بين الجنسين واضحة في أطفال نشأوا بالمؤسسات الإيوائية (٧٢٥) . وما زالت الأسباب غامضة وراء زيادة إحتمال اضطراب الذكور في ظل الظروف الأسرية التي يسودها الشقاق والنزاع ، ولا يمكن أن يكون كل ما في الأمر أن الأمهات هن اللائي يقمن بحضانة الأطفال في ظروف الشقاق وأعقاب الطلاق بحيث ينعدم أمام الذكور من الأبناء النموذج من نفس الجنس بينما لا يحدث نفس الشئ بالنسبة للإناث ذلك وفقا لتفسير هوايت هيد Whitehead (٧١٠) ذلك لأن معظم الدارسين قد وجدوا نفس الفروق بين الجنسين في أطفال الأسر التي يسودها النزاع لكنها تستمر دون حدوث الطلاق بين الوالدين (٤٧ ، ٤٦٤ ، ٥٤١ ، ٧٠٤) ومع ذلك فالنتائج لاينبغي أن نفسرها فقط بوجود فروق أساسية وفقًا للجنس في قابلية المعاناة والإضطراب تحت وطأة الأحداث الضاغطة والشدائد . (وإن كان ذلك يبدو إحتمالا مؤكدا) ولكن ينبغي أن نأخذ في الإعتبار أن هذه الفروق قد ترجع إلى أهمية وجود الوالدين معا بالنسبة للذكور أو إلى إختلاف معاملة الوالدين للذكور والإناث خلال فترة النزاعات والصراعات الأسرية ، أو إلى أن الإناث تنمي أساليبا أفضل لمواجهة مثل هذه الظروف الضاغطة (٤٧ ، ٤٦٤) والأمر بحاجة لمزيد من الدراسات لتحديد لماذا أن كون الطفل أنثى يمكن أن يكون عاملا واقيا حين تمر الأسرة بالشقاق أو النزاع .

كذلك تعتبر الخصاص المزاجية للطفل عاملا حاسما ، فقد وجد باستخدام المقابلة الشخصية (٦٦٦) أن الأطفال الذين كانت تضطرب دوراتهم البيولوجية

(النوم ، الأكل) والذين كانت تكثر حالاتهم المزاجية السلبية بالإضافة إلى نقص المرونة ، كانوا أكثر الأطفال قابلية للإصابة بالإضطرابات السيكياترية (٢٤٣) ووجود عاملين من العوامل السابقة المميزة لخصائص الطفل المزاجية كان كافيا لحدوث هذه الإضطرابات خلال الأعوام الأربعة التالية بنسبة تصل إلى ثلاثة أضعاف حدوث هذا الخطر في وجود عامل واحد فقط . ولعل السبب وراء زيادة خطر الإصابة بالإضطراب في حالة سوء المزاج الطبيعي للطفل يرجع جزئيا إلى تأثير الخصائص المزاجية للطفل على معاملة الوالدين له (٥٥٣) فقد وجد أن الوالدين يكثرون من النقد لأطفالهم ذوي الخصائص المزاجية السلبية ، بمعنى أن الخصائص المزاجية السلبية تجعل الطفل أكثر عرضة للإنتقادات والتأنيب من قبل والديه . وعلى ذلك فإن الخصائص المزاجية للطفل قد تقل أو قد تزيد من خطورة ما يترتب على المنازعات الأسرية من إضطراب نظرا لما لها من تأثير على نوعية التفاعل القائم بين الوالدين والطفل ، ففي وجود شقاق أسري واضح فإن إيجابية الخصائص المزاجية للطفل قد تقيه من كثير من الصراع ، ومثل هؤلاء الأطفال وصفتهم أمهاتهم في إحدي الدراسات الطولية على أنهم «محبين» «هادئين» «إيجابيين» «نشطين» ، (٧٠٤) .

ويلعب التفاعل بين العوامل الوراثية وعوامل البيئة دورا فيما يتعلق بالعوامل الواقية من آثار الحرمان ، وهو ما أكدته النتائج التي أوضحت أن آثار النزاع الزواجي كانت أكثر وقعا على الأطفال الذين يعاني أحد والديهم من إضطراب سيكوباتي طال أمده (٥٤٢) وقد يظهر تأثير العوامل الوراثية وغير الوراثية بصورة أكثر وضوحا في حالة أطفال التبني فمثلا وجد أن انحراف سلوك الأطفال كان أكثر شيوعا حين كان كل من الأب البيولوجي والأب بالتبني من ذوي السوابق . ولكن معدل انحراف الأطفال كان أعلى حين كان الأب البيولوجي وحده من ذوي السوابق الإجرامية بمقارنتهم بالأطفال الذين كان ذوي السوابق هو الأب بالتبني فقط . والدلالات هنا هي أن العوامل الوراثية تجعل الأطفال أكثر عرضة

للتأثر أو الإصابه في الظروف البيئية السيئة غير المواتية . في حين أن الظروف البيئية السيئة وحدها تكون أقل وقعا على الأطفال الذين ليس لديهم إستعداد وراثي Genetically susceplible ، وقد أيدت نتائج كراو Crowe (١٢٨) ما سبق ، ولكن ينبغي الأخذ في الإعتبار أن النتائج السابقة مازالت بحاجة إلى إعادة تحقق منها وبصفة خاصة وأنها تمت على عينات صغيرة العدد كما أن بعض الفروق التي سجلتها لم تكن فروقا جوهرية من الناحية الإحصائية ، وعلى كل فالمؤشرات الحالية تتجه إلى إعتبار أن النمو لا تتفاعل فيه المؤثرات الوراثية والبيئية فحسب بل أن كلاً منها يعدل ويغير من تأثير الآخر بزيادة تقدم النمو .

## عوامل تتعلق بالأسرة :

حتى الآن تركز معظم الدراسات التي تمت على الأسرة على الجوانب السلبيةَ ويقل الإهتمام بفحص الجوانب الإيجابية التي من شأنها أن تقي من الظروف والأحداث السيئة الضاغطة . ومع ذلك فهناك دراسات رائدة وجدت (٥٤٢ ، ٥٥٥) أن العلاقة الطيبة بأحد الوالدين تعمل كعامل واق للأطفال التي تنشأ في ظروف أسرية تعسة . فالأطفال التي كان لها علاقة واحدة طيبة بأحد الوالدين في ظل ظروف أسرية سيئة كانوا أقل إحتمالا لأن يعانوا من إضطرابات السلوك Conduct Disorders بمقارنتهم بهؤلاء الذين كانت علاقاتهم سيئة بكلا الأبوين في نفس الظروف السيئة . وتتفق نتائج الدراسات القليلة المتاحة على تأكيد ما للعلاقة الطيبة بأحد الوالدين من تأثير واقٍ حين تسوء الظروف الأسرية (١١٧ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦) غير أن دراسة مستقبلية أكثر حداثة (٢٨٨) وجدت أن العلاقة ينبغي أن تكون طيبة على نحو خاص حتى يستمر مالها من تأثير واق ، وأن تكون بين الطفل والوالد الذي يعيش معه بعد حدوث الطلاق . وقد وجد أيضاً (٥١٣) أن الأطفال من أبناء الأسر المفككة من المستوى الإجتماعي الأدنى يقل كثيرا إحتمال أن

يتسربوا من المدارس إذا كانوا يقيمون مع أحد أجدادهم وفي ظل هذه الظروف يبدو لنا أن الأسرة الممتدة تهيىء إستقرار ومساندة في ظل ظروف سيئة غير مستقرة . كذلك فالأطفال الذين يحافظون على سلامة أدائهم النفسي في مثل هذه الظروف هم عادة من لهم مصادر مساندة ودعم انفعالي داخل الأسرة وخارجها (٧٠٤) كما أن سهولة ومرونة التكيف Resilience في ظل الظروف السيئة تقوى في تلك الأسر التي يكون لها هيكل بنائي ثابت كما تتضح فيها القواعد والتعليمات . وفي دراسة ببريطانيا على الأسر متعددة المشكلات وجد أن الإشراف الحازم الدقيق على الأطفال إرتبط بانخفاض إحتمال حدوث الجناح . ويمكن أن نخلص إلي أن الأمر لا يتوقف فقط على حسن العلاقات بين الطفل وأحد والديه ووجود مصادر دعم ومساندة إنفعالية كعوامل واقية في مواجهة الأزمات وظروف الشدة وإنما على ترجمة الإتجاه للإهتمام والرعاية إلى بيئة أسرية واضحة الهيكل لها قواعد مفهومة واضحة وبها إشراف فعال وقد وجد أن كلا الجانبين - جانب الرعاية والإهتمام وجانب القواعد وفعالية الإشراف - تتصف بهما كل من الأسر الجيدة والمدارس ذات الفاعلية (٥٧٠) .

وحتى اللحظة الراهنة فإن النتائج لا تتيح لنا إلا مؤشرات قليلة هنا وهناك لكن الميكانزمات وراء ذلك مازالت غامضة كما يحتمل تنوعها بشكل كبير . وما يعنينا هو أنه حتى في ظل أسوأ الظروف الأسرية ، قد يكون هناك بضعة عوامل «طيبة» قد تفعل الكثير أمام التأثير السيئ للتفكك وسوء التوافق أما كيف يحدث ذلك فمازال أمراينبغي تحديده .

## مهارات واجهة الفعالة والتغلب Coping Skills :

يعتبر لوي مورفي Lois Murphy (٤٣١ ، ٤٣٢) من أوائل الذين أكدوا على مدى أهمية الإستراتيجيات التي يتبعها الأطفال للمواجهة الفعالة

للتحديات ومصادر التهديد ، وفي الفترة الأخيرة قام عدد من الكتاب بإحياء هذا الموضوع مرة أخرى (١٢ ، ١١٠ ، ٤٢٤) وإن كانت تكتنفه عديد من المشكلات النظرية والمنهجية المتأصلة في دراسة موضوع مثل المواجهة الفعالة والتغلب على المشكلات (١١١) كما لا تتاح الأدلة الأمبريقية التي تبين لنا الإستراتيجيات المختلفة التي يتبعها الأطفال لمواجهة الضغوط والمشكلات بشكل فعال .

وكحدس شخصي في هذا الموضوع ، يبدو أن التكيف أو سوء التكيف في أعقاب الحرمان والظروف الضاغطة إنما يتوقف جزئيا على الطريقة التي يستجيب بها الشخص لمثل هذه الظروف السيئة . ولكن هل يتوقف الأمر على قيام الشخص بشيء إيجابي لمواجهة التهديد ؟ أم أنه يتوقف على أي الإستراتيجيات تستخدم المواجهة ؟ وهل هناك بصفة عامة إستراتيجيات فعالة وأخرى غير فعالة أم أن مدى فاعليتها تتوقف على الفرد نفسه أم الفرد والموقف معا ؟ وهذه التساؤلات وكثير غيرها مازالت مفتوحة أمام الدراسات للإجابة عليها مستقبلا . والواضح أن بعض أنماط الاستجابة للحرمان لا تجدي كثيرا ذلك لأنها تستبدل مشكلة بمشكلة أخرى فمثلا إذا نظرنا إلى دراستي كوينتون وراتر Quinton & Rutter (٤٨١ ، ٤٨٢) الإسترجاعيتين للأمهات اللائي أودع أطفالهن بالمؤسسات نتيجة لظروف أسرية خطيرة ، نجد أن هؤلاء الأمهات بمقارنتهن بمجموعة ضابطة ، كن من الأرجح أن ينتمين أنفسهن إلى أسر تعيسة مليئة بالشقاق ، بل وقد تزوجن في سن مبكرة خلال سنوات المراهقة هروبا من وضع سيئ ولا يدهشنا إذن أن هذه الزيجات التي تمت كحل للخروج من مشكلات طفولة تعيسة قد ثبت عدم صلاحيتها وفشلها . ولكن هل هناك استراتيجيات أخرى للمراجهة يمكن أن تقوي سلامة الأداء النفسي عند مواجهة الشدائد والأحداث الضاغطة وإذا كان الأمر كذلك فلماذا ، وكيف ؟ وفي الوقت

الحالي ليس بإمكاننا أن نبت بآراء مؤكدة في هذا الموضوع ولكن الإهتمام البحثي ينبغي أن يركز على احتمال وجود مهارات فعالة للمواجهة يتم اكتسابها قد تساعد على حماية الطفل من وطأة الحرمان والظروف البيئية السيئة.

**عوامل من خارج الأسرة :**

في النهاية ينبغي أن نذكر أن هناك عوامل واقية من خارج الأسرة فهناك أولا تأثير المدرسة حيث وجد في دراسة تمت بمدارس لندن الثانوية أن بعض هذه المدارس كان أكثر نجاحا من البعض الآخر في دفع النمو السليم للأطفال دون وجود مشكلات إنفعالية أو سلوكية خطيرة (٥٤٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧٤) فأطفال الأسر التي تسوء أحوالها أو تلك التي يسودها النزاع والشقاق كانوا من الأرجح أن يقل لديهم ما يعانونه من مشكلات إذا ما ألحقوا بمدارس جيدة فعالة الأداء . ولأسباب كثيرة واضحة فإن هذا التأثير الواقي كان ملحوظا فيما يتعلق بسلوك الأطفال في المدرسة ، ولكن يبدو فعلا وإلى حد كبير أن الخبرات الطيبة التي يمر بها الطفل في المدرسة من شأنها أن تعدل من الآثار السيئة للخبرات الضاغطة الشديدة التي يمر بها الطفل داخل إطار الأسرة .

كذلك أظهرت دراسات أخرى أن هناك فروقا جوهرية بين المدارس المختلفة في نسب غياب التلاميذ ، وإضطرابات السلوك ، والجناح ، بل وحتى في عدد الذين يمكنهم الحصول على عمل بعد التخرج (٥٧٠) وعلاوة على ذلك لم تكن هذه الفروق راجعة إلى الإجراءات الخاصة بالإنتقاء المبدئي للتلاميذ ، وإنما هي بفعل تأثير المدرسة . وعلى كل فالمدرسة ذات الأداء الوظيفي الفعال لا تتوقف على المباني ، أو على حجمها ، أو ما هو متاح لها من تمويل وإنما بالأحرى هناك شئ ما خاص بها كمؤسسة إجتماعية ،

وهذه الملامح الخاصة تضم البيئة التي تضع توقعات عاليه - لكنها مناسبة- للأداء والتي يتوافر بها حسن إدارة للجماعات ، وتغذية راجعة للأطفال مع استخدام جيد للثناء والمديح والقدوة الحسنة في السلوك من جانب المعلمين إلى جانب ظروف سارة تحيط بسير العمل ووضع التلاميذ موضع الثقة والمسئولية (٥٧٠) .

أما العوامل الأخرى التي يمكن أن تخفف - أو تضاعف - من آثار الظروف السيئة فلعل أوضحها هي المنطقة التي تعيش فيها الأسرة . فقد وجد أن معدلات الإضطرابات السيكياترية في أفراد الأسر التي تعيش بمناطق شعبية مزدحمة داخل المدن الكبرى كانت أعلى بكثير عنها لدي الأسر التي تعيش في مدن صغيرة أو ريفية (٥٦٦) وهي نتائج تم إعادة التحقق منها في دراسة أكثر حداثة (٣٥٩) ومن الضروري أن نحدد ما تنطوي عليه الحياة داخل المدن الكبرى - في المناطق المزدحمة - من ضغوط وظروف قاسية ، كذلك من الضروري - وبنفس درجة الأهمية - أن نحدد ما الذي يجعل بعض المدن خالية نسبيا من آثار الضغوط الشديدة على الأداء النفسي لمواطنيها حيث وجدت عدد من الدراسات أن بعض المدن الصناعية تنخفض فيها معدلات الإضطراب (٣٢٣ ، ٥٣٩) فهناك الحاجة لمعرفة ما الذي يجعل مثل هذه المدن مختلفة عن مدن مماثلة أخرى .

وتلخيصا لهذا الموضوع الخاص بالعوامل الواقية من ظروف الحرمان ، فقد بدأ يتضح أمامنا أن هذه العوامل يمكن أن تفعل الكثير لمساندة النمو الطبيعي حتى في أسوأ الظروف . وحتى الآن فإن المعرفة بهذه العوامل مازالت محدودة جدا ولكن إذا كان لهذه المعرفة أن تتسع فلا شك أنه سيكون لها دلالات هامة تتعلق بالسياسات العلاجية والوقائية .

# الخلاصـــة

في النهاية ، فقد شهدت السنوات الثمانية ما بين ١٩٧٢ ، ١٩٨٠. تراكما مستمرا للأدلة العلمية التي تبين مدى أهمية الحرمان والظروف السيئة كمؤثرات شديدة الوقع على النمو النفسي للطفل ، وقد تأكدت صحة كثير من الآراء الأصلية التي أثارها بولبي (٥١) في هذا الموضوع ولكن تبين لنا أيضا أن مصطلح الحرمان ينطوي على مجموعة عريضة غير متجانسة من المساوئ والظروف القاسية التي تؤثر على النمو من خلال عدة ميكانزمات نفسية وعلى ذلك فإلي الحد الذي يمكن به إعتبار الحرمان عاملا سببيا فإن زملة أعراض المحنة أو المعاناة النفسية الحادة التي تمر بالطفل عند إدخاله المستشفى أو دور الحضانة الداخلية قد ترجع جزئياً إلى تدخل خبرات الإنفصال المؤقت هذه في سلوك التعلق ، كما ترجع جزئيا إلى أثر البيئة الغريبة على الطفل والمثيرة لخوفه ، أما حدوث الاضطراب عند العودة إلى المنزل بعد إنقضاء مدة الانفصال فيرجع جزئيا إلى الآثار السيئة التي يحدثها الإنفصال على العلاقة بين الوالدين والطفل . ومن حيث التأخر العقلي في أعقاب حدوث الانفصال فمن الأرجح أنه يرجع إلى نقص أو إنعدام الخبرات الملائمه ذات المعنى . أما مشكلات السلوك فهي إلى حد كبير إستجابة للشقاق الأسري والظروف الأسرية السيئة في حين أن إنعدام المشاعر السيكوباتي فهو نتيجة لإضطراب في تكوين روابط التعلق الباكرة . وقد أكدت الدراسات الحديثة أنه رغم كون الإنفصال خبرة شديدة الوقع ، إلا أنه في حد ذاته ليس العامل الحاسم في كثير من أشكال الحرمان المختلفة . كذلك أظهرت الدراسات مدى أهمية قيام علاقات بين الطفل وأشخاص آخرين غير أمه ، كما تكرر ظهور نتائج تؤكد أن كثير من

الأطفال لا تضار بالحرمان حيث هناك كثير من العوامل التي تعدل من آثار الخبرات السيئة .

كذلك ، ففي إعادة التقييم الحالية لمفهوم «الحرمان من الأم» تم إعادة فتح ملف القضية القديمة المتعلقة بالفترات الحرجة من النمو ومدى الأهمية الحاسمة للسنوات الأولى من الحياة على النمو اللاحق . وقد جاءت الأدلة هنا قاطعة تؤكد أن الخبرات في جميع (مع التأكيد على كلمة جميع) المراحل لها تأثير وأهمية ، ومع ذلك فقد يكون الأمر أن السنوات الخمس الأولى لهم أهمية خاصة بالنسبة لتكوين روابط التعلق والنمو الإجتماعي اللاحق .

وفي هذا التحديث برزت قضايا جديدة إحتلت مقدمة الإهتمام العلمي ، ومن الأرجح أن يستمر تأثيرها على تفكيرنا وعلى سياستنا التطبيقية وهي أولا : التركيز على طبيعة التفاعل المتبادل بين الوالدين والطفل ، ثانيا : الإهتمام الشديد بالعلاقة بين خبرات الطفولة الخاصة بالوالدين وسلوكهم الوالدي تجاه أطفالهم ، ثالثا : تقدير مدى أهمية العوامل من خارج الأسرة (سواء تأثير البيئة العامه على الأداء الوظيفي للأسرة أم أهمية خبرات المدرسة على نمو الطفل) ورابعا : محاولة دراسة العوامل الواقية التي تتيح للأطفال النمو بشكل سليم برغم الشدائد والظروف السيئة . فقضية «الحرمان من الأم» ما زالت مصدراً لدراسات جديدة مجدية ، ومفاهيم جديدة وتناولات نظرية جديدة .

# المــراجـع


1. ACHESON, R. M. (1960), 'Effects of nutrition and disease on human growth', in J. M. Tanner (ed.), *Human Growth*, Pergamon.
2. AINSWORTH, M. D. (1962), 'The effects of maternal deprivation: a review of findings and controversy in the context of research strategy', in *Deprivation of Maternal Care: A Reassessment of its Effects*, World Health Organization, Geneva.
3. AINSWORTH, M. D. (1963), 'The development of infant–mother interaction among the Ganda', in B. M. Foss (ed.), *Determinants of Infant Behaviour*, vol. 2, Methuen.
4. AINSWORTH, M. D. (1964), 'Patterns of attachment behaviour shown by the infant in interaction with his mother', *Merrill-Palmer Q.*, vol. 10, pp. 51–8.
5. AINSWORTH, M. D. (1967), *Infancy in Uganda: Infant Care and the Growth of Attachment*, Johns Hopkins Press, Baltimore, Md.
6. AINSWORTH, M. D. (1969), 'Object relations, dependency and attachment: a theoretical review of the infant–mother relationship', *Child Devel.*, vol. 40, pp. 969–1025.
7. AINSWORTH, M. D. (1973), 'The development of infant–mother attachment', in B. M. Caldwell and H. N. Ricciuti (eds.), *Review of Child Development Research*, vol. 3, University of Chicago Press, Chicago.
8. AINSWORTH, M. D., and BELL, S. M. (1969), 'Some contemporary patterns of mother–infant interaction in the feeding situation', in A. Ambrose (ed.), *Stimulation in Early Infancy*, Academic Press, New York.
9. AINSWORTH, M. D., BELL, S. M., and STAYTON, D. J. (1974), 'Infant–mother attachment and social development: socialization as a product of reciprocal responsiveness to signals', in M. P. M. Richards (ed.), *The Integration of a Child into a Social World*, Cambridge University Press.
10. AINSWORTH, M. D., and WITTIO, B. A. (1969), 'Attachment and exploratory behaviour of one year olds in a strange situ-

ation', in B. M. Foss (ed.), *Determinants of Infant Behaviour*, vol. 4, Methuen.

11. Andry, R. G. (1960), *Delinquency and Parental Pathology*, Methuen.
12. Antonovsky, A. (1979), *Health, Stress and Coping*, Jossey-Bass, San Francisco.
13. Apley, J., Davies, J., Davis, D. R., Silk, B. (1971), 'Non-physical causes of dwarfism', *Proc. Roy. Soc. Med.*, vol. 64, pp. 135–8.
14. Arsenian, J. M. (1943), 'Young children in an insecure situation', *J. abnorm. soc. Psychol.*, vol. 38, pp. 225–49.
15. Asher, E. J. (1935), 'The inadequacy of current intelligence tests for testing Kentucky mountain children', *J. genet. Psychol.*, vol. 46, pp. 480–86.
16. Bach, G. R. (1946), 'Father-fantasies and father-typing in father-separated children', *Child Devel.*, vol. 17, pp. 63–80.
17. Baers, M. (1954), 'Women workers and home responsibilities', *Int. Lab. Rev.*, vol. 69, pp. 338–55.
18. Bakwin, H. (1949), 'Emotional deprivation in infants', *J. Pediat.*, vol. 35, pp. 512–21.
19. Bandura, A. (1969), 'Social-learning theory of identificatory processes', in D. A. Goslin (ed.), *Handbook of Socialization Theory and Research*, Rand McNally, New York.
20. Barnett, S. A., and Burn, J. (1967), 'Early stimulation and maternal behaviour', *Nature*, vol. 213, pp. 150–52.
21. Barraclough, B., and Nelson, B. (1971), 'Marriage and suicide', paper presented at Annual Conference of Society for Psychosomatic Research, London, 1971.
22. Barry, W. A. (1970), 'Marriage research and conflict: an integrative review', *Psychol. Bull.*, vol. 73, pp. 41–54.
23. Bateson, P. P. (1966), 'The characteristics and context of imprinting', *Biol. Rev.*, vol. 41, pp. 177–211.
24. Beaumont, W. (1833), *Experiment and Observations on the Gastric Juice and the Physiology of Digestion*, F. P. Allen, Plattsburg.
25. Bebbington, P. (1980), 'Causal models and logical inference in epidemiological psychiatry', *Brit. J. Psychiat.*, vol. 136, pp. 317–25.
26. Becker, W. C. (1964), 'Consequences of different kinds of parental discipline', in M. L. Hoffman and L. W. Hoffman (eds.), *Review of Child Development Research*, vol. 1, Russell Sage Foundation, New York.
27. Bell, R. Q. (1964), 'The effect on the family of a limitation in

coping ability in a child: a research approach and a finding', *Merrill-Palmer Q.*, vol. 10, pp. 129–42.

28. BELL, R. Q. (1968), 'A reinterpretation of the direction of effects in studies of socialization', *Psychol. Rev.*, vol. 75, pp. 81–95.
29. BELL, R. Q. (1971), 'Stimulus control of parent or caretaker behaviour by offspring', *Devel. Psychol.*, vol. 4, pp. 63–72.
30. BELL, R. Q. (1974), 'Contributions of human infants to care-giving and social interaction', in M. Lewis and L. A. Rosenblum (eds.), *The Effects of the Infant on its Caregiver*, Wiley, New York.
31. BELL, R. W., and DENENBERG, V. H. (1963), 'The interrelationships of shock and critical periods in infancy as they affect adult learning and activity', *Anim. Behav.*, vol. 11, pp. 21–7.
32. BELL, S. M., and AINSWORTH, M. D. S. (1972), 'Infant crying and maternal responsiveness', *Child Devel.*, vol. 43, pp. 1171–1190.
33. BELSKY, J., and STEINBERG, L. D. (1978), 'The effects of day care: a critical review', *Child Devel.*, vol. 49, pp. 929–49.
34. BENDER, L. (1947), 'Psychopathic behavior disorders in children', in R. M. Linder and R. V. Seliger (eds.), *Handbook of Correctional Psychology*, Philosophical Library, New York.
35. BERGER, M., and PASSINGHAM, R. E. (1972), 'Early experience and other environmental factors: an overview', in H. J. Eysenck (ed.), *Handbook of Abnormal Psychology*, 2nd edn, Pitman.
36. BERNSTEIN, B. (1961), 'Social class and linguistic development: a theory of social learning', in A. H. Halsey, J. Floud and C. A. Anderson (eds.), *Education, Economy and Society*, Free Press.
37. BERNSTEIN, B. (1965), 'A socio-linguistic approach to social learning', in J. Gould (ed.), *Social Science Survey*, Penguin.
38. BERNSTEIN, B. (ed.) (1972), *Class, Codes and Control: Applied Studies towards a Sociology of Language*, Routledge & Kegan Paul.
39. BERNSTEIN, B., and YOUNG, D. (1967), 'Social class differences in conceptions of the uses of toys', *Sociology*, vol. 1, pp. 131–40.
40. BILLER, H. B. (1971), *Father, Child and Sex Role: Paternal Determinants of Personality Development*, Heath, Lexington.
41. BINGHAM, W. E., and GRIFFITHS, W. J. (1952), 'The effect of different environments during infancy on adult behaviour in the rat', *J. comp. physiol. Psychol.*, vol. 45, pp. 307–12.
42. BIRCH, H. G., and GUSSOW, J. D. (1970), *Disadvantaged Children: Health, Nutrition and School Failure*, Grune & Stratton.
43. BIRTCHNELL, J. (1969), 'The possible consequences of early parent death', *Brit. J. med. Psychol.*, vol. 42, pp. 1–12.
44. BLANCHARD, M., and MAIN, M. (1979), 'Avoidance of the attach-

ment figure and social-emotional adjustment in day-care infants', *Devel. Psychol.*, vol. 15, pp. 445-6.

45. BLEHAR, M. C. (1974), 'Anxious attachment and defensive reactions associated with day care', *Child Devel.*, vol. 45, pp. 683-692.

46. BLEHAR, M. C., LIEBERMAN, A. F., and AINSWORTH, M. D. S. (1977), 'Early face-to-face interaction and its relation to later infant-mother attachment', *Child Devel.*, vol. 48, pp. 182-94.

47. BLOCK, J., BLOCK, J., and MORRISON, A. (1980), 'Parental agreement-disagreement on child-rearing orientations and gender-related personality correlates in children', *Child Devel.* (in press).

48. BOHMAN, M. (1970), *Adopted Children and Their Families: A Follow-Up Study of Adopted Children, Their Background, Environment and Adjustment*, Proprius, Stockholm.

49. BONIFACE, D., and GRAHAM, P. (1979), 'The three-year-old and his attachment to a special soft object', *J. Child Psychol. Psychiat.*, vol. 20, pp. 217-24.

50. BOWLBY, J. (1946), *Forty-Four Juvenile Thieves: Their Characters and Home-Life*, Baillère, Tindall & Cox.

51. BOWLBY, J. (1951), *Maternal Care and Mental Health*, World Health Organization, Geneva.

52. BOWLBY, J. (1958a), 'The nature of the child's tie to his mother', *Int. J. Psychoanal.*, vol. 39, pp. 350-73.

53. BOWLBY, J. (1958b), *Can I Leave My Baby?*, National Association for Mental Health.

54. BOWLBY, J. (1961), 'The Adolf Meyer lecture: childhood mourning and its implications for psychiatry', *Amer. J. Psychiat.*, vol. 188, pp. 481-97.

55. BOWLBY, J. (1962), 'Childhood bereavement and psychiatric illness', in D. Richter, J. M. Tanner, Lord Taylor and O. L. Zangwill (eds.), *Aspects of Psychiatric Research*, Oxford University Press.

56. BOWLBY, J. (1968), 'Effects on behaviour of disruption of an affectional bond', in J. D. Thoday and A. S. Parkes (eds.), *Genetic and Environmental Influences on Behaviour*, Oliver & Boyd.

57. BOWLBY, J. (1969), *Attachment and Loss: I. Attachment*, Hogarth Press.

58. BOWLBY, J. (1973), *Attachment and Loss: II. Separation, Anxiety and Anger*, Hogarth Press.

59. BOWLBY, J. (1980), *Attachment and Loss: III. Loss, Sadness and Depression*, Basic Books, New York.

60. BOWLBY, J., AINSWORTH, M. D., BOSTON, M., and ROSEN-

BLUTH, D. (1956), 'The effects of mother–child separation: a follow-up study', *Brit. J. med. Psychol.*, vol. 29, pp. 211–47.

61. BOWLBY, J., and PARKES, C. D. (1970), 'Separation and loss within the family', in E. J. Anthony and C. M. Koupernik (eds.), *The Child in His Family*, Wiley, London.
62. BRADLEY, R. H., and CALDWELL, B. M. (1976), 'Early home environment and changes in mental test performance in children from 6 to 36 months', *Devel. Psychol.*, vol. 12, pp. 93–7.
63. BRADLEY, R. H., CALDWELL, B. M., and ELARDO, R. (1979), 'Home environment and cognitive development in the first two years; a cross-lagged panel analysis', *Devel. Psychol.*, vol. 15, pp. 246–50.
64. BRANDIS, B., and HENDERSON, D. (1970), *Social Class, Language and Communication*, Routledge & Kegan Paul.
65. BRAZELTON, T. B., TRONICK, E., ADAMSON, L., ALS, H., and WEISE, S. (1975), 'Early mother–infant reciprocity', in R. Porter and M. O'Connor (eds.), *Parent–Infant Interaction*, Ciba Foundation Symposium 33 (new series), Associated Scientific Publishers, Amsterdam.
66. BRIDGER, W. H., and BIRNS, B. (1968), 'Experience and temperament in human neonates', in G. Newton and S. Levine (eds.), *Early Experience and Behavior*, C. C. Thomas, Springfield, Ill.
67. BRODBECK, A. J., and IRWIN, O. C. (1946), 'The speech behaviour of infants without families', *Child Devel.*, vol. 17, pp. 145–56.
68. BRONFENBRENNER, U. (1961), 'Some familial antecedents of responsibility and leadership in adolescents', in L. Petrullo and B. M. Bass (eds.), *Leadership and Interpersonal Behavior*, Holt, Rinehart & Winston, New York.
69. BRONFENBRENNER, U. (1968), 'Early deprivation in mammals: a cross-species analysis', in G. Newton and S. Levine (eds.), *Early Experience and Behavior*, C. C. Thomas, Springfield, Ill.
70. BRONFENBRENNER, U. (1974), 'Is early intervention effective? A report on the longitudinal evaluations of pre-school programmes', Office of Child Development, US Dept of Health, Education and Welfare, Bethesda, Md.
71. BRONFENBRENNER, U. (1979), *The Ecology of Human Development: experiments by nature and design*, Harvard University Press, Cambridge, Mass.
72. BROOKHART, J., and HOCK, E. (1976), 'The effects of experimental context and experiential background on infants' behavior toward their mothers and a stranger', *Child Devel.*, vol. 47, pp. 333–40.
73. BROSSARD, M. and DÉCARIE, T. G. (1971), 'The effects of three

kinds of perceptual-social stimulation on the development of institutionalized infants: preliminary report of a longitudinal study', *Early child Devel. Care*, vol. 1, pp. 211–30.

74. BROWN, F. (1961), 'Depression and childhood bereavement', *J. ment. Sci.*, vol. 107, pp. 754–77.

75. BROWN, G. W., BHROLCHAIN, M. N., and HARRIS, T. (1975), 'Social class and psychiatric disturbance among women in an urban population', *Sociology*, vol. 9, pp. 225–54.

76. BROWN, G. W., and HARRIS, T. (1978), *Social Origins of Depression: A Study of Psychiatric Disorders in Women*, Tavistock Publications.

77. BROWN, G. W., and RUTTER, M. (1966), 'The measurement of family activities and relationships: a methodological study', *Hum. Rel.*, vol. 19, pp. 241–63.

78. BROWN, J. V., and BATEMAN, R. (1978), 'Relationships of human mothers with their infants during the first year of life: effects of prematurity', in R. W. Bell and W. P. Smotherman (eds.), *Maternal Influences and Early Behavior*, Spectrum, Hollis-wood, NY.

79. BROWN, R., CAZDEN, C., and BELLUGI-KLIMA, U. (1969), 'The child's grammar from I to III', in J. P. Hill (ed.), *Minnesota Symposia on Child Psychology*, vol. 2, University of Minnesota Press, Minneapolis.

80. BRUNER, J. (1980), *Under Five in Britain*, Grant McIntyre, London.

81. BUNCH, J. (1972), 'Recent bereavement in relation to suicide', *J. psychosom. Res.*, vol. 16, pp. 361–6.

82. BURCHINAL, L. G., and ROSSMAN, J. E. (1961), 'Relations among maternal employment indices and developmental characteristics of children', *Marr. fam. Living*, vol. 23, pp. 334–40.

83. BURLINGHAM, D., and FREUD, A. (1942), *Young Children in Wartime*, Allen & Unwin.

84. BURLINGHAM, D., and FREUD, A. (1944), *Infants without Families: The Case for and against Residential Nurseries*, Allen & Unwin.

85. CAIRNS, R. B. (1966a), 'Development, maintenance and extinction of social attachment behavior in sheep', *J. comp. physiol. Psychol.*, vol. 62, pp. 298–306.

86. CAIRNS, R. B. (1966b), 'The attachment behavior of mammals', *Psychol. Rev.*, vol. 73, pp. 409–26.

87. CAIRNS, R. B. (1972), 'Attachment and dependency: a psycho-

biological and social learning synthesis', in J. L. Gewirtz (ed.), *Attachment and Dependency*, Winston, Washington.

88. CAIRNS, R. B. (1977), 'Beyond social attachment: the dynamics of interactional development', in T. Alloway, P. Pliner and L. Krames (eds.), *Advances in the Study of Communication and Affect*, vol. 3, Plenum, New York.

89. CALDWELL, B. M. (1962), 'Mother–infant interaction in monomatric and polymatric families', *Amer. J. Orthopsychiat.*, vol. 32, pp. 340-41.

90. CALDWELL, B. M. (1964), 'The effects of infant care', in M. L. Hoffman and L. W. Hoffman (eds.), *Review of Child Development Research*, vol. 1, Russell Sage Foundation, New York.

91. CALDWELL, B. M. (1970), 'The effects of psychosocial deprivation on human development in infancy', *Merrill-Palmer Q.*, vol. 16, pp. 260–77.

92. CALDWELL, B. M., WRIGHT, C. M., HONIG, A. C., and TANNENBAUM, J. (1970), 'Infant day care and attachment', *Amer. J. Orthopsychiat.*, vol. 40, pp. 397–412.

93. CAPLAN, M. G., and DOUGLAS, V. I. (1969), 'Incidence of parental loss in children with depressed mood', *J. Child Psychol. Psychiat.*, vol. 10, pp. 225–32.

94. CARTWRIGHT, A., and JEFFREYS, M. (1958), 'Married women who work: their own and their children's health', *Brit. J. prev. soc. Med.*, vol. 12, pp. 159–71.

95. CASLER, L. (1961), 'Maternal deprivation: a critical review of the literature', *Monogr. Soc. Res. Child Devel.*, vol. 26, no. 2.

96. CASLER, L. (1965), 'The effects of supplementary verbal stimulation on a group of institutionalized infants', *J. Child Psychol. Psychiat.*, vol. 6, pp. 19–27.

97. CASLER, L. (1968), 'Perceptual deprivation in institutional settings', in G. Newton and S. Levine (eds.), *Early Experience and Behavior*, C. C. Thomas, Springfield, Ill.

98. CAZDEN, C. (1966), 'Subcultural differences in child language: an interdisciplinary review', *Merrill-Palmer Q.*, vol. 12, pp. 185–219.

99. CHOW, B. F., BLACKWELL, R. Q., BLACKWELL, B. N., HOU, T. Y., ANILANE, J. K., and SHERWIN, R. W. (1968), 'Maternal nutrition and metabolism of the offspring: studies in rats and man', *Amer. J. pub. Health*, vol. 58, pp. 668–77.

100. CLAIBORN, W. L. (1969), 'Expectancy effects in the classroom: a failure to replicate', *J. educ. Psychol.*, vol. 60, pp. 377–83.

101. CLARKE, A. D. B. (1968), 'Problems in assessing the later effects

of early experience', in E. Miller (ed.), *Foundations of Child Psychiatry*, Pergamon.

102. CLARKE, A. D. B., CLARKE, A. M., and REIMAN, S. (1958), 'Cognitive and social changes in the feeble-minded: three further studies', *Brit. J. Psychol.*, vol. 49, pp. 144–57.
103. CLARKE, A. M., and CLARKE, A. D. B. (1976), *Early Experience: Myth and Evidence*, Open Books, London.
104. CLARKE-STEWART, K. A. (1973), 'Interactions between mothers and their young children: characteristics and consequences', *Monogr. Soc. Res. Child Devel.*, vol. 38, no. 153.
105. CLARKE-STEWART, K. A. (1978), 'And daddy makes three: the father's impact on mother and young child', *Child Devel.*, vol. 49, pp. 446–78.
106. CLARKE-STEWART, K. A., VANDER-STOEP, L. P., and KILLIAN, G. A. (1979), 'Analysis and replication of mother-child relations at two years of age', *Child Devel.*, vol. 50, pp. 777–93.
107. CLAUSEN, J. A. (1966), 'Family structure, socialization and personality', in L. W. Hoffman and M. Hoffman (eds.), *Rev. Child Devel. Res.*, vol. 2, Russell Sage Foundation, New York.
108. COATES, B., ANDERSON, E. P., and HARTUP, W. W. (1972), 'Interrelations in the attachment behavior of human infants', *Devel. Psychol.*, vol. 6, pp. 218–30.
109. COCHRAN, M. M. (1977), 'A comparison of group day and family child-rearing patterns in Sweden', *Child Devel.*, vol. 48, pp. 702–7.
110. COELHO, G. V., HAMBURG, D. A., and ADAMS, J. E. (eds.) (1974), *Coping and Adaptation*, Basic Books, New York.
111. COHEN, F., and LAZARUS, R. S. (1979), 'Coping with the stresses of illness', in G. C. Stone, F. Cohen, N. E. Adler, and associates, *Health Psychology – A Handbook*, Jossey-Bass, San Francisco, pp. 217–54.
112. COHEN, L. J. (1974), 'The operational definition of human attachment', *Psychol. Bull.*, vol. 81, pp. 107–217.
113. COHEN, L. J., and CAMPOS, J. J. (1974), 'Father, mother and stranger as elicitors of attachment behaviors in infancy', *Devel. Psychol.*, vol. 10, pp. 146–54.
114. COHEN, S. E. (1978), 'Maternal employment and mother–child interaction', *Merrill-Palmer Q.*, vol. 24, pp. 189–97.
115. COLLINGWOOD, J., and ALBERMAN, E. (1979), 'Separation at birth and the mother–infant relationship', *Devel. Med. Child Neurol.*, vol. 21, pp. 608–18.
116. CONDON, W. S., and SANDER, L. W. (1974), 'Speech: inter-

actional participation and language acquisition', *Science*, vol. 183, pp. 99–101.

117. CONWAY, E. S. (1957), 'The institutional care of children: a case history', unpublished Ph.D. thesis, University of London.

118. COOPER, R. M., and ZUBEK, J. P. (1958), 'Effects of enriched and restricted early environments on the learning ability of bright and dull rats', *Canad. J. Psychol.*, vol. 12, pp. 159–64.

119. CORNELIUS, S., and DENNEY, N. (1975), 'Dependency in day-care and home-care children', *Devel. Psychol.*, vol. 11, pp. 575–82.

120. CORTER, C. M. (1973), 'A comparison of the mother's and a stranger's control over the behavior of infants', *Child Devel.*, vol. 44, pp. 705–13.

121. CORTER, C. M. (1974), 'Infant attachment', in B. Foss (ed.), *New Perspectives in Child Development*, Penguin, Harmondsworth.

122. COX, A., RUTTER, M., YULE, B., and QUINTON, D. (1977), 'Bias resulting from missing information: some epidemiological findings', *Brit. J. Prev. Soc. Med.*, vol. 31, pp. 131–6.

123. COX, F. N., and CAMPBELL, D. (1968), 'Young children in a new situation with and without their mothers', *Child Devel.*, vol. 39, pp. 123–31.

124. CRAIG, M. M., and GLICK, S. J. (1965), *A Manual of Procedures for Application of the Glueck Prediction Table*, University of London Press.

125. CRAVIOTO, J., DELICARDIE, E. R., and BIRCH, H. G. (1966), 'Nutrition, growth and neurointegrative development: an experimental and ecologic study', *Pediatrics*, vol. 38 (suppl.), pp. 319–72.

126. CRELLIN, E., PRINGLE, M. L. K., and WEST, P. (1971), *Born Illegitimate: social and educational implications*, N.F.E.R., Slough.

127. CROOK, T., and ELIOT, J. (1980), 'Parental death during childhood and adult depression', *Psychol. Bull.*, vol. 87, pp. 252–9.

128. CROWE, R. R. (1974), 'An adoption study of antisocial personality', *Arch. gen. Psychiat.*, vol. 31, pp. 785–91.

129. CUMMINGS, F. M. (1980), 'Caretaker stability and day care', *Devel. Psychol.*, vol. 16, pp. 31–7.

130. CUMMINGS, S. T., BAYLEY, M. C., and RIE, H. E. (1966), 'Effects of the child's deficiency on the mother: a study of mothers of mentally retarded, chronically ill and neurotic children', *Amer. J. Orthopsychiat.*, vol. 36, pp. 595–608.

131. CURTISS, S. (1977), *Genie: A Psycholinguistic Study of a Modern-Day 'Wild Child'*, Academic Press, New York.

132. DARLINGTON, R. B., ROYCE, J. M., SNIPPER, A. S., MURRAY, H. W., and LAZAR, I. (1980), 'Pre-school programs and later school competence of children from low-income families', *Science*, vol. 208, pp. 202–4.

133. DAVENPORT, H. T., and WERRY, J. S. (1970), 'The effect of general anesthesia surgery and hospitalization upon the behavior of children', *Amer. J. Orthopsychiat.*, vol. 40, pp. 806–824.

134. DAVENPORT, R. K., and ROGERS, C. M. (1968), 'Intellectual performance of differentially reared chimpanzees: I. Delayed response', *Amer. J. ment. Def.*, vol. 72, pp. 674–80.

135. DAVENPORT, R. K., MENZEL, E. W., and ROGERS, C. M. (1961), 'Maternal care during infancy: its effect on weight gain and mortality in the chimpanzee', *Amer. J. Orthopsychiat.*, vol. 31, pp. 803–9.

136. DAVENPORT, R. K., MENZEL, E. W., and ROGERS, C. M. (1966), 'Effects of severe isolation on "normal" juvenile chimpanzees: health, weight gain and stereotyped behaviors', *Arch. gen. Psychiat.*, vol. 14, pp. 134–8.

137. DAVID, M., and APPELL, G. (1961), 'A study of nursing care and nurse–infant interaction: a report on the first half of an investigation', in B. M. Foss (ed.), *Determinants of Infant Behaviour*, vol. 1, Methuen.

138. DAVIS, K. (1947), 'Final note on a case of extreme isolation', *Amer. J. Sociol.*, vol. 52, pp. 432–7.

139. DAW, N. W., BERMAN, N. E. J., and ARIEL, M. (1978), 'Interaction of critical periods in visual cortex of kittens', *Science*, vol. 199, pp. 565–7.

140. DE CHATEAU, P., and WIBERG, B. (1977a and b), 'Long-term effect on mother–infant behaviour of extra contact during the first hour post partum: I. First observations at 36 hours; II. A follow-up at three months', *Acta Paediat. Scand.*, vol. 66, pp. 137–43 and 145–51.

141. DEFRIES, J. C. (1964), 'Prenatal maternal stress in mice: differential effects on behaviour', *J. Hered.*, vol. 55, pp. 289–295.

142. DEGROOT, A. D. (1951), 'War and the intelligence of youth', *J. Abn. Soc. Psychol.*, vol. 46, pp. 596–7.

143. DENENBERG, V. H. (1969), 'Animal studies of early experience: some principles which have implications for human development', in J. P. Hill (ed.), *Minnesota Symposia on Child Psychology*, vol. 3, University of Minnesota Press, Minneapolis.

144. DENENBERG, V. H., and KLINE, N. J. (1964), 'Stimulus intensity

vs critical periods: a test of two hypotheses concerning infantile stimulation', *Canad. J. Psychol.*, vol. 18, pp. 1–5.

145. DENNIS, W. (1960), 'Causes of retardation among institutional children: Iran', *J. genet. Psychol.*, vol. 96, pp. 47–59.

146. DENNIS, W. (1973), *Children of the Crèche*, Appleton-Century-Crofts, New York.

147. DENNIS, W., and NAJARIAN, P. (1957), 'Infant development under environmental handicap', *Psychol. Monogr.*, vol. 71, pp. 1–13.

148. DEUTSCH, C. P. (1964), 'Auditory discrimination and learning: social factors', *Merrill-Palmer Q.*, vol. 10, pp. 277–96.

149. DEUTSCH, H. (1919), 'A two-year-old boy's first love comes to grief', reprinted (1959) in L. Jessner and E. Pavenstedt (eds.), *Dynamic Psychopathology in Childhood*, Grune & Stratton, New York.

150. DEUTSCH, M., KATZ, I., and JENSEN, A. (eds.) (1968), *Social Class, Race and Psychological Development*, Holt, Rinehart & Winston, New York.

151. DINNAGE, R., and PRINGLE, M. L. K. (1967a), *Residential Child Care: Facts and Fallacies*, Longman.

152. DINNAGE, R., and PRINGLE, M. L. K. (1967b), *Foster Home Care: Facts and Fallacies*, Longman.

153. DIXON, P. (1980), paper in preparation.

154. DOBBING, J. (1968), 'Vulnerable periods in developing brain', in A. N. Davison and J. Dobbing (eds.), *Applied Neurochemistry*, Blackwell.

155. DOBZHANSKY, T. (1967), 'On types, genotypes and genetic diversity in populations', in J. N. Spuhler (ed.), *Genetic Diversity and Human Behavior*, Aldine, Chicago.

156. DOLLARD, J., and MILLER, N. E. (1950), *Personality and Psychotherapy*, McGraw-Hill, New York.

157. DOUGLAS, J. W. B. (1960), 'Premature children at primary schools', *Brit. med. J.*, vol. 1, pp. 1008–13.

158. DOUGLAS, J. W. B. (1964), *The Home and the School*, MacGibbon & Kee.

159. DOUGLAS, J. W. B. (1970), 'Broken families and child behaviour', *J. Roy. Coll. Physns Lond.*, vol. 4, pp. 203–10.

160. DOUGLAS, J. W. B. (1973), 'Early disturbing events and later enuresis', in I. Kolvin, R. MacKeith and R. Meadow (eds.), *Bladder Control and Enuresis*, Clinics in Developmental Medicine Nos. 48/49, Heinemann/S I M P.

161. DOUGLAS, J. W. B. (1975), 'Early hospital admissions and later disturbances of behaviour and learning', *Devel. Med. Child Neurol.*, vol. 17, pp. 456–80.

162. DOUGLAS, J. W. B., and BLOMFIELD, J. M. (1958), *Children under Five*, Allen & Unwin.
163. DOUGLAS, J. W. B., ROSS, J. M., HAMMOND, W. A., and MULLIGAN, D. G. (1966), 'Delinquency and social class', *Brit. J. Criminol.*, vol. 6, pp. 294–302.
164. DOUGLAS, J. W. B., ROSS, J. M., and SIMPSON, H. R. (1968), *All Our Future: A Longitudinal Study of Secondary Education*, Peter Davies.
165. DOUGLAS, J. W. B., and TURNER, R. K. (1970), 'The association of anxiety provoking events in early childhood with enuresis', *Proc. Fifth Int. Sci. Meeting of Int. Epid. Assn*, Savremena Adinistracija, Belgrade.
166. DOYLE, A. B. (1975), 'Infant development in day care', *Devel. Psychol.*, vol. 11, pp. 655–6.
167. DREWE, E. A., ETTLINGER, G., MILNER, A. D., and PASSINGHAM, R. E. (1970), 'A comparative review of the results of neuropsychological research on man and monkey', *Cortex*, vol. 6, pp. 129–63.
168. DRILLIEN, C. M. (1964), *Growth and Development of the Prematurely Born Infant*, Livingstone, Edinburgh.
169. DRILLIEN, C. M., THOMSON, A. J. M., and BURGOYNE, K. (1980), 'Low birth-weight children at early school-age: a longitudinal study', *Devel. Med. Child Neurol.*, vol. 2, pp. 26–47.
170. DUNN, J. (1975), 'Consistency and change in styles of mothering', in R. Porter and M. O'Connor (eds.), *Parent–Infant Interaction*, Ciba Foundation Symposium 33 (new series), Associated Scientific Publishers, Amsterdam.
171. DUNN, J. (1980), 'Individual differences in temperament', in M. Rutter (ed.), *Scientific Foundations of Developmental Psychiatry*, Heinemann Medical.
172. DU PAN, M., and ROTH, S. (1955), 'The psychological development of a group of children brought up in a hospital type residential nursery', *J. Pediat.*, vol. 47, pp. 124–9.
173. EASTERBROOKS, M. A., and LAMB, M. E. (1979), 'The relationship between quality of infant–mother attachment and infant competence in initial encounters with peers', *Child Devel.*, vol. 50, pp. 380–87.
174. EATON, W. W. (1978), 'Life events, social supports, and psychiatric symptoms: a re-analysis of the New Haven data', *J. Health Soc. Behav.*, vol. 19, pp. 230–34.
175. ECKERMAN, C. O., WHATLEY, J. L., and KATZ, S. L. (1975), 'Growth of social play with peers during the second year of life', *Devel. Psychol.*, vol. 11, pp. 42–9.

176. ECKLAND, B., and KENT, D. P. (1968), 'Socialization and social structure', in *Perspectives on Human Deprivation: Biological, Psychological and Sociological*, U S Department of Health, Education and Welfare, Washington, D C.

177. EISENBERG, L. (1967), 'Clinical considerations in the psychiatric evaluation of intelligence', in J. Zubin and G. A. Jervis (eds.), *Psychopathology of Mental Development*, Grune & Stratton.

178. EISENBERG, L. (1969), 'The social development of intelligence', in H. Freeman (ed.), *Progress in Mental Health*, Churchill.

179. ELARDO, R., BRADLEY, R. H., and CALDWELL, B. M. (1975), 'The relation of infants' home environment to mental test performance from 6 to 36 months: a longitudinal analysis', *Child Devel.*, vol. 46, pp. 71–6.

180. ENGEL, G. L., REICHSMAN, F., and SEGAL, H. (1956), 'A study of an infant with gastric fistula: I. Behavior and the rate of total hydrochloric acid secretion', *Psychosom. Med.*, vol. 18, pp. 374–98.

181. ETZEL, B. C., and GEWIRTZ, J. L. (1967), 'Experimental modification of caretaker-maintained high rate operant crying in a 6- and a 20-week old infant (infans tyrannotearus): extinction of crying with reinforcement of eye contact and smiling', *J. Exp. Child Psychol.*, vol. 5, pp. 303–13.

182. FABRICIUS, E. (1962), 'Some aspects of imprinting in birds', *Symp. Zool. Soc. Lond.*, vol. 8, pp. 139–48.

183. FAGIN, C. M. R. N. (1966), *The Effects of Maternal Attendance during Hospitalization on the Post-Hospital Behavior of Young Children: A Comparative Study*, F. A. Davis, Philadelphia.

184. FARRAN, D., and RAMEY, C. (1977), 'Infant day care and attachment behaviors toward mothers and teachers', *Child Devel.*, vol. 48, pp. 1112–16.

185. FAUST, O. A., JACKSON, K., CERMAK, E. G., BURTT, M. M., and WINKLEY, R. (1952), *Reducing Emotional Trauma in Hospitalized Children*, Albany Research Project, Albany, New York.

186. FERGUSON, B. F. (1979), 'Preparing young children for hospitalization', *Pediatrics*, vol. 64, pp. 656–64.

187. FERGUSON, T. (1966), *Children in Care – and After*, Oxford University Press.

188. FINKELSTEIN, N. W., DENT, C., GALLACHER, K., and RAMEY, C. T. (1978), 'Social behavior of infants and toddlers in a day-care environment', *Devel. Psychol.*, vol. 14, pp. 257–62.

189. FISCH, R. O., BILEK, M. K., DEINARD, A. S., and CHANG, P.-N. (1976), 'Growth, behavioral and psychologic measurements of adopted children: the influences of genetic and socio-economic

factors in a prospective study', *J. Pediat.*, vol. 89, pp. 494–500.

190. FLOETER, M. K., and GREENOUGH, W. T. (1979), 'Cerebellar plasticity: modification of Purkinje cell structure by differential rearing in monkeys', *Science*, vol. 206, pp. 227–9.

191. FOGELMAN, K. R., and GOLDSTEIN, H. (1976), 'Social factors associated with changes in educational attainment between 7 and 11 years of age', *Educ. Studies*, vol. 2, pp. 95–109.

192. FORGAYS, D. G., and FORGAYS, J. W. (1952), 'The nature of the effect of free-environmental experience in the rat', *J. comp. physiol. Psychol.*, vol. 45, pp. 322–8.

193. FORGUS, R. H. (1954), 'The effects of early perceptual learning on the behavioral organization of adult rats', *J. comp. physiol. Psychol.*, vol. 47, pp. 331–6.

194. FORGUS, R. H. (1955), 'Influence of early experience on maze-learning with and without visual cues', *Canad. J. Psychol.*, vol. 9, pp. 207–14.

195. FOX, M. W., and STELZNER, D. (1966), 'Approach/withdrawal variables in the development of social behaviour in the dog', *Anim. Behav.*, vol. 14, pp. 362–6.

196. FOX, N. (1977), 'Attachment of kibbutz infants to mother and metapelet', *Child. Devel.*, vol. 48, 1228–39.

197. FRANCIS, S. H. (1971), 'The effects of own-home and institution rearing on the behavioral development of normal and mongol children', *J. Child Psychol. Psychiat.*, vol. 12, pp. 173–90.

198. FREEBERG, N. E., and PAYNE, D. T. (1967), 'Parental influence on cognitive development in early childhood: a review', *Child Devel.*, vol. 38, pp. 65–87.

199. FREEDMAN, D. G. (1958), 'Constitutional and environmental interactions in rearing of four breeds of dog', *Science*, vol. 127, pp. 585–6.

200. FREEDMAN, D. G. (1965), 'Hereditary control of early social behaviour', in B. M. Foss (ed.), *Determinants of Infant Behaviour*, vol. 3, Methuen.

201. FREEDMAN, D. G., and KELLER, B. (1963), 'Inheritance of behaviour in infants', *Science*, vol. 140, pp. 196–8.

202. FREUD, A. (1946), *The Psycho-Analytical Treatment of Children*, Imago, London.

203. FREUD, A., and DANN, S. (1951), 'An experiment in group upbringing', *Psychoanal. Stud. Child*, vol. 6, pp. 127–68.

204. FRIED, R., and MAYER, M. F. (1948), 'Socio-emotional factors accounting for growth failure in children living in an institution', *J. Pediat.*, vol. 33, pp. 444–56.

205. FRIEDLANDER, B. Z. (1971), 'Listening, language and the audi-

tory environment: automated evaluation and intervention', in J. Hellmuth (ed.), *The Exceptional Infant: II. Studies in Abnormalities*, Brunner/Mazel, New York.

206. FROMMER, E. A., and O'SHEA, G. (1973a & b), 'Antenatal identification of women liable to have problems in managing their infants'; 'The importance of childhood experience in relation to problems of marriage and family-building', *Brit. J. Psychiat.*, vol. 123, pp. 149–56 and 157–60.

207. FURCHNER, C. S., and HARLOW, H. F. (1969), 'Preference for various surrogate surfaces among infant rhesus monkeys', *Psychonom. Sci.*, vol. 17, pp. 279–80.

208. GANZ, L. (1968), 'An analysis of generalization behavior in the stimulus-deprived organism', in G. Newton and S. Levine (eds.), *Early Experience and Behavior*, C. C. Thomas, Springfield, Ill.

209. GARBER, H., and HEBER, F. R. (1977), 'The Milwaukee project: indications of the effectiveness of early intervention in preventing mental retardation', in P. Mittler (ed.), *Research to Practice in Mental Retardation, 1. Care and Intervention*, University Park Press, Baltimore.

210. GARDNER, D. B., HAWKES, G. R., and BURCHINAL, L. G. (1961), 'Non-continuous mothering in infancy and development in later childhood', *Child Devel.*, vol. 32, pp. 225–34.

211. GARDNER, E. L., and GARDNER, E. B. (1970), 'Orientation of infant macaques to facially distinct surrogate mothers', *Devel. Psychol.*, vol. 3, pp. 409-10.

212. GARDNER, J. (1977), *Three aspects of childhood autism: Mother-child interactions, autonomic responsivity, and cognitive functioning* (unpublished Ph.D. thesis, University of Leicester).

213. GARDNER, R. A., and GARDNER, B. T. (1969), 'Teaching sign language to a chimpanzee', *Science*, vol. 165, pp. 664–72.

214. GARLAND, C., and WHITE, S. (1980), *Children and Day Nurseries*, Grant McIntyre, London.

215. GARROW, J. S., and PIKE, M. C. (1967), 'The long-term prognosis of severe infantile malnutrition', *Lancet*, vol. 1, pp. 1–4.

216. GARVIN, J. B., and SACKS, L. S. (1963), 'Growth potential of pre-school-aged children in institutional care: a positive approach to a negative condition', *Amer. J. Orthopsychiat.*, vol. 33, pp. 399–408.

217. GAVRON, H. (1966), *The Captive Wife*, Routledge & Kegan Paul.

218. GAW, F. (1925), 'A study of performance tests', *Brit. J. Psychol.*, vol. 15, pp. 374–92.

219. GEWIRTZ, J. L. (1961), 'A learning analysis of the effects of normal stimulation, privation and deprivation on the acquisition

of social motivation and attachment', in B. M. Foss (ed.), *Determinants of Infant Behaviour*, vol. 1, Methuen.

220. GEWIRTZ, J. L. (1968), 'The role of stimulation in models for child development', in L. L. Dittman (ed.), *Early Child Care: The New Perspectives*, Atherton Press, New York.

221. GEWIRTZ, J. L. (1969), 'Mechanisms of social learning: some roles of stimulation and behavior in early human development', in D. A. Goslin (ed.), *Handbook of Socialization Theory and Research*, Rand McNally, New York.

222. GEWIRTZ, J. L. (ed.) (1972a), *Attachment and Dependency*, Winston, Washington.

223. GEWIRTZ, J. L. (1972b), 'Attachment, dependence, and a distinction in terms of stimulus control', in J. L. Gewirtz (ed.), *Attachment and Dependency*, Winston, Washington.

224. GEWIRTZ, J. L., and BOYD, E. F. (1976), 'Mother-infant interaction and its study', in H. W. Reese (ed.), *Advances in Child Development and Behavior*, vol. 11, Academic Press, New York.

225. GEWIRTZ, J. L., and BOYD, E. F. (1977), 'Does maternal responding imply reduced infant crying?: a critique of the 1972 Bell and Ainsworth report', *Child Devel.*, vol. 48, pp. 1200–07.

226. GIBBENS, T. C. N., and WALKER, A. (1956), *Cruel Parents: case studies of prisoners convicted of violence towards children*, Institute for the Study and Treatment of Delinquency, London.

227. GIBSON, H. B. (1969), 'Early delinquency in relation to broken homes', *J. Child Psychol. Psychiat.*, vol. 10, pp. 195–204.

228. GLASS, H. B. (1954), 'The genetic aspects of adaptability', *Proc. Assn Res. Nerv. Ment. Dis.*, vol. 23, pp. 367–77.

229. GLUECK, S., and GLUECK, E. T. (1950), *Unravelling Juvenile Delinquency*, Commonwealth Fund, New York.

230. GLUECK, S., and GLUECK, E. T. (1962), *Family Environment and Delinquency*, Routledge & Kegan Paul.

231. GOLD, D., and ANDRES, D. (1978a), 'Relations between maternal employment and development of nursery school children', *Canad. J. Behav. Sci.*, vol. 10, pp. 116–29.

232. GOLD, D., and ANDRES, D. (1978b), 'Comparisons of adolescent children with employed and non-employed mothers', *Merrill-Palmer Q.*, vol. 24, pp. 243–54.

233. GOLDBERG, S. (1977), 'Social competence in infancy: a model of parent-infant interaction', *Merrill-Palmer Q.*, vol. 23, pp. 163–77.

234. GOLDBERGER, A. (1972), *Follow Up Notes on the Children from Bulldog Bank* (unpublished paper).

235. GOLDFARB, W. (1943a), 'The effects of early institutional care on

adolescent personality', *J. Exper. Educ.*, vol. 12, pp. 106–29.

236. GOLDFARB, W. (1943b), 'Infant rearing and problem behavior', *Amer. J. Orthopsychiat.*, vol. 13, pp. 249–65.

237. GOLDFARB, W. (1945a), 'Psychological privation in infancy and subsequent adjustment', *Amer. J. Orthopsychiat.*, vol. 15, pp. 247–55.

238. GOLDFARB, W. (1945b), 'Effects of psychological deprivation in infancy and subsequent stimulation', *Amer. J. Psychiat.*, vol. 102, pp. 18–33.

239. GOLDFARB, W. (1947), 'Variations in adolescent adjustment of institutionally reared children', *Amer. J. Orthopsychiat.*, vol. 17, pp. 449–57.

240. GOLDFARB, W. (1955), 'Emotional and intellectual consequences of psychologic deprivation in infancy: a revaluation', in P. H. Hoch and J. Zubin (eds.), *Psychopathology of Childhood*, Grune & Stratton, New York.

241. GORDON, H. (1923), *Mental and Scholastic Tests among Retarded Children*, Board of Education.

242. GRAHAM, P., and GEORGE, S. (1972), 'Children's response to parental illness: individual differences', *J. Psychosom. Res.*, vol. 16, pp. 251–5.

243. GRAHAM, P., RUTTER, M., and GEORGE, S. (1973), 'Temperamental characteristics as predictors of behavior disorders in children', *Amer. J. Orthopsychiat.*, vol. 43, pp. 328–39.

244. GREGORY, I. (1965), 'Anterospective data following childhood loss of a parent', *Arch. gen. Psychiat.*, vol. 13, pp. 110–20.

245. GUITON, P. (1966), 'Early experience and sexual object choice in the brown leghorn', *Anim. Behav.*, vol. 14, pp. 534–8.

246. GURIN, G., VEROFF, J., and FELD, S. (1960), *Americans and their mental health: a nationwide interview survey*, Basic Books, New York.

247. HALES, D. J., LOZOFF, B., SOSA, R., and KENNELL, J. H. (1977), 'Defining the limits of the maternal sensitive period', *Devel. Med. Child Neurol.*, vol. 19, pp. 454–61.

248. HALL, F., PAWLBY, S. J., and WOLKIND, S. (1979), 'Early life experiences and later mothering behaviour: a study of mothers and their 20-week-old babies', in D. Shaffer and J. Dunn (eds.), *The First Years of Life: psychological and medical implications of early experience*, Wiley, Chichester and New York, pp. 153–174.

249. HANDEL, G. (ed.) (1968), *The Psychosocial Interior of the Family: A Source Book for the Study of Whole Families*, Allen & Unwin.

250. HARLOW, H. F. (1958), 'The nature of love', *Amer. Psychol.*, vol. 13, pp. 673–85.

251. HARLOW, H. F. (1961), 'The development of affectional patterns in infant monkeys', in B. M. Foss (ed.), *Determinants of Infant Behaviour*, vol. 1, Methuen.

252. HARLOW, H. F. (1963), 'The maternal affectional system', in B. M. Foss (ed.), *Determinants of Infant Behaviour*, vol. 2, Methuen.

253. HARLOW, H. F. (1969), 'Age-mate or peer affectional systems', in D. S. Lehrman, R. A. Hinde and E. Shaw (eds.), *Advances in the Study of Behavior*, vol. 2, Academic Press, New York.

254. HARLOW, H. F., and GRIFFIN, G. (1965), 'Induced mental and social deficits in rhesus monkeys', in S. F. Osler and R. E. Cooke (eds.), *The Biosocial Basis of Mental Retardation*, Johns Hopkins Press, Baltimore, Md.

255. HARLOW, H. F., and HARLOW, M. K. (1965), 'The affectional systems', in A. D. Schrier, H. F. Harlow and F. Stollnitz (eds.), *Behavior of Non-Human Primates*, vol. 2, Academic Press.

256. HARLOW, H. F., and HARLOW, M. K. (1969), 'Effects of various mother–infant relationships on rhesus monkey behaviours', in B. M. Foss (ed.), *Determinants of Infant Behaviour*, vol. 4, Methuen.

257. HARLOW, H. F., and HARLOW, M. K. (1970), 'Developmental aspects of emotional behavior', in P. Black (ed.), *Physiological Correlates of Emotion*, Academic Press, New York.

258. HARLOW, H. F., and HARLOW, M. K. (1971), 'Psychopathology in monkeys', in H. D. Kimmel (ed.), *Experimental Psychopathology*, Academic Press, New York.

259. HARLOW, H. F., and HARLOW, M. K. (1972), 'The affectional systems', in A. Schrier, H. F. Harlow and F. Stollnitz (eds.), *Behavior of Non-Human Primates*, vol. 2, Academic Press, New York.

260. HARLOW, H. F., SCHLITZ, K. A., and HARLOW, M. K. (1969), 'Effects of social isolation on the learning performance of rhesus monkeys', in *Proc. Second Int. Congr. Primatol., Atlanta, Georgia*, vol. 1, S. Karger.

261. HARLOW, H. F., and SUOMI, S. J. (1971), 'Social recovery by isolation reared monkeys', *Proc. Nat. Acad. Sci.*, vol. 68, pp. 1534–8.

262. HARLOW, H. F., and ZIMMERMANN, R. R. (1959), 'Affectional responses in the infant monkey', *Science*, vol. 130, pp. 421–432.

263. HARNQVIST, K. (1968), 'Relative changes in intelligence from 13 to 18', *Scand. J. Psychol.*, vol. 9, pp. 50–82.

264. HARPER, L. V. (1971), 'The young as a source of stimuli controlling caretaker behaviour', *Devel. Psychol.*, vol. 4, pp. 73–88.
265. HARPER, P. A., and WIENER, G. (1965), '*Sequelae* of low birth weight', *Ann. Rev. Med.*, vol. 16, pp. 405–20.
266. HARTUP, W. W. (1979), 'Peer relations and the growth of social competence', in M. W. Kent and J. E. Rolf (eds.), *Primary Prevention of Psychopathology: 3. Social Competence in Children*, University Press of New England, Hanover, N H.
267. HARTUP, W. W. (1980), 'Peer relations and family relations: two social worlds', in M. Rutter (ed.), *Scientific Foundations of Developmental Psychiatry*, Heinemann Medical.
268. HAYWOOD, C. (1967), 'Experiential factors in intellectual development: the concept of dynamic intelligence', in J. Zubin and G. A. Jervis (eds.), *Psychopathology of Mental Development*, Grune & Stratton, New York.
269. HEARNSHAW, L. S. (1979), *Cyril Burt, Psychologist*, Cornell University Press, Ithaca.
270. HEATHERS, G. (1955), 'Emotional dependence and independence in nursery school play', *J. Genet. Psychol.*, vol. 87, pp. 37–57.
271. HEBB, D. O. (1949), *The Organization of Behavior*, Wiley.
272. HEBER, R. (1971), *Rehabilitation of Families at Risk for Mental Retardation: a progress report*, Rehabilitation Research and Training Center in Mental Retardation, Madison, Wisconsin.
273. HEBER, R. (1978), 'Sociocultural mental retardation – a longitudinal study', in D. Forgays (ed.), *Primary Prevention of Psychopathology: 2. Environmental Influences*, University Press of New England, Hanover, N H.
274. HEBER, R., and GARBER, H. (1974), *Progress report III: an experiment in the prevention of cultural-familial retardation*, Proceedings of the Third International Congress of the International Association of Scientific Studies in Mental Deficiency.
275. HEBER, R., GARBER, H., HARRINGTON, S., HOFFMAN, C., and FALENDER, C. (1972), *Rehabilitation of Families at Risk for Mental Retardation, December Progress Report*, University of Wisconsin, Madison.
276. HEIN, A., and HELD, R. (1967), 'Dissociation of the visual placing response into elicited and guided components', *Science*, vol. 158, pp. 390–92.
277. HEINICKE, C. M., FRIEDMAN, D., PRESCOTT, E., PUNCEL, C., and SALE, J. S. (1973), 'The organization of day care: considerations relating to the mental health of child and family', *Amer. J. Orthopsychiat.*, vol. 43, pp. 8–22.

278. HEINICKE, C. M., and WESTHEIMER, I. J. (1965), *Brief Separations*, Longman.

279. HELD, R., and BAUER, J. A. (1967), 'Visually guided reaching in infant monkeys after restricted rearing', *Science*, vol. 155, pp. 718–20.

280. HELD, R., and HEIN, A. (1963), 'Movement-produced stimulation in the development of visually guided behavior', *J. comp. physiol. Psychol.*, vol. 56, pp. 872–6.

281. HELFER, R. E., and KEMPE, C. H. (eds.) (1968), *The Battered Child*, University of Chicago Press, Chicago.

282. HENDERSON, N. D. (1964), 'Behavioral effects of manipulation during different stages in the development of mice', *J. comp. physiol. Psychol.*, vol. 57, pp. 284–9.

283. HERTZIG, M. E., BIRCH, H. G., THOMAS, A., and MENDEZ, O. A. (1968), 'Class and ethnic differences in the responsiveness of pre-school children to cognitive demands', *Monogr. Soc. Res. Child Devel.*, vol. 33, no. 117.

284. HESS, R. D. (1970), 'Social class and ethnic influences on socialization', in P. H. Mussen (ed.), *Carmichael's Manual of Child Psychology*, 3rd edn, Wiley, New York.

285. HESS, R. D., and SHIPMAN, V. C. (1965), 'Early experience and the socialization of cognitive modes in children', *Child Devel.*, vol. 36, pp. 869–86.

286. HESS, R. D., and SHIPMAN, V. C. (1967), 'Cognitive elements in maternal behavior', in J. P. Hill (ed.), *Minnesota Symposia on Child Psychology*, vol. 1, University of Minnesota Press.

287. HETHERINGTON, E. M., COX, M., and COX, R. (1978), 'The aftermath of divorce', in J. H. Stevens, Jr, and M. Matthews (eds.), *Mother–Child, Father–Child Relations*, Washington, DC: NAEYC.

288. HETHERINGTON, E. M., COX, M., and COX, R. (1979), 'Play and social interaction in children following divorce', *J. Soc. Issues*, vol. 35, pp. 26–49.

289. HILL, O. W. (1972), 'Childhood bereavement and adult psychiatric disturbance', *J. psychosom. Res.*, vol. 16, pp. 357–60.

290. HILTON, I. (1967), 'Differences in the behavior of mothers to first-born and later-born children', *J. Pers. Soc. Psychol.*, vol. 7, pp. 282–90.

291. HINDE, R. A. (1970), *Animal Behavior*, 2nd edn, McGraw-Hill.

292. HINDE, R. A., and DAVIES, L. (1972), 'Removing infant rhesus from mother for 13 days compared with removing mother from infant', *J. Child Psychol. Psychiat.*, vol. 13, pp. 227–37.

293. HINDE, R. A., and MCGINNIS, L. (1977), 'Some factors in-

fluencing the effect of temporary mother–infant separation: some experiments with rhesus monkeys', *Psychol. Med.*, vol. 7, pp. 197–212.

294. Hinde, R. A., and Spencer-Booth, Y. (1967), 'The effect of social companions on mother–infant relations in rhesus monkeys', in D. Morris (ed.), *Primate Ethology*, Weidenfeld & Nicolson.

295. Hinde, R. A., and Spencer-Booth, Y. (1970), 'Individual differences in the responses of rhesus monkeys to a period of separation from their mothers', *J. Child Psychol. Psychiat.*, vol. 11, pp. 159–76.

296. Hinde, R. A., and Spencer-Booth, Y. (1971a), 'Towards understanding individual differences in rhesus mother–infant interaction', *Anim. Behav.*, vol. 19, pp. 165–73.

297. Hinde, R. A., and Spencer-Booth, Y. (1971b), 'Effects of brief separation from mother on rhesus monkeys', *Science*, vol. 173, pp. 111–18.

298. Hinde, R. A., and Stevenson-Hinde, J. (1976), 'Towards understanding relationships: dynamic stability', in P. P. G. Bateson and R. A. Hinde (eds.), *Growing Points in Ethology*, Cambridge University Press, pp. 451–80.

299. Hock, E. (1978), 'Working and nonworking mothers with infants: perceptions of their careers, their infants' needs, and satisfaction with mothering', *Devel. Psychol.*, vol. 14, pp. 37–43.

300. Hoffman, H. S., and Ratner, A. M. (1973), 'A reinforcement model of imprinting: implications for socialization in monkeys and man', *Psychol. Rev.*, vol. 80, pp. 527–44.

301. Hoffman, L. W. (1963), 'Research findings on the effects of maternal employment on the child', in F. I. Nye and L. W. Hoffman (eds.), *The Employed Mother in America*, Rand McNally, New York.

302. Hoffman, L. W. (1974), 'Effects of maternal employment on the child – A review of the research', *Devel. Psychol.*, vol. 10, pp. 204–28.

303. Hoffman, L. W. (1979), 'Maternal employment: 1979', *Amer. Psychol.*, vol. 34, pp. 859–65.

304. Horowitz, F. D., and Paden, L. Y. (1973), 'The effectiveness of environmental intervention programs', in B. M. Caldwell and H. N. Ricciuti (eds.), *Review of Child Development Research*, vol. 3, University of Chicago Press, Chicago.

305. Howells, J. G. (1970), 'Fallacies in child care: I. That "separation" is synonymous with "deprivation" ', *Acta Paedopsychiat.*, vol. 37, pp. 3–14.

306. HOWELLS, J. G., and LAYNG, J. (1955), 'Separation experiences and mental health: a statistical study', *Lancet*, vol. 2, pp. 285-8.
307. HUBEL, D. H., and WIESEL, T. N. (1965), 'Binocular interaction in striate cortex of kittens reared with artificial squint', *J. Neurophysiol.*, vol. 28, pp. 1041-59.
308. HUNT, J. McV. (1979), 'Psychological development: early experience', *Ann. Rev. Psychol.*, vol. 30, pp. 103-43.
309. HUSEN, T. (1951), 'The influence of schooling upon I Q', *Theoria*, vol. 17, pp. 61-8.
310. HUTCHINGS, B., and MEDNICK, S. A. (1974), 'Registered criminality in the adoptive and biological parents of registered male adoptees', in S. A. Mednick *et al.* (eds.), *Genetics, Environment and Psychopathology*, North-Holland, Amsterdam.
311. HYMOVITCH, B. (1952), 'The effects of experimental variations on problem solving in the rat', *J. comp. physiol. Psychol.*, vol. 45, pp. 313-21.
312. IGEL, G. J., and CALVIN, A. D. (1960), 'The development of affectional responses in infant dogs', *J. comp. physiol. Psychol.*, vol. 53, pp. 302-5.
313. ILLINGWORTH, R. S. (ed.) (1958), *Recent Advances in Cerebral Palsy*, Churchill, Edinburgh.
314. ILLINGWORTH, R. S., and HOLT, K. S. (1955), 'Children in hospital: some observations on their reactions with special reference to daily visiting', *Lancet*, vol. 2, pp. 1257-62.
315. ILLSLEY, R., and KINCAID, J. C. (1963), 'Social correlations of perinatal mortality', in N. R. Butler and D. G. Bonham (eds.), *Perinatal Mortality*, Livingstone, Edinburgh.
316. ILLSLEY, R., and THOMPSON, B. (1961), 'Women from broken homes', *Sociol. Rev.*, vol. 9, pp. 27-54.
317. IRVINE, E. E. (1966), 'Children in kibbutzim: thirteen years after', *J. child Psychol. Psychiat.*, vol. 7, pp. 167-78.
318. JACOBS, B. S., and MOSS, H. A. (1976), 'Birth order and sex of sibling as determinants of mother-infant interaction', *Child Devel.*, vol. 47, pp. 315-22.
319. JAMES-ROBERTS, I. (1979), 'Neurological plasticity, recovery from brain insult and child development', in H. W. Reese and L. P. Lipsitt (eds.), *Advances in Child Development and Behavior*, vol. 14, Academic Press, New York, pp. 253-319.
320. JENCKS, C., SMITH, M., ACLAND, H., BANE, M. J., COHEN, D., GINTIS, H., HEYNS, B., and MICHELSON, S. (1972), *Inequality: a reassessment of the effect of family and schooling in America*, Basic Books, New York.

321. JENSEN, A. R. (1969), 'How much can we boost I Q and scholastic achievement?', *Harv. educ. Rev.*, vol. 39, pp. 1-123.

322. JESSOR, R., and RICHARDSON, S. (1968), 'Psychosocial deprivation and personality development', in *Perspectives on Human Deprivation: Biological, Psychological and Sociological*, U S Department of Health, Education and Welfare, Washington, D C.

323. JOHNSON, M. C. (1980), 'Social adjustment of junior school children in a South Wales town' (submitted for publication).

324. JOLLY, H. (1969), 'Play is work, the role of play for sick and healthy children', *Lancet*, vol. 2, pp. 487-8.

325. JONES, H. E. (1954), 'The environment and mental development', in L. Carmichael (ed.), *Manual of Child Psychology*, Wiley.

326. KADUSHIN, A. (1970), *Adopting Older Children*, Columbia University Press, New York.

327. KAGAN, J. (1965), 'Reflection-impulsivity and reading ability in primary grade children', *Child Devel.*, vol. 36, pp. 609-28.

328. KAGAN, J., KEARSLEY, R. B., and ZELAZO, P. R. (1978), *Infancy: Its Place in Human Development*, Harvard University Press, Cambridge, Mass.

329. KAUFMAN, I. C., and ROSENBLUM, L. A. (1969a), 'The waning of the mother-infant bond in two species of macaque', in B. M. Foss (ed.), *Determinants of Infant Behaviour*, vol. 4, Methuen.

330. KAUFMAN, I. C., and ROSENBLUM, L. A. (1969b), 'Effects of separation from mother on the emotional behaviour of infant monkeys', *Ann. New York Acad. Sci.*, vol. 159, pp. 681-95.

331. KENNELL, J. H., JERAULD, R., WOLFE, H., CHESTER, D., KREGER, N. C., MCALPINE, W., STEFFA, N., and KLAUS, M. H. (1974), 'Maternal behaviour one year after early and extended post-partum contact', *Devel. Med. Child Neurol.*, vol. 16, pp. 172-9.

332. KERR, G. R., CHAMOVE, A. S., and HARLOW, H. F. (1969), 'Environmental deprivation: its effect on the growth of infant monkeys', *J. Pediat.*, vol. 75, pp. 833-7.

333. KING, R. D., and RAYNES, N. V. (1968), 'An operational measure of inmate management in residential institutions', *Soc. Sci. Med.*, vol. 2, pp. 41-53.

334. KING, R. D., RAYNES, N. V., and TIZARD, J. (1971), *Patterns of Residential Care: Sociological Studies in Institutions for Handicapped Children*, Routledge & Kegan Paul.

335. KIRK, S. A. (1958), *Early Education of the Mentally Retarded: An Experimental Study*, University of Illinois Press.

336. KISSEL, S. (1965), 'Stress-reducing properties of social stimuli', *J. Pers. Soc. Psychol.*, vol. 2, pp. 378–84.

337. KLACKENBERG, G. (1956), 'Studies in maternal deprivation in infants' homes', *Acta Pediat. (Stockholm)*, vol. 45, pp. 1–12.

338. KLAUS, M. H., and KENNELL, J. H. (1976), *Maternal-infant bonding: the impact of early separation or loss on family development*, C. V. Mosby, Saint Louis.

339. KLAUS, R. A., and GRAY, S. W. (1968), 'The Early Training Project for Disadvantaged Children: a report after five years', *Monogr. Soc. Res. Child Devel.*, vol. 33, no. 4.

340. KLINGHAMMER, E. (1967), 'Factors influencing choice of mate in altricial birds', in H. W. Stevenson, E. H. Hess and H. L. Rheingold (eds.), *Early Behavior: Comparative and Developmental Approaches*, Wiley, New York.

341. KLINGHAMMER, E., and HESS, E. H. (1964), 'Imprinting in an altricial bird: the blond ring dove', *Science*, vol. 146, pp. 265–6.

342. KOHEN-RAZ, R. (1968), 'Mental and motor development of kibbutz, institutionalized and home-reared infants in Israel', *Child Devel.*, vol. 39, pp. 489–504.

343. KOLUCHOVA, J. (1972), 'Severe deprivation in twins: a case study', *J. Child Psychol. Psychiat.*, vol. 13, pp. 107–14.

344. KOLUCHOVA, J. (1976), 'The further development of twins after severe and prolonged deprivation: a second report', *J. Child Psychol. Psychiat.*, vol. 17, pp. 181–8.

345. KORNER, A. F., CHUCK, B., and DONTCHOS, S. (1968), 'Organismic determinants of spontaneous oral behaviour in neonates', *Child Devel.*, vol. 39, pp. 1145–57.

346. KORNER, A. F., and GROBSTEIN, R. (1966), 'Visual alertness as related to soothing in neonates: implications for maternal stimulation at early deprivation', *Child Devel.*, vol. 37, pp. 867–76.

347. KOVACH, J. K., and HESS, E. H. (1963), 'Imprinting: effects of painful stimulation on the following response', *J. Comp. Physiol. Psychol.*, vol. 56, pp. 461–4.

348. KUSHLIK, A. (1968), 'Social problems of mental subnormality', in E. Miller (ed.), *Foundations of Child Psychiatry*, Pergamon.

349. LAMB, M. E. (ed.) (1976), *The Role of the Father in Child Development*, Wiley, New York.

350. LAMB, M. E. (1977a), 'Father–infant and mother–infant interaction in the first year of life', *Child Devel.*, vol. 48, pp. 167–181.
351. LAMB, M. E. (1977b), 'The development of mother–infant and father–infant attachments in the second year of life', *Devel. Psychol.*, vol. 13, pp. 637–48.
352. LAMB, M. E. (1978), 'Qualitative aspects of mother- and father-infant attachments', *Infant Behav. Devel.*, vol. 1, pp. 1–11.
353. LAMB, M. E., and STEVENSON, M. B. (1978), 'Father–infant relationships: their nature and importance', *Youth and Society*, vol. 9, pp. 277–98.
354. LAMB, M. E. (1979), 'The changing American family and its implications for infant social development: The sample case of maternal employment', in M. Lewis and L. A. Rosenblum (eds.), *The Social Network of the Developing Infant*, Wiley, New York.
355. LAMB, M. E., and EASTERBROOKS, M. A. (1980), 'Individual differences in parental sensitivity: some thoughts about origins, components and consequences', in M. E. Lamb and L. R. Sherrod (eds.), *Infant Social Cognition: empirical and theoretical considerations*, Lawrence Erlbaum, Hillsdale, N J (in press).
356. LAMBERT, L., ESSEN, J., and HEAD, J. (1977), 'Variations in behaviour ratings of children who have been in care', *J. Child Psychol. Psychiat.*, vol. 18, pp. 335–46.
357. LANGNER, T. S., and MICHAEL, S. T. (1963), *Life Stress and Mental Health*, Collier-Macmillan, London.
358. LASKO, J. K. (1954), 'Parent behavior toward first and second children', *Genet. Psychol. Monogr.*, vol. 49, pp. 96–137.
359. LAVIK, N. (1977), 'Urban–rural differences in rates of disorder', in P. J. Graham (ed.), *Epidemiological Approaches in Child Psychiatry*, Academic Press, London.
360. LAWTON, D. (1968), *Social Class, Language and Education*, Routledge & Kegan Paul.
361. LEE, E. S. (1951), 'Negro intelligence and selective migration: a Philadelphia test of the Klineberg hypothesis', *Amer. soc. Rev.*, vol. 16, pp. 227–33.
362. LEIDERMAN, P. H. (1981), 'Human mother to infant social bonding: is there a sensitive phase?', in G. Barlow, K. Immelmann, M. Main and L. Petrinovich (eds.), *Ethology and Child Development*, Cambridge University Press (in press).
363. LEIDERMAN, P. H., and LEIDERMAN, G. F. (1974), 'Affective and cognitive consequences of polymatric infant care in the East

African highlands', in A. Pick (ed.), *Minnesota Symposium in Psychology*, vol. 8, pp. 81–119, University of Minnesota Press, Minneapolis.

364. Leiderman, P. H., and Seashore, M. J. (1975), 'Mother-infant neonatal separation: some delayed consequences', in R. Porter and M. O'Connor (eds.), *Parent–Infant Interaction*, Ciba Foundation Symposium 33 (new series), Associated Scientific Publishers, Amsterdam.
365. Lenneberg, E. H. (1967), *Biological Foundations of Language*, Wiley, New York.
366. Levine, S. (1962), 'The effects of infantile experience on adult behavior', in A. J. Bachrach (ed.), *Experimental Foundations of Clinical Psychology*, Basic Books, New York.
367. Levine, S. (1969), 'An endocrine theory of infantile stimulation', in A. Ambrose (ed.), *Stimulation in Infancy*, Academic Press, London.
368. Levine, S., Chevalier, J. A., and Korchin, S. J. (1956), 'The effects of early shock and handling on later avoidance learning', *J. Pers.*, vol. 24, pp. 475–93.
369. Levitin, T. E. (1979), 'Children of divorce: an introduction', *J. Social Issues*, vol. 35, pp. 1–25.
370. Levy, D. M. (1958), *Behavioral Analysis: Analysis of Clinical Observations of Behavior as Applied to Mother–Newborn Relationships*, C. C. Thomas, Springfield, Ill.
371. Lewis, H. (1954), *Deprived Children*, Oxford University Press.
372. Lewis, M., and Kreitzberg, V. S. (1979), 'Effects of birth order and spacing on mother–infant interactions', *Devel. Psychol.*, vol. 15, pp. 617–25.
373. Lewis, M., and Rosenblum, L. A. (eds.) (1974), *The Effect of the Infant on Its Caregiver*, Wiley, New York.
374. Liddell, H. (1950), 'Some specific factors that modify tolerance for environmental stress', in *Life Stress and Bodily Disease*, Assoc. Res. Nerv. Ment. Dis., Williams & Wilkins, Baltimore, Md.
375. Lieberman, A. F. (1977), 'Preschoolers' competence with a peer: relations with attachment and peer experience', *Child Devel.*, vol. 48, pp. 1277–87.
376. Lindsley, D., and Riesen, A. (1968), 'Biological substrates of development and behavior', in *Perspectives on Human Deprivation: Biological, Psychological and Sociological*, U S Department of Health, Education and Welfare, Washington, D C.
377. Littenberg, R., Tulkin, S., and Kagan, J. (1971), 'Cog-

nitive components of separation anxiety', *Devel. Psychol.*, vol. 4, pp. 387–8.

378. LORENZ, K. Z. (1935), 'Der Kumpan in der Umwelt des Vogels', *J. Ornithol. Berlin*, vol. 83; reprinted in C. H. Schiller (ed.), *Instinctive Behaviour*, Methuen, 1957.
379. LORENZ, K. Z. (1937), 'The establishment of the instinct concept', in *Studies in Animal and Human Behaviour*, vol. I (trans. R. Martin), Methuen, London, 1970.
380. LUKIANOWICZ, N. (1971), 'Battered children', *Psychiatria Clinica* (Basel), vol. 4, pp. 257–80.
381. LYLE, J. G. (1959), 'The effect of an institutional environment upon the verbal development of imbecile children: I. Verbal intelligence', *J. ment. Defic. Res.*, vol. 3, pp. 122–8.
382. LYLE, J. G. (1960), 'The effect of an institutional environment upon the verbal development of imbecile children: III. The Brooklands residential family unit', *J. ment. Defic. Res.*, vol. 4, pp. 14–23.
383. LYNN, D., and SAWREY, W. L. (1959), 'The effects of father-absence on Norwegian boys and girls', *J. abnorm. soc. Psychol.*, vol. 59, pp. 258–62.
384. MAAS, H. S. (1963), 'The young adult adjustment of twenty war-time residential nursery children', *Child Welf.*, vol. 42, pp. 57–72.
385. MCCALL, R. B., APPELBAUM, M. I., and HOGARTY, P. S. (1973), 'Developmental changes in mental performance', *Monogr. Soc. Res. Child Devel.*, vol. 38, no. 150.
386. MCCANDLESS, B. R. (1964), 'Relation of environmental factors to intellectual functioning', in H. A. Stevens and R. Heber (eds.), *Mental Retardation: A Review of Research*, University of Chicago Press, Chicago.
387. MACCARTHY, D., and BOOTH, E. M. (1970), 'Parental rejection and stunting of growth', *J. psychosom. Res.*, vol. 14, pp. 259–65.
388. MACCARTHY, D., LINDSAY, M., and MORRIS, L. (1962), 'Children in hospital with mothers', *Lancet*, vol. 1, pp. 603–8.
389. MCCLEARN, G. E. (1970), 'Genetic influences on behavior and development', in P. H. Mussen (ed.), *Carmichael's Manual of Child Psychology*, 3rd edn, Wiley, New York.
390. MACCOBY, E. E., DOERING, C. H., JACKLIN, C. N., KRAEMER, H., and MARKMAN, E. M. (1979), 'Concentrations of sex hormones in umbilical cord blood: their relation to sex and birth order of children', *Child Psychol.*, vol. 50, pp. 632–42.

391. Maccoby, E. E., and Feldman, S. S. (1972), 'Mother-attachment and stranger reactions in the third year of life', *Monogr. Soc. Res. Child Devel.*, vol. 37, no. 146.

392. Maccoby, E. E., and Jacklin, C. N. (1980), 'Psychological sex differences', in M. Rutter (ed.), *Scientific Foundations of Developmental Psychiatry*, Heinemann Medical.

393. Maccoby, E. E., and Masters, J. C. (1970), 'Attachment and dependency', in P. H. Mussen (ed.), *Carmichael's Manual of Child Psychology*, 3rd edn, Wiley.

394. McCord, W., and McCord, J. (1959), *The Origins of Crime: A New Evaluation of the Cambridge-Somerville Youth Study*, Columbia University Press, New York.

395. McDonald, A. D. (1964), 'Intelligence in children of very low birth weight', *Brit. J. prev. soc. Med.*, vol. 18, pp. 59–74.

396. McDonald, A. D. (1967), *Children of Very Low Birthweight*, Heinemann Medical.

397. McKinney, J. P., and Keele, T. (1963), 'Effects of increased mothering on the behavior of severely retarded boys', *Amer. J. ment. Defic.*, vol. 67, pp. 556–62.

398. Macrae, J. W., and Herbert-Jackson, E. (1976), 'Are behavioral effects of infant day-care program specific?', *Devel. Psychol.*, vol. 12, pp. 269–70.

399. Mapstone, E. (1969), 'Children in care', *Concern*, vol. 3, pp. 23–8.

400. Marantz, S. A., and Mansfield, A. F. (1977), 'Maternal employment and the development of sex-role stereotyping in five-to-eleven-year-old girls', *Child Devel.*, vol. 48, pp. 668–73.

401. Marchant, R., Howlin, P., Yule, W., and Rutter, M. (1974), 'Graded change in the treatment of the behaviour of autistic children', *J. Child Psychol. Psychiat.*, vol. 15, pp. 221–8.

402. Marris, P. (1958), *Widows and Their Families*, Routledge & Kegan Paul.

403. Marshall, W. A. (1968), *Development of the Brain*, Oliver & Boyd, Edinburgh.

404. Mason, M. K. (1942), 'Learning to speak after six and one-half years of silence', *J. speech hear. Dis.*, vol. 7, pp. 295–304.

405. Mason, W. A. (1960), 'Socially mediated reduction in emotional responses of young rhesus monkeys', *J. abnorm. soc. Psychol.*, vol. 60, pp. 100-104.

406. Mason, W. A. (1967), 'Motivational aspects of social responsive-

ness in young chimpanzees', in H. W. Stevenson, E. H. Hess and H. L. Rheingold (eds.), *Early Behavior: Comparative and Developmental Approaches*, Wiley, New York.

407. MASON, W. A. (1968), 'Early social deprivation in the non-human primates: implications for human behavior', in D. C. Glass (ed.), *Environmental Influences*, Russell Sage Foundation, New York.

408. MASON, W. A., and BERKSON, G. (1975), 'Effects of maternal motility on the development of rocking and other behaviors in rhesus monkeys: a study with artificial mothers', *Devel. Psychobiol.*, vol. 8, pp. 197–211.

409. MASON, W. A., DAVENPORT, R. K., and MENZEL, E. W. (1968), 'Early experience and the social development of rhesus monkeys and chimpanzees', in G. Newton and S. Levine (eds.), *Early Experience and Behavior*, C. C. Thomas, Springfield, Ill.

410. MATAS, L., AREND, R. A., and SROUFE, L. A. (1978), 'Continuity of adaptation in the second year: the relationship between quality of attachment and later competence', *Child Devel.*, vol. 49, pp. 547–56.

411. MEAD, M. (1962), 'A cultural anthropologist's approach to maternal deprivation', in *Deprivation of Maternal Care: A Reassessment of its Effects*, World Health Organization, Geneva.

412. MEIER, E. C. (1965), 'Current circumstances of former foster children', *Child Welfare*, vol. 44, pp. 196–206.

413. MEIER, E. C. (1966), 'Adults who were foster children', *Children*, vol. 13, pp. 16–22.

414. MEIER, G. W., and MCGEE, R. K. (1959), 'A re-evaluation of the effect of early perceptual experience on discrimination performance during adulthood', *J. comp. physiol. Psychol.*, vol. 52, pp. 390–95.

415. MELZACK, R. (1965), 'Effects of early experience on behavior: experimental and conceptual considerations', in P. H. Hoch and J. Zubin (eds.), *Psychopathology of Perception*, Grune & Stratton, New York.

416. MELZACK, R., and SCOTT, T. H. (1957), 'The effects of early experience on the response to pain', *J. comp. physiol. Psychol.*, vol. 50, pp. 155–61.

417. MENZEL, E. W. (1964), 'Patterns of responsiveness in chimpanzees reared through infancy under conditions of environmental

restrictions', *Psychol. Forsch.*, vol. 27, pp. 337–65.

418. MIĆIĆ, Z. (1962), 'Psychological stress in children in hospital', *Int. nurs. Rev.*, vol. 9, pp. 23–31.

419. MILLAR, S. (1968), *The Psychology of Play*, Penguin.

420. MILLER, L. (1969), 'Child rearing in the kibbutz', in J. G. Howells (ed.), *Modern Perspectives in International Child Psychiatry*, Oliver & Boyd, Edinburgh.

421. MILLER, R. E., CAUL, W. E., and MIRSKY, I. A. (1971), 'Patterns of eating and drinking in socially isolated rhesus monkeys', *Physiol. Behav.*, vol. 7, pp. 127–35.

422. MINEKE, S., and SUOMI, S. J. (1978), 'Social separation in monkeys', *Psychol. Bull.*, vol. 85, pp. 1376–1400.

423. MISSAKIAN, E. A. (1969), 'Effects of social deprivation on the development of patterns of social behavior', *Proc. Second Int. Congr. Primatol. Atlanta, Georgia*, vol. 2, S. Karger.

424. MONAT, A., and LAZARUS, R. S. (eds.) (1977), *Stress and Coping: an anthology*, Columbia University Press, New York.

425. MOORE, T. W. (1963), 'Effects on the children', in S. Yudkin and A. Holme (eds.), *Working Mothers and Their Children*, Michael Joseph.

426. MOORE, T. W. (1964), 'Children of full-time and part-time mothers', *Int. J. soc. Psychiat.*, special congress issue no. 2.

427. MOORE, T. W. (1975), 'Exclusive early mothering and its alternatives: the outcome to adolescence', *Scand. J. Psychol.*, vol. 16, pp. 255–72.

428. MORGAN, G. A., and RICCIUTI, H. N. (1969), 'Infants' responses to strangers during the first year', in B. M. Foss (ed.), *Determinants of Infant Behaviour*, vol. 4, Methuen.

429. MOSKOWITZ, D. S., SCHWARZ, J. C., and CORSINI, D. A. (1977), 'Initiating day care at three years of age: effects on attachment', *Child Devel.*, vol. 48, pp. 1271–6.

430. MOSS, H. A. (1967), 'Sex, age and state as determinants of mother-infant interaction', *Merrill-Palmer Q.*, vol. 13, pp. 19–36.

431. MURPHY, L. B., and MORIARTY, A. E. (1976), *Vulnerability, Coping and Growth from Infancy to Adolescence*, Yale University Press, New Haven, Conn.

432. MURPHY, L. G., and associates (1962), *The Widening World of Childhood: paths toward mastery*, Basic Books, New York.

433. NAESS, S. (1962), 'Mother-separation and delinquency: further evidence', *Brit. J. Criminol.*, vol. 2, pp. 361–74.

434. NEWBERRY, P., WEISSMAN, M. W., and MYERS, J. K. (1979) 'Working wives and housewives: do they differ in mental statu and social adjustment?', *Amer. J. Orthopsychiat.*, vol. 49 pp. 282–91.

435. NISBET, J. D. (1953a), 'Family environment and intelligence *Eugen. Rev.*, vol. 45, pp. 31–40.

436. NISBET, J. D. (1953b), *Family Environment: A Direct Effect c Family Size on Intelligence*, Eugenics Society.

437. NISSEN, H. W., CHOW, K. L., and SEMMES, J. (1951), 'Effec of restricted opportunity for tactual, kinesthetic and manipul tive experience on the behavior of a chimpanzee', *Amer. Psychol.*, vol. 64, pp. 485–507.

438. NOVAK, M. A. (1979), 'Social recovery of monkeys isolated fc the first year of life: II. Long term assessment', *Devel. Psychol* vol. 15, pp. 50–61.

439. NOVAK, M. A., and HARLOW, H. F. (1975), 'Social Recovery c monkeys isolated for the first year of life: I. Rehabilitatio and therapy', *Devel. Psychol.*, vol. 11, pp. 453–65.

440. NUCKOLLS, K. B., CASSEL, J., and KAPLAN, B. H. (1972 'Psychosocial assets, life crisis and the prognosis of pregnancy *Amer. J. Epidemiol.*, vol. 95, pp. 431–41.

441. NYMAN, A. J. (1967), 'Problem solving in rats as a functio of experience at different ages', *J. genet. Psychol.*, vol. 11( pp. 31–9.

442. OAKLEY, A. (1974), *Housewife*, Allen Lane, London; Pengui Harmondsworth (1976).

443. O'CONNOR, N. (1956), 'The evidence for the permanently di turbing effects of mother–child separation', *Acta Psychol* vol. 12, pp. 174–91.

444. O'CONNOR, N. (1968), 'Children in restricted environments', i G. Newton and S. Levine (eds.), *Early Experience and Be havior*, C. C. Thomas, Springfield, Ill.

445. O'CONNOR, N., and FRANKS, C. M. (1960), 'Childhood up bringing and other environmental factors', in H. J. Eysenc (ed.), *Handbook of Abnormal Psychology*, Pitman.

446. OLEINICK, M. S., BAHN, A. K., EISENBERG, L., and LILIEN FELD, A. M. (1966), 'Early socialization experiences an intra-familial environment', *Arch. gen. Psychiat.*, vol. 15, p 344.

447. ORLANSKY, H. (1949), 'Infant care and personality', *Psychol Bull.*, vol. 46, pp. 1–48.

448. OSOFSKY, J. D., and DANZGER, B. (1974), 'Relationships between neonatal characteristics and mother–infant interaction', *Devel. Psychol.*, vol. 10, pp. 124–30.

449. OSOFSKY, J. D., and O'CONNELL, E. J. (1972), 'Parent–child interaction: daughters' effects upon mothers' and fathers' behaviors', *Devel. Psychol.*, vol. 7, pp. 157–68.

450. OYAMA, S. (1979), 'The concept of the sensitive period in developmental studies', *Merrill-Palmer Q.*, vol. 25, pp. 83–103.

451. PANNABECKER, B. J., and EMDE, R. N. (1977), 'The effects of extended father–newborn contact', in M. V. Batey (ed.), *Communicating Nursing Research*, vol. 10: *Optimizing environments for health; Nursing's unified perspective*, Western Interstate Commission for Higher Education, Boulder, Colorado.

452. PARKE, R. D., and COLLMER, C. W. (1975), 'Child abuse: an interdisciplinary analysis', in E. M. Hetherington (ed.), *Review of Child Development Research*, vol. 5, University of Chicago Press, Chicago.

453. PARKES, C. M. (1964), 'Recent bereavement as a cause of mental illness', *Brit. J. Psychiat.*, vol. 110, pp. 198–204.

454. PARKES, C. M. (1965), 'Bereavement and mental illness', *Brit. J. med. Psychol.*, vol. 38, pp. 1–26.

455. PASAMANICK, B., and KNOBLOCH, H. (1961), 'Epidemiologic studies on the complications of pregnancy and the birth process', in G. Caplan (ed.), *Prevention of Mental Disorder in Children*, Basic Books, New York.

456. PASSMAN, R. H. (1977), 'Providing attachment objects to facilitate learning and reduce distress: Effects of mothers and security blankets', *Devel. Psychol.*, vol. 13, pp. 25–8.

457. PASSMAN, R. H., and WEISBERG, P. (1975), 'Mothers and blankets as agents for promoting play and exploration by young children in a novel environment: the effects of social and nonsocial objects', *Devel. Psychol.*, vol. 11, pp. 170–77.

458. PATTERSON, F. G., BONVILLIAN, J. D., REYNOLDS, P. C., and MACCOBY, E. E. (1975), 'Mother and peer attachment under conditions of fear in rhesus monkeys (*Macaca mulatta*)', *Primates*, vol. 16, pp. 75–81.

459. PATTON, R. G., and GARDNER, L. I. (1963), *Growth Failure in Maternal Deprivation*, C. C. Thomas, Springfield, Ill.

460. PAYKEL, E. S., MYERS, J. K., DIENELT, M. N., KLERMAN, C. L., LINDETHAL, L. J., and PEPPER, M. P. (1969), 'Life

events and depression: a controlled study', *Arch. Gen. Psychiat.*, vol. 21, pp. 753–60.

461. PAYKEL, E. S., EMMS, E. M., FLETCHER, J., and RASSABY, E. S. (1980), 'Life events and social support in puerperal depression', *Brit. J. Psychiat.*, vol. 136, pp. 339–46.

462. PETERSON, D. R., BECKER, W. C., HELLMER, C. A., SHOEMAKER, D. J., and QUAY, H. C. (1959), 'Parental attitudes and child adjustment', *Child Devel.*, vol. 30, pp. 119–30.

463. PILLING, D., and PRINGLE, M. L. K. (1978), *Controversial Issues in Child Development*, Paul Elek, London.

464. PORTER, B., and O'LEARY, K. D. (1980), 'Marital discord and childhood behavior problems', *J. Abn. Child Psychol.*, vol. 8, pp. 287–95.

465. PORTNOY, F. C., and SIMMONS, C. H. (1978), 'Day care and attachment', *Child Devel.*, vol. 49, pp. 239–42.

466. POWELL, G. F., BRASEL, J. A., and BLIZZARD, R. M. (1967), 'Emotional deprivation and growth retardation simulating idiopathic hypopituitarism: I. Clinical evaluation of the syndrome', *New Eng. J. Med.*, vol. 276, pp. 1271–8.

467. POWELL, G. F., BRASEL, J. A., RAITI, S., and BLIZZARD, R. M. (1967), 'Emotional deprivation and growth retardation simulating idiopathic hypopituitarism: II. Endocrinologic evaluation of the syndrome', *New Eng. J. Med.*, vol. 276, pp. 1279–83.

468. POWER, M. J., ASH, P. M., SCHOENBERG, E., and SOREY, E. C. (1974), 'Delinquency and the family', *Brit. J. Soc. Work*, vol. 4, pp. 13–38.

469. PRATT, M. W., BUMSTEAD, D. C., and RAYNES, N. V. (1976), 'Attendant staff speech to the institutionalized retarded: language use as a measure of the quality of care', *J. Child Psychol. Psychiat.*, vol. 17, pp. 133–44.

470. PRECHTL, H. F. R. (1963), 'The mother–child interaction in babies with minimal brain damage', in B. M. Foss (ed.), *Determinants of Infant Behaviour*, vol. 2, Methuen.

471. PREMACK, D. (1971), 'Language in chimpanzee?', *Science*, vol. 172, pp. 808–22.

472. PRINGLE, M. L. K. (1976), 'Rights of adults or needs of children?', *Times Educational Supplement*, 23 July.

473. PRINGLE, M. L. K., and BOSSIO, V. (1958a), 'Intellectual, emotional and social development of deprived children', *Vita Humana*, vol. 1, pp. 66–92.

474. PRINGLE, M. L. K., and BOSSIO, V. (1958b), 'Language development and reading attainment of deprived children', *Vita Humana*, vol. 1, pp. 142–70.

475. PRINGLE, M. L. K., and BOSSIO, V. (1960), 'Early prolonged separations and emotional adjustment', *J. Child Psychol. Psychiat.*, vol. 1, pp. 37–48.

476. PRINGLE, M. L. K., and CLIFFORD, L. (1962), 'Conditions associated with emotional maladjustment among children in care', *Educ. Rev.*, vol. 14, pp. 112–23.

477. PRINGLE, M. L. K., and TANNER, M. (1958), 'The effects of early deprivation on speech development', *Lang. Speech*, vol. 1, pp. 269–87.

478. PROVENCE, S., and LIPTON, R. C. (1962), *Infants in Institutions*, International Universities Press, New York.

479. PRUGH, D. G., STAUB, E. M., SANDS, H. H., KIRSCHBAUM, R. L., and LENIHAN, E. A. (1953), 'A study of the emotional reactions of children and families to hospitalization and illness', *Amer. J. Orthopsychiat.*, vol. 23, pp. 70–106.

480. QUINTON, D., and RUTTER, M. (1976), 'Early hospital admissions and later disturbances of behaviour: An attempted replication of Douglas's findings', *Devel. Med. Child Neurol.*, vol. 18, pp. 447–59.

481. QUINTON, D., and RUTTER, M. (1980a), 'Parents with children in care: 1. Current circumstances and parenting skills', *J. Child Psychol. Psychiat.* (in press).

482. QUINTON, D., and RUTTER, M. (1980b), 'Parents with children in care: 2. Intergenerational continuities', *J. Child Psychol. Psychiat.* (in press).

483. RADLOFF, L. (1975), 'Sex differences in depression: The effects of occupation and marital status', *Sex Roles*, vol. 1, pp. 249–65.

484. RAJEKI, D. W., LAMB, M. E., and OBMASCHER, P. (1978), 'Toward a general theory of infantile attachment: a comparative review of aspects of the social bond', *Behav. Brain Sciences*, vol. 3, pp. 417–64.

485. RAPH, J. B., THOMAS, A., CHESS, S., and KORN, S. J. (1968), 'The influence of nursery school on social interactions', *Amer. J. Orthopsychiat.*, vol. 38, pp. 144–52.

486. RATHBUN, C., DI VIRGILIO, L., and WALDFOGEL, S. (1958), 'The restitutive process in children following radical separation from family and culture', *Amer. J. Orthopsychiat.*, vol. 28, pp. 408–15.

487. RATHBUN, C., MCLAUGHLIN, H., BENNETT, C., and GARLAND, J. A. (1965), 'Later adjustment of children following radical separation from family and culture', *Amer. J. Orthopsychiat.*, vol. 35, pp. 604–9.

488. REED, G., and LEIDERMAN, P. H. (1981), 'Age-related changes

in attachment behavior in polymatrically reared infants: the Kenyan Gusii', in T. Field, P. H. Leiderman *et al.* (eds.), *Culture and Infant Interaction*, Lawrence Erlbaum, New York.

489. RHEINGOLD, H. L. (1956), 'The modification of social responsiveness in institutional babies', *Monogr. Soc. Res. Child Devel.*, vol. 21, suppl. 63.

490. RHEINGOLD, H. L. (1960), 'The measurement of maternal care', *Child Devel.*, vol. 31, pp. 565–75.

491. RHEINGOLD, H. L. (1961), 'The effect of environmental stimulation upon social and exploratory behaviour in the human infant', in B. M. Foss (ed.), *Determinants of Infant Behaviour*, vol. 1, Methuen.

492. RHEINGOLD, H. L. (1963), *Maternal Behavior in Mammals*, Wiley, New York.

493. RHEINGOLD, H. L. (1969), 'The effect of a strange environment on the behaviour of infants', in B. M. Foss (ed.), *Determinants of Infant Behaviour*, vol. 4, Methuen.

494. RHEINGOLD, H. L., and BAYLEY, N. (1959), 'The later effects of an experimental modification of mothering', *Child Devel.*, vol. 30, pp. 363–72.

495. RHEINGOLD, H. L., and ECKERMAN, C. O. (1973), 'Fear of the stranger: a critical examination', in H. W. Reese (ed.), *Advances in Child Development and Behavior*, vol. VIII, Academic Press, New York.

496. RHEINGOLD, H. L., GEWIRTZ, J., and ROSS, H. (1959), 'Social conditioning of vocalizations in the infant', *J. comp. physiol. Psychol.*, vol. 52, pp. 68–73.

497. RHEINGOLD, H. L., and SAMUELS, H. R. (1969), 'Maintaining the positive behaviour of infants by increased stimulation', *Devel. Psychol.*, vol. 1, pp. 520–27.

498. RICCIUTI, H. (1974), 'Fear and development of social attachments in the first year of life', in M. Lewis and L. A. Rosenblum (eds.), *The Origins of Human Behavior: Fear*, Wiley, New York.

499. RICHARDS, M. P. M. (1978), 'Possible effects of early separation on later development of children – a review', in F. S. W. Brimblecombe, M. P. M. Richards and N. R. C. Robertson (eds.), *Separation and Special Care Baby Units*, Clinics in Developmental Medicine, no. 68, pp. 12–32, Heinemann/S I M P, London.

500. RIESEN, A. H. (1965), 'Effects of early deprivation of photic stimulation', in S. F. Osler and R. E. Cooke (eds.), *The Biosocial Basis of Mental Retardation*, Johns Hopkins Press, Baltimore.

501. RIESEN, A. H. (1975), *The Developmental Neuropsychology of Sensory Deprivation*, Academic Press, New York.
502. ROBERTSON, J. (1952), *A Two Year Old Goes to Hospital* (16 mm sound film with guidebook), Tavistock Child Development Research Unit.
503. ROBERTSON, J. (1958), *Going to Hospital with Mother* (16 mm sound film with guidebook), Tavistock Child Development Research Unit.
504. ROBERTSON, J. (ed.) (1962), *Hospitals and Children: A Parent's-Eye View*, Gollancz.
505. ROBERTSON, J., and BOWLBY, J. (1952), 'Responses of young children to separation from their mothers', *Courr. Cent. Int. Enf.*, vol. 2, pp. 131–42.
506. ROBERTSON, J., and ROBERTSON, J. (1967), *Young Children in Brief Separation: I. Kate, Aged Two Years Five Months in Fostercare for Twenty-Seven Days*, Tavistock Child Development Research Unit.
507. ROBERTSON, J., and ROBERTSON, J. (1968a), *Young Children in Brief Separation: II. Jane, Aged Seventeen Months in Foster-care for Ten Days*, Tavistock Child Development Research Unit.
508. ROBERTSON, J., and ROBERTSON, J. (1968b), *Young Children in Brief Separation: III. John, Aged Seventeen Months Nine Days in a Residential Nursery*, Tavistock Child Development Research Unit.
509. ROBERTSON, J., and ROBERTSON, J. (1971), 'Young children in brief separation: a fresh look', *Psychoanalytic Study of the Child*, vol. 26, pp. 264–315.
510. ROBERTSON, J., and ROBERTSON, J. (1977), 'Taking the side of the under-threes', *Australian Women's Weekly*, 20 July.
511. ROBINS, L. N. (1966), *Deviant Children Grown Up*, Williams & Wilkins, Baltimore.
512. ROBINS, L. N. (1970), 'The adult development of the antisocial child', *Seminar Psychiat.*, vol. 2, pp. 420–34.
513. ROBINS, L. N., WEST, P. A., and HERJANIC, B. L. (1975), 'Arrests and delinquency in two generations: a study of black urban families and their children', *J. Child Psychol. Psychiat.*, vol. 16, pp. 125–40.
514. ROBINSON, W. P., and RACKSTRAW, S. J. (1967), 'Variations

in mother's answers to children's questions as a function of social class, verbal intelligence test scores and sex', *Sociology*, vol. 1, pp. 259–76.

515. ROGERS, C. M., and DAVENPORT, R. K. (1971), 'Intellectual performance of differentially reared chimpanzees: III. Oddity', *Amer. J. ment. Defic.*, vol. 75, pp. 526–30.

516. ROHNER, R. P. (1975), 'They love me, they love me not: a worldwide study of the effects of parental acceptance and rejection', Human Relations Area Files, Inc., New York.

517. ROOPNARINE, J. L., and LAMB, M. E. (1979), 'The effects of day care on attachment and exploratory behavior in a strange situation', *Merrill-Palmer Q.*, vol. 24, pp. 85–95.

518. ROSE, R. J., HARRIS, E. L., CHRISTIAN, J. C., and NANCE, W. E. (1979), 'Genetic variance in non-verbal intelligence: data from the kinships of identical twins', *Science*, vol. 205, pp. 1153–1155.

519. ROSENBLATT, J. S. (1975), 'Prepartum and postpartum regulation of maternal behavior in the rat', in R. Porter and M. A. O'Connor (eds.), *Parent–Infant Interaction*, Ciba Foundation Symposium 33 (new series), Associated Scientific Publishers, Amsterdam.

520. ROSENBLUM, L. A. (1971a), 'Infant attachment in monkeys', in H. R. Schaffer (ed.), *The Origins of Human Social Relations*, Academic Press.

521. ROSENBLUM, L. A., and HARLOW, H. F. (1963), 'Approach-avoidance conflict in the mother-surrogate situation', *Psychol. Rep.*, vol. 12, pp. 83–5.

522. ROSENTHAL, M. K. (1973), 'Attachment and mother–infant interaction: some research impasses and a suggested change in orientation', *J. Child Psychol. Psychiat.*, vol. 14, pp. 201–7.

523. ROSENTHAL, R., and JACOBSON, L. F. (1968), *Pygmalion in the Classroom: Teacher Expectation and Pupils' Intellectual Development*, Holt, Rinehart & Winston, New York.

524. ROSENZWEIG, M. R., and BENNETT, E. L. (1977), 'Effects of environmental enrichment or impoverishment on learning and on brain values in rodents', in A. Oliviero (ed.), *Genetics, Environment and Intelligence*, North-Holland, Amsterdam, pp. 163–96.

525. ROSENZWEIG, M. R., BENNETT, E. L., and DIAMOND, M. C. (1967), 'Effects of differential environments on brain anatomy and brain chemistry', in J. Zubin and G. A. Jervis (eds.), *Psychopathology of Mental Development*, Grune & Stratton.

526. ROSENZWEIG, M. R., KRECH, D., BENNETT, E. L., and DIAMOND, M. C. (1968), 'Modifying brain chemistry and anatomy by enrichment or impoverishment of experience', in G. Newton and S. Levine (eds.), *Early Experience and Behavior*, C. C. Thomas, Springfield, Ill.

527. ROSS, G., KAGAN, J., ZELAZO, P., and KOTELCHUCK, M. (1975), 'Separation protest in infants in home and laboratory', *Devel. Psychol.*, vol. 11, pp. 256–7.

528. ROSS, J. M., and SIMPSON, H. R. (1971), 'The National Survey of Health and Development: II. Rate of school progress between 8 and 15 years and between 15 and 18 years', *Brit. J. educ. Psychol.*, vol. 41, pp. 125–35.

529. ROTHBART, M. K. (1971), 'Birth order and mother-child interaction in an achievement situation', *J. Pers. Soc. Psychol.*, vol. 17, pp. 113–20.

530. ROUDINESCO, J., and APPELL, G. (1950), 'Les répercussions de la stabilization hospitalière sur le développement psychomoteur des jeunes enfants', *Semaine des Hôpitaux de Paris*, vol. 26, pp. 2271-3. Abstract in R. Dinnage and M. L. K. Pringle, *Residential Child Care: Facts and Fallacies*, Longman, 1967.

531. ROUDINESCO, J., and APPELL, G. (1951), 'De certains répercussions de la carence de soins maternels et de la vie en collectivité sur les enfants de 1 à 4 ans', *Bulletins et Mémoires de la Société Médicale des Hôpitaux de Paris*, vol. 67, pp. 106–20. Abstract in R. Dinnage and M. L. K. Pringle, *Residential Child Care: Facts and Fallacies*, Longman, 1967.

532. ROWNTREE, G. (1955), 'Early childhood in broken families', *Pop. Stud.*, vol. 8, pp. 247–63.

533. ROY, A. (1978), 'Vulnerability factors and depression in women', *Brit. J. Psychiat.*, vol. 133, pp. 106–10.

534. RUBENSTEIN, J. L., and HOWES, C. (1976), 'The effect of peers on toddler interaction with mother and toys', *Child Devel.*, vol. 47, pp. 597–605.

535. RUBENSTEIN, J. L., and HOWES, C. (1979), 'Caregiving and infant behavior in day care and in homes', *Devel. Psychol.*, vol. 15, pp. 1–24.

536. RUBENSTEIN, J. L., PEDERSEN, F. A., and YARROW, L. J. (1977), 'What happens when mother is away: a comparison of mothers and substitute caregivers', *Devel. Psychol.*, vol. 13, pp. 529–30.

537. RUPPENTHAL, G. C., ARLING, G. L., HARLOW, H. F., SACKETT, G. P., and SUOMI, S. J. (1976), 'A 10-year perspective of motherless-mother monkey behavior', *J. Abn. Psychol.*, vol. 85, pp. 341–9.

538. RUTTER, M. (1966), *Children of Sick Parents: An Environmental and Psychiatric Study*, Oxford University Press.

539. RUTTER, M. (1967), 'A children's behaviour questionnaire for completion by teachers: preliminary findings', *J. Child Psychol. Psychiat.*, vol. 8, pp. 1–11.

540. RUTTER, M. (1970a), 'Autistic children: infancy to adulthood', *Seminars in Psychiatry*, vol. 2, pp. 435–50.

541. RUTTER, M. (1970b), 'Sex differences in children's responses to family stress', in E. J. Anthony and C. M. Koupernik (eds.), *The Child in His Family*, Wiley, New York.

542. RUTTER, M. (1971a), 'Parent–child separation: psychological effects on the children', *J. Child Psychol. Psychiat.*, vol. 12, pp. 233–60.

543. RUTTER, M. (1971b), 'Normal psychosexual development', *J. Child Psychol. Psychiat.*, vol. 11, pp. 259–83.

544. RUTTER, M. (1972a), 'Language retardation and psychological development', in M. Rutter and J. A. M. Martin (eds.), *Young Children with Delayed Speech*, Heinemann/S I M P, London.

545. RUTTER, M. (1972b), 'Maternal deprivation reconsidered', *J. psychosom. Res.*, vol. 16, pp. 241–50.

546. RUTTER, M. (1974), 'Dimensions of Parenthood: some myths and some suggestions', in Department of Health and Social Security Report: *The Family in Society: Dimensions of Parenthood*, H M S O, London.

547. RUTTER, M. (1975), *Helping Troubled Children*, Penguin, Harmondsworth; Plenum, New York, 1976.

548. RUTTER, M. (1977a), 'Brain damage syndromes in childhood: concepts and findings', *J. Child Psychol. Psychiat.*, vol. 18, pp. 1–21.

549. RUTTER, M. (1977b), 'Prospective studies to investigate behavioral change', in J. S. Strauss, H. M. Babigian and M. Roff (eds.), *The Origins and Course of Psychopathology*, Plenum, New York.

550. RUTTER, M. (1977c), 'Individual differences', in M. Rutter and L. Hersov (eds.), *Child Psychiatry: Modern Approaches*, Blackwell Scientific, Oxford.

551. RUTTER, M. (1977d), 'Separation, loss and family relationships', in M. Rutter and L. Hersov (eds.), *Child Psychiatry: Modern Aproaches*, Blackwell Scientific, Oxford.

552. RUTTER, M. (1978a), 'Early sources of security and competence', in J. S. Bruner and A. Garten (eds.), *Human Growth and Development*, Oxford University Press, London.

553. RUTTER, M. (1978b), 'Family, area and school influences in the genesis of conduct disorders', in L. Hersov, M. Berger and D. Shaffer (eds.), *Aggression and Antisocial Behaviour in Childhood and Adolescence* (J. Child Psychol. Psychiat. Monogr. Series no. 1), Pergamon, Oxford.

554. RUTTER, M. (1979a), 'Maternal deprivation, 1972–1978: new findings, new concepts, new approaches', *Child Devel.*, vol. 50, pp. 283–305.

555. RUTTER, M. (1979b), 'Protective factors in children's responses to stress and disadvantage', in M. W. Kent and J. E. Rolf (eds.), *Primary Prevention of Psychopathology: 3. Social Competence in Children*, University Press of New England, Hanover, NH.

556. RUTTER, M. (1979c), *Changing Youth in a Changing Society: Patterns of Adolescent Development and Disorder*, Nuffield Provincial Hospitals Trust, London (Harvard Univ. Press, Cambridge, Mass., 1980).

557. RUTTER, M. (1979d), 'Separation experiences: a new look at an old topic', *J. Pediat.*, vol. 95, pp. 147–54.

558. RUTTER, M. (1980a), 'Attachment and the development of social relationships', in M. Rutter (ed.), *Scientific Foundations of Developmental Psychiatry*, Heinemann Medical.

559. RUTTER, M. (1980b), 'Emotional development', in M. Rutter (ed.), *Scientific Foundations of Developmental Psychiatry*, Heinemann Medical.

560. RUTTER, M. (1980c), 'The city and the child', *Amer, J. Orthopsychiat.* (in press).

561. RUTTER, M. (1980d), 'Psychological *sequelae* of brain damage in childhood', *Amer. J. Psychiat.* (in press).

562. RUTTER, M. (1981), 'Social/emotional consequences of day care for pre-school children', *Amer. J. Orthopsychiat.* (in press).

563. RUTTER, M. (1980e), 'The long-term effects of early experience', *Devel. Med. Child Neurol.*, vol. 22, pp. 800–815.

564. RUTTER, M., BIRCH, H. G., THOMAS, A., and CHESS, S. (1964), 'Temperamental characteristics in infancy and the later

development of behavioural disorders', *Brit. J. Psychiat.*, vol. 110, pp. 651–61.

565. RUTTER, M., and BROWN, G. W. (1966), 'The reliability and validity of measures of family life and relationships in families containing a psychiatric patient', *Soc. Psychiat.*, vol. 1, pp. 38–53.

566. RUTTER, M., COX, A., TUPLING, C., BERGER, M., and YULE, W. (1975), 'Attainment and adjustment in two geographical areas: I. The prevalence of psychiatric disorder', *Brit. J. Psychiat.*, vol. 126, pp. 493–509.

567. RUTTER, M., GRAHAM, P., and YULE, W. (1970), *A Neuropsychiatric Study in Childhood*, Heinemann.

568. RUTTER, M., KORN, S., and BIRCH, H. G. (1963), 'Genetic and environmental factors in the development of "primary reaction patterns"', *Brit. J. soc. clin. Psychol.*, vol. 2, pp. 161–73.

569. RUTTER, M., and MADGE, N. (1976), *Cycles of Disadvantage: a Review of Research*, Heinemann Educational, London.

570. RUTTER, M., MAUGHAN, B., MORTIMORE, P., and OUSTON, J. (1979), *15,000 Hours: Secondary Schools and their Effects on Children*, Open Books, London; Harvard University Press.

571. RUTTER, M., and MITTLER, P. (1972), 'Environmental influences on language development', in M. Rutter and J. A. M. Martin (eds.), *The Child with Delayed Speech*, Heinemann/SIMP.

572. RUTTER, M., and QUINTON, D. (1977), 'Psychiatric disorder – ecological factors and concepts of causation', in H. McGurk (ed.), *Ecological Factors in Human Development*, North-Holland, Amsterdam.

573. RUTTER, M., TIZARD, J., and WHITMORE, K. (eds.) (1970), *Education, Health and Behaviour*, Longman.

574. RUTTER, M., YULE, B., QUINTON, D., ROWLANDS, O., YULE, W., and BERGER, M. (1975), 'Attainment and adjustment in two geographical areas: III. Some factors accounting for area differences', *Brit. J. Psychiat.*, vol. 126, pp. 520–33.

575. SACKETT, G. P. (1968), 'Abnormal behavior in laboratory-reared rhesus monkeys', in M. W. Fox (ed.), *Abnormal Behavior in Animals*, Saunders, New York.

576. SAINSBURY, P. (1971), 'Moving house and psychiatric morbidity', Paper presented at Annual Conference of Society for Psychosomatic Research, London, 1971.

577. SAMEROFF, A. J., and CHANDLER, M. J. (1975), 'Reproductive risk and the continuum of caretaking casualty', in F. D. Horo-

*Childhood Behaviour and Mental Health*, University of London Press.

606. SHIELDS, J. (1968), 'Psychiatric genetics', in M. Shepherd and D. L. Davies (eds.), *Studies in Psychiatry*, Oxford University Press.

607. SHIELDS, J. (1973), 'Heredity and psychological abnormality', in H. J. Eysenck (ed.), *Handbook of Abnormal Psychology* (2nd edn), Pitman, pp. 540–603.

608. SHIELDS, J. (1977), 'Polygenic influences', in M. Rutter and L. Hersov (eds.), *Child Psychiatry: Modern Approaches*, Blackwell Scientific, Oxford, pp. 22–46.

609. SHIELDS, J. (1980), 'Genetics and mental development', in M. Rutter (ed.), *Scientific Foundations of Developmental Psychiatry*, Heinemann Medical.

610. SIDOWSKI, J. B. (1970), 'Altruism, helplessness and distress: effects of physical restraint on the social and play behaviors of infant monkeys', *Proc. Seventy-Eighth Ann. Conv. Amer. Psychol. Assn.*

611. SIEGEL, A. E., and HAAS, M. B. (1963), 'The working mother: a review of research', *Child Devel.*, vol. 34, pp. 513–42.

612. SIEGEL, G. M., and HARKINS, J. P. (1963), 'Verbal behavior of adults in two conditions with institutionalized retarded children', *J. Speech and Hearing Disorders* (Monograph Supplement), vol. 10, pp. 39–47.

613. SILVER, H. K., and FINKELSTEIN, M. (1967), 'Deprivation dwarfism', *J. Pediat.*, vol. 70, pp. 317–24.

614. SKEELS, H. M. (1942), 'A study of the effects of differential stimulation on mentally retarded children: follow-up report', *Amer. J. ment. Def.*, vol. 46, pp. 340-50.

615. SKEELS, H. M. (1966), 'Adult status of children with contrasting early life experiences', *Monogr. Soc. Res. Child Devel.*, vol. 31, pp. 1–56.

616. SKEELS, H. M., and DYE, H. (1939), 'A study of the effects of differential stimulation on mentally retarded children', *Proc. Amer. Assn Ment. Def.*, vol. 44, pp. 114–36.

617. SKEELS, H. M., and FILLMORE, E. A. (1937), 'The mental development of children from underprivileged homes', *J. genet. Psychol.*, vol. 50, pp. 427–39.

618. SKEELS, H. M., and HARMS, I. (1948), 'Children with inferior social histories: their mental development in adoptive homes', *J. genet. Psychol.*, vol. 72, pp. 283–94.

619. SKEELS, H. M., UPDEGRAFF, R., WELLMAN, B. L., and WILLIAMS, H. M. (1938), 'A study of environmental stimulation: an orphanage preschool project', *Univ. Iowa Stud. child Welf.*, vol. 15, no. 4.

620. SKINNER, A. E., and CASTLE, R. L. (1969), *78 Battered Children: A Retrospective Study*, National Association for the Prevention of Cruelty to Children.

621. SKODAK, M., and SKEELS, H. M. (1949), 'A final follow-up study of one hundred adopted children', *J. genet. Psychol.*, vol. 75, pp. 85–125.

622. SLUCKIN, W. (1970), *Early Learning in Man and Animal*, Allen & Unwin.

623. SLUCKIN, W. (1973), *Imprinting and Early Learning* (2nd edn), Aldine Publishing Co., Chicago.

624. SMITH, C., and LLOYD, B. (1978), 'Maternal behavior and perceived sex of infant: revisited', *Child Devel.*, vol. 49, pp. 1263–5.

625. SMITH, S. M. (1975), *The Battered Child Syndrome*, Butterworth.

626. SNOW, C. E., and FERGUSON, C. A. (eds.) (1977), *Talking to Children: Language input and acquisition*, Cambridge University Press.

627. SNOW, C. E., and HOEFNAGEL-HOHLE, M. (1978), 'The critical period for language acquisition: evidence from second language learning', *Child Devel.*, vol. 49, pp. 1114–28.

628. SPELKE, E., ZELAZO, P., KAGAN, J., and KOTELCHUCK, M. (1973), 'Father interaction and separation protest', *Devel. Psychol.*, vol. 9, pp. 83–90.

629. SPENCER-BOOTH, Y. (1970), 'The relationships between mammalian young and conspecifics other than mothers and peers: a review', in D. S. Lehrman, R. A. Hinde, and E. Shaw (eds), *Advances in the Study of Behavior*, vol. 3, Academic Press, New York.

630. SPENCER-BOOTH, Y., and HINDE, R. A. (1971a), 'Effects of 6 days' separation from mother on 18 to 32-week-old rhesus monkeys', *Anim. Behav.*, vol. 19, pp. 174–91.

631. SPENCER-BOOTH, Y., and HINDE, R. A. (1971b), 'Effects of brief separations from mothers during infancy on behavior a review', in D. S. Lehrman, R. A. Hinde, and E. Shaw (eds.), *Psychiat.*, vol. 12, pp. 157–72.

632. SPINETTA, J. J., and RIGLER, D. (1972), 'The child-abusing parent: a psychological review', *Psychol. Bull.*, vol. 77, pp. 296–304.

633. SPIRO, M. E. (1958), *Children of the Kibbutz*, Oxford University Press.

634. SPITZ, R. A. (1946), 'Anaclitic depression', *Psychoanalytic Study of the Child*, vol. 2, pp. 313–42.

635. SPRADLIN, J. E., and ROSENBERG, S. (1964), 'Complexity of adult verbal behavior in a dyadic situation with retarded children', *J. Abn. Soc. Psychol.*, vol. 68, pp. 694–8.

636. SPROTT, W. J. H., JEPHCOTT, A. P., and CARTER, M. P. (1955), *The Social Background of Delinquency*, University of Nottingham.

637. SROUFE, L. A. (1977), 'Early Experience: evidence and myth', *Contemporary Psychology*, vol. 22, pp. 878–80.

638. SROUFE, L. A. (1979), 'The coherence of individual development: early care, attachment and subsequent developmental issues', *Amer. Psychol.*, vol. 34, pp. 834–41.

639. SROUFE, L. A., and WATERS, E. (1977), 'Attachment as an organizational construct', *Child Devel.*, vol. 48, pp. 1184–99.

640. STACEY, M., DEARDEN, R., PILL, R., and ROBINSON, D. (1970), *Hospitals, Children and Their Families: The Report of a Pilot Study*, Routledge & Kegan Paul.

641. STARR, R. H. (1971), 'Cognitive development in infancy: assessment, acceleration and actualization', *Merrill-Palmer Q.*, vol. 17, pp. 153–86.

642. STAYTON, D. J., and AINSWORTH, M. D. S. (1973), 'Individual differences in infant response to brief, everyday separations as related to other infant and maternal behaviors', *Devel. Psychol.*, vol. 9, pp. 213–25.

643. STAYTON, D. J., AINSWORTH, M. D. S., and MAIN, M. B. (1973), 'Development of separation behavior in the first year of life: protest, following, and greeting', *Devel. Psychol.*, vol. 9, pp. 213–25.

644. STEDMAN, D. J., and EICHORN, D. H. (1964), 'A comparison of the growth and development of institutionalized and home-reared mongoloids during infancy and early childhood', *Amer. J. ment. Def.*, vol. 69, pp. 391–401.

645. STEELE, B. F., and POLLOCK, C. B. (1968), 'A psychiatric study

of parents who abuse infants and small children', in R. E. Helfer and C. H. Kempe (eds.), *The Battered Child*, University of Chicago Press.

646. STEIN, D. G., ROSEN, J. J., and BUTTERS, N. (eds.) (1974), *Plasticity and recovery of functions in the central nervous system*, Academic Press, New York.

647. STEIN, Z. A., and KASSAB, H. (1970), 'Nutrition', in J. Wortis (ed.), *Mental Retardation*, vol. 2, Grune & Stratton, New York.

648. STEIN, Z. A., and SUSSER, M. (1966), 'Nocturnal enuresis as a phenomenon of institutions', *Devel. Med. child Neurol.*, vol. 8, pp. 677–85.

649. STEIN, Z. A., and SUSSER, M. (1967), 'The social dimensions of a symptom', *Soc. Sci. Med.*, vol. 1, pp. 183–201.

650. STEIN, Z. A., and SUSSER, M. (1970), 'Mutability of intelligence and epidemiology of mild mental retardation', *Rev. educ. Res.*, vol. 40, pp. 29–67.

651. STEINSCHNEIDER, A. (1967), 'Developmental psychophysiology', in Y. Brackbill (ed.), *Infancy and Early Childhood*, Free Press.

652. STERN, D., JAFFE, J., BEEBE, B., and BENNETT, S. L. (1975), 'Vocalizing in unison and in alternation: two modes of communication within the mother–infant dyad', *Annals of the New York Academy of Sciences*, vol. 263, pp. 89–100.

653. STEVENS, A. (1975), *Attachment and Polymatric Rearing. A study of attachment formation, separation anxiety and fear of strangers in infants reared by multiple mothering in an institutional setting* (unpublished D M thesis, University of Oxford). ford).

654. STEVENSON, H. W., PARKER, T., WILKINSON, A., BONNEVAUX, B., and GONZALES, M. (1978), 'Schooling, environment and cognitive development: A cross-cultural study', *Monogr. Soc. Res. Child Devel.*, vol. 43, no. 175.

655. STEVENSON, I. (1957), 'Is the human personality more plastic in infancy and childhood?', *Amer. J. Psychiat.*, vol. 114, pp. 152–61.

656. STOLZ, L. M. (1960), 'Effects of maternal employment on children: evidence for research', *Child Devel.*, vol. 31, pp. 749–82.

657. STOLZ, L. M., *et al.* (1954), *Father Relations of War-Born Children*, Stanford University Press, Stanford, Calif.

658. SUOMI, S. J. (1977), 'Adult male–infant interactions among monkeys living in nuclear families', *Child Devel.*, vol. 48, pp. 1255–70.

659. SUOMI, S. J., HARLOW, H. F., and DOMEK, C. J. (1970), 'Effect of repetitive infant–infant separation of young monkeys', *J.*

*abnorm. Psychol.*, vol. 76, pp. 161–72.

660 SUOMI, S. J., HARLOW, H. F., and NOVAK, M. A. (1974), 'Reversal of social deficits produced by isolation rearing in monkeys', *J. Hum. Evol.*, vol. 3, pp. 527–34.

66.1 SVEJDA, M. J., CAMPOS, J. J., and EMDE, R. N. (1980), 'Mother-infant "bonding": failure to generalize', *Child Devel.* (in press).

662 TAIT, C. D., and HODGES, E. F. (1962), *Delinquents: Their Families and the Community*, C. C. Thomas, Springfield, Ill.

663 TALBOT, N. B., SOBEL, E. H., BURKE, B. S., LINDEMANN, E., and KAUFMAN, S. B. (1947), 'Dwarfism in healthy children: its possible relation to emotional, nutritional and endocrine disturbances', *New Eng. J. Med.*, vol. 236, pp. 783–93.

664 THOMAN, E. B., BARNETT, C. R., and LEIDERMAN, P. H. (1971), 'Feeding behaviors of newborn infants as a function of parity of the mother', *Child Devel.*, vol. 42, pp. 1471–83.

665 THOMAN, E. B., TURNER, A. M., LEIDERMAN, P. H., and BARNETT, C. R. (1970), 'Neonate–mother interaction: effects of parity on feeding behavior', *Child Devel.*, vol. 41, pp. 1103–11.

666. THOMAS, A., CHESS, S., and BIRCH, H. G. (1968), *Temperament and Behaviour Disorders in Children*, University of London Press.

667. THOMAS, A., CHESS, S., BIRCH, H. G., HERTZIG, M., and KORN, S. (1963), *Behavioural Individuality in Early Childhood*, University of London Press.

668 THOMPSON, W. R., and GRUSEC, J. (1970), 'Studies of early experience', in P. H. Mussen (ed.), *Carmichael's Manual of Child Psychology*, 3rd edn, Wiley, New York.

669 THOMPSON, W. R., and HERON, W. (1954), 'The effects of restricting early experience on the problem-solving capacity of dogs', *Canad. J. Psychol.*, vol. 8, pp. 17–31.

670. THOMPSON, W. R., and MELZACK, R. (1956), 'Early environment', *Sci. Amer.*, vol. 194, pp. 38–42.

671. THOMPSON, W. R., and OLIAN, S. (1961), 'Some effects on offspring behaviour of maternal adrenalin injection during pregnancy in three inbred mouse strains', *Psychol. Rep.*, vol. 8, pp. 87–90.

672. TIZARD, B. (1971), 'Environmental effects on language development: a study of residential nurseries', paper read at Annual Conference of the British Psychological Society, June 1971, University of Exeter.

673. TIZARD, B. (1977), *Adoption: A Second Chance*, Open Books, London.
674. TIZARD, B., COOPERMAN, O., JOSEPH, A., and TIZARD, J. (1972), 'Environmental effects on language development: a study of young children in long-stay residential nurseries', *Child Devel.*, vol. 43, pp. 337–58.
675. TIZARD, B., and HODGES, J. (1978), 'The effect of early institutional rearing on the development of eight-year-old children', *J. Child Psychol. Psychiat.*, vol. 19, pp. 99–118.
676 TIZARD, B., and JOSEPH, A. (1970), 'Cognitive development of young children in residential care: a study of children aged 24 months', *J. Child Psychol. Psychiat.*, vol. 11, pp. 177–86.
677 TIZARD, B., and REES, J. (1974), 'A comparison of the effects of adoption, restoration to the natural mother, and continued institutionalization on the cognitive development of four-year-old children', *Child Devel.*, vol. 45, pp. 92–9.
678. TIZARD, J. (1964), *Community Services for the Mentally Handicapped*, Oxford University Press.
679. TIZARD, J. (1969), 'The role of social institutions in the causation, prevention and alleviation of mental retardation', in C. Haywood (ed.), *Socio-Cultural Aspects of Mental Retardation*, Academic Press.
680. TIZARD, J., and TIZARD, B. (1971), 'The social development of two-year-old children in residential nurseries', in H. R. Schaffer (ed.), *The Origins of Human Social Relations*, Academic Press.
681. TIZARD, J., and TIZARD, B. (1972), 'The institution as an environment for development', in M. P. M. Richards (ed.), *The Integration of a Child into a Social World*, Cambridge University Press.
682. TRACY, R. L., LAMB, M. E., and AINSWORTH, M. D. S. (1976), 'Infant approach behavior as related to attachment', *Child Devel.*, vol. 47, pp. 571–8.
683. TRASLER, G. (1960), *In Place of Parents: A Study of Foster Care*, Routledge & Kegan Paul.
684. TURNER, C. H., DAVENPORT, R. K., and ROGERS, C. M. (1969), 'The effect of early deprivation on the social behavior of adolescent chimpanzees', *Amer. J. Psychiat.*, vol. 125, pp. 1531–6.
685. UCKO, L. E. (1965), 'A comparative study of asphyxiated and non-asphyxiated boys from birth to five years', *Devel. Med. child Neurol.*, vol. 7, pp. 643–57.

686. URSIN, H., BAADE, E., and LEVINE, S. (1978), *Psychobiology of Stress: A Study of Coping Men*, Academic Press, New York.

687. VERNON, D. T. A., FOLEY, J. M., and SCHULMAN, J. L. (1967), 'Effect of mother-child separation and birth order on young children's responses to two potentially stressful experiences', *J. Person. soc. Psychol.*, vol. 5, pp. 162–74.

688 VERNON, D. T. A., FOLEY, J. M., SIPOWICZ, R. R., and SCHULMAN, J. L. (1965), *The Psychological Responses of Children to Hospitalization and Illness*, C. C. Thomas.

689. VERNON, P. E. (1969), *Intelligence and Cultural Environment*, Methuen.

690 VOGEL, S. R., BROVERMAN, I. K., BROVERMAN, D. M., CLARKSON, F. E., and ROSENKRANTS, P. S. (1970), 'Maternal employment and perception of sex roles among college students', *Devel. Psychol.*, vol. 3, pp. 384–91.

691 WALDROP, M., and BELL, R. Q. (1966), 'Effects of family size and density on newborn characteristics', *Amer. J. Orthopsychiat.*, vol. 36, pp. 544–50.

692 WALLER, W. W., and HILL, R. (1951), *The Family: a dynamic interpretation*, Dryden, New York.

693. WALLERSTEIN, J. S., and KELLY, J. B. (1980), *Surviving the Breakup: How Children and Parents Cope with Divorce*, Basic Books, New York; Grant McIntyre, London.

694. WALTERS, R. H., and PARKE, R. D. (1965), 'The role of the distance receptors in the development of social responsiveness', in L. P. Lipsitt and C. C. Spiker (eds.), *Advances in Child Development and Behavior*, vol. 2, Academic Press, New York.

695. WARDLE, C. J. (1961), 'Two generations of broken homes in the genesis of conduct and behaviour disorders in childhood', *Brit. med. J.*, vol. 2, pp. 349–54.

696 WASZ-HÖCKERT, O., LIND, J., VUORENKOSKI, V., PARTANEN, T., and VALANNE, E. (1968), *The Infant Cry: A Spectrographic and Auditory Analysis* (Clinics in Developmental Medicine, no. 29), Heinemann/S I M P, London.

697. WATERS, E., WIPPMAN, J., and SROUFE, L. A. (1979), 'Attachment, positive affect, and competence in the peer group: two studies in construct validation', *Child Devel.*, vol. 50, pp. 821–9.

698.. WATSON, P. (1970), 'How race affects IQ', *New Soc.*, 16 July, pp. 103–4.

699.. WEINBERG, J., and LEVINE, S. (1977), 'Early handling influences on behavioral and physiological responses during active avoidance', *Devel. Psychobiol.*, vol. 10, pp. 161–9.

700. WEISBERG, P. (1963), 'Social and nonsocial conditioning of infant vocalizations', *Child Devel.*, vol. 34, pp. 377–88.

701. WERNER, E. E. (1979), *Cross-Cultural Child Development: a view from the planet earth*, Brooks/Cole, Monterey, California.

702. WERNER, E. E., BIERMAN, J. M., and FRENCH, F. E. (1971), *The Children of Kauai: a longitudinal study from the prenatal period to age 10*, Univ. Press of Hawaii, Honolulu.

703. WERNER, E. E., and SMITH, R. S. (1977), *Kauai's Children Come of Age*, Univ. Press of Hawaii, Honolulu.

704. WERNER, E. E., and SMITH, R. S. (1980), *Vulnerable, But Invincible: a longitudinal study of resilient children and youth*, McGraw-Hill, New York.

705. WEST, D. J. (1969), *Present Conduct and Future Delinquency*, Heinemann.

706. WEST, D. J., and FARRINGTON, D. P. (1977), *The Delinquent Way of Life*, Heinemann Educational, London.

707. WHEELER, L. R. (1942), 'A comparative study of the intelligence of East Tennessee mountain children', *J. educ. Psychol.*, vol. 33, pp. 321–34.

708. WHITE, B. L. (1967), 'An experimental approach to the effects of experience on early human behavior', in J. P. Hill (ed.), *Minnesota Symposia on Child Psychology*, vol. 1, University of Minnesota Press, Minneapolis.

709. WHITE, B. L. (1971), *Human Infants: Experience and Psychological Development*, Prentice-Hall, Englewood Cliffs, N.J.

710. WHITEHEAD, L. (1979), 'Sex differences in children's responses to family stress: a re-evaluation', *J. Child Psychol. Psychiat.*, vol. 20, pp. 247–54.

711. WHITEN, A. (1977), 'Assessing the effects of perinatal events on the success of the mother–infant relationship', in H. R. Schaffer (ed.), *Studies in Mother–Infant Interaction*, Academic Press, London.

712. WHITTEN, C. F., PETTIT, M. G., and FISCHHOFF, J. (1969), 'Evidence that growth failure from maternal deprivation is

secondary to undereating', *J. Amer. Med. Assn*, vol. 209, pp. 1675–82.

713. WHO EXPERT COMMITTEE ON MENTAL HEALTH (1951), *Report on the Second Session 1951*, World Health Organization, Geneva.

714. WIDDOWSON, E. M. (1951), 'Mental contentment and physical growth', *Lancet*, vol. 1, pp. 1316–18.

715. WIESEL, T. N., and HUBEL, D. H. (1963), 'Single cell responses in striate cortex of kittens deprived of vision in one eye', *J. Neurophysiol.*, vol. 26, pp. 1003–17.

716. WIESEL, T. N., and HUBEL, D. H. (1965a), 'Comparison of the effects of unilateral and bilateral eye closure on cortical unit responses in kittens', *J. Neurophysiol.*, vol. 28, pp. 1029–40.

717. WIESEL, T. N., and HUBEL, D. H. (1965b), 'Extent of recovery from the effects of visual deprivation in kittens', *J. Neurophysiol.*, vol. 28, pp. 1060–72.

718. WILCOX, B. M., STAFF, P., and ROMAINE, M. F. (1980), 'A comparison of individual and multiple assignment of caregivers to infants in day care', *Merrill-Palmer Q.*, vol. 26, pp. 53–62.

719. WILLERMAN, L. (1979), 'Effects of families on intellectual development', *Amer. Psychol.*, vol. 34, pp. 923–9.

720. WINETT, R. A., FUCHS, W. L., MOFFATT, S. A., and NERVIANO, V. J. (1977), 'A cross-sectional study of children and their families in different child-care environments: some data and conclusions', *J. Comm. Psychol.*, vol. 5, pp. 149–59.

721. WINICK, M., MEYER, K. K., and HARRIS, R. C. (1975), 'Malnutrition and environmental enrichment by early adoption', *Science*, vol. 190, pp. 1173–5.

722. WOLFER, J. A., and VISINTAINER, M. A. (1979), 'Pre-hospital psychological preparation for tonsillectomy patients: effects on children's and parents' adjustment', *Pediatrics*, vol. 64, pp. 646–55.

723. WOLFF, P. H. (1969), 'The natural history of crying and other vocalizations in early infancy', in B. M. Foss (ed.), *Determinants of Infant Behaviour*, vol. 4, Methuen.

724. WOLFHEIM, J. H., JENSEN, G. D., and BOBBITT, R. A. (1970), 'Effects of group environment on the mother-infant relationship in pig-tailed monkeys (*Macaca nemestrina*)', *Primates*, vol. 11, pp. 119–24.

725. Wolkind, S. N. (1974), 'The components of "affectionless psychopathy" in institutionalized children', *J. Child Psychol. Psychiat.*, vol. 15, pp. 215–20.
726. Wolkind, S. N., Hall, F., and Pawlby, S. J. (1977), 'Individual differences in mothering behaviour: a combined epidemiological and observational approach', in P. Graham (ed.), *Epidemiological Approaches in Child Psychiatry*, Academic Press, London.
727. Wolkind, S. N., Kruk, S., and Chaves, L. P. (1976), 'Childhood separation experiences and psychosocial status in primiparous women: preliminary findings', *Brit. J. Psychiat.*, vol. 128, pp. 391–6.
728. Wolkind, S. N., and Rutter, M. (1973), 'Children who have been "in care" – an epidemiological study', *J. Child Psychol. Psychiat.*, vol. 14, pp. 97–105.
729. Woods, P. J., Ruckelshaus, S. I., and Bowling, D. M. (1960), 'Some effects of "free" and "restricted" environmental rearing conditions upon adult behavior in the rat', *Psychol. Rep.*, vol. 6, pp. 191–200.
730 Wootton, B. (1959), *Social Science and Social Pathology*, Allen & Unwin.
731. Wootton, B. (1962), 'A social scientist's approach to maternal deprivation', in *Deprivation of Maternal Care: A Reassessment of its Effects*, World Health Organization, Geneva.
732 Wortis, H. (1970), 'Poverty and retardation: social aspects', in J. Wortis (ed.), *Mental Retardation*, vol. 1, Grune & Stratton.
733. Wynne, J., and Hull, D. (1977), 'Why are children admitted to hospital?', *Brit. Med. J.*, vol. 2, p. 1140.
734 Yando, R. M., and Kagan, J. (1968), 'The effects of teacher tempo on the child', *Child Devel.*, vol. 39, pp. 27–34.
735. Yarrow, L. J. (1961), 'Maternal deprivation: toward an empirical and conceptual re-evaluation', *Psychol. Bull.*, vol. 58, pp. 459–90.
736. Yarrow, L. J. (1963), 'Research in dimensions of early maternal care', *Merrill-Palmer Q.*, vol. 9, pp. 101–14.
737. Yarrow, L. J. (1964), 'Separation from parents during early childhood', in M. L. Hoffman and L. W. Hoffman (eds.), *Review of Child Development Research*, vol. 1, Russell Sage Foundation, New York.
738. Yarrow, L. J. (1968), 'The crucial nature of early experience', in D. C. Glass (ed.), *Environmental Influences*, Russell Sage Foundation, New York.
739. Yarrow, M. R., Scott, P., de Loeuw, L., and Hernig, C.

(1962), 'Child rearing in families of working and non-working mothers', *Sociometry*, vol. 25, pp. 122–40.

740. YUDKIN, S., and HOLME, A. (1963), *Working Mothers and Their Children*, Michael Joseph.

741. YULE, W., and RAYNES, N. V. (1972), 'Behavioural characteristics of children in residential care in relation to indices of separation', *J. Child Psychol. Psychiat.*, vol. 13, pp. 249–58.

742. ZIGLER, E. (1966), 'Mental retardation: current issues and approaches', in M. L. Hoffman and L. W. Hoffman (eds.), *Review of Child Development Research*, vol. 2, Russell Sage Foundation, New York.

تم بعون الله

كمبيوجرافيك آرت سنتر
١٨ امتداد رمسيس (١) مدينة نصر
٢٦٢٠١٧٦

رقــــم الإيــداع ٧٦٧٥ / ١٩٩١

I.S.B.N 977 - 5101 - 22 - 0




ملتزم الطبع والنشر
مكتبة الأنجلو المصرية
١٦ شارع محمد فريد - القاهرة